كتاب الاعتبار

لأسامة بن منقذ

وهو مؤيّد الدولة أبو مظفّر أسامة بن مُرشد الكِناني الشَّيزري

عن النسخة الفريدة المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

حرّره

فيليب حتي، د ف

مطبعة جامعة برنستون

الولايات المتحدة

١٩٣

محتويات الكتاب

الباب الاول

حروب واسفار

الباب الثاني

نكت ونوادر

الباب الثالث

اخبار الصيد

مقدمة المحرر

في العام الذي بلا فيه البابا أُوربانوس الثاني فـي كلارمونت حطابه المحسوب بحق وباعتبار نتائجه الصليبيّة أفعل حطاب فـي التاريخ، ولد لبني مُنْقد الأمراء فـي شَيزر علـى العاصي (وذلك فـي ٢٧ جمادى الآخر سنه ٤٨٨ المقابـل ٤ تموز ١٠٩٥) صبي أطلق عليه والداهُ اسماً تحلَّى به في صدر الاسلام أوّل قائد عربي عُهد اليه أمر فتح الشام(١)، وكان قد ورد في الرُّقم الحِميريَّة السابقة للاسلام(٢). ذاك هو أُسامة بن مرشد بن عليّ بن مقلّد ابن نصر بن مُنقذ مؤلف كتابنا هذا وبطل روايته

عاش أُسامة شهماً فارسـاً، ورعـاً مجاهداً مقاتلاً، ولمع أديـباً وساعراً. لهـّى صيّاداً، وقضى الكثير من سنيه حوّاباً. نشأ علـى ضفاف العـاصي بجوار حمـاه، وصرف معظم شبابه فـي البلاط النُّوريّ بدمشق، وفـي قصر الخليفه الفاطميّ بالقاهرة، وعالـ

(١) أسامه بن زيد بن حارثه

(٢) في مصحف اللوفر نـاريز حجر أبي نه مـن صنعاء الرحـّاله بركهـا ردت عليه كتابه بالقلم المسند بضمنت اسم «أسامه بن عامر» راجع M Lidzbarski, *Ephemeris für Semitische Epigraphik* (عسس ٢ ١٩) ج١ ص٢٢١ ـ ٢٢٢

سي كهولته في الدار الاتابكيّه بالمَوصل وفي حصن كيفا على دجلة

زار بيت المقدس في فلسطين، وحجّ الى الحَرَمَين، وتنقّل بين معظم العواصم الاسلاميّه من مدنيّة ودينيّه. عاشر نور الدين، وتصيّد مع زنكي، وصاحب الخليفةالحافظ وخلفهالظافر. تعرّف شخصياً بوهمند وتنكرد وفُلك من الافرنج الصّليبيّين وحضّه قُبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً فمريّا صديقه صلاح الدين الأيوبيّ بعطفه. آخى الافرنج ـ ولا سيما الفرسان منهم ـ في حين السّلم وقاتلهم في حال الحرب، كما قاتل غيرهم من الاسماعيليّه وسائر العرب ـ فضلاً عن الأُسد والوحوش. وأخيراً في اواخر ايام حياته دوّن لنا كل ما خبره بالذات، وعرفه من مصادره الأصليه، في مذكّرات شائقه رائعه قلّ نظيرها ـ من حيث الأمانه في النقل، والصدق في الروايه، والدقة في الملاحظه، والنكهه في التعبير ـ في مجمل آداب اللغه العربية

فحياة اُسامه اذن تمثّل لنا الفروسيّه الاسلاميه العربيه على ما ازدهرت في ربوع الشام في اواسط القرون الوسطى والتي بلغت حدّها الكامل في صلاح الدين، وسيرته تتضمّن موجز تاريخ البلاد في القرن الثاني عشر ـ قرن التجريدات الصليبيّه الثلاث الأولى،

ومد كـَّراته الموسومه «كتاب الاعتار» مرآة نتحلّى فيها المديـّه
الساميَّة فـي اجلى مطاهرها ـ ودلك ليس نحد دابهـا فقط بـل
بالمعارصه مع المديـَّة الاورىحيـَّه التي قامت الى حاىبها

ولو ان اُسامه عاس اليوم لكان ىلا ريب عصواً عاملاً في المحمع
العلميّ العربـيّ، ولكان بيته «صالوناً» للادب ىدمسق، ولراسل
«الهلال» و «المقطَّم» ولأكثر من العيس في الهواء الطليق يدرس
طبائـع الحيوان ويرقب نموّ النبات، ولنالت حياده العربية حوائر
السق في بيروت، ولكان ىلا ترددّ في أثناء الحرب العظمى دَيوّن
فرقه من المتطوّعه نولّى قيادتها ىفسه

على ىعد حمسه عسر ميلاً الى السمال مـن حماه أكمه صحريـّه
متصه على صفّه العاصي العربيـّه يكلّلها حص لم يزل قائماً لليوم
معروفاً ىاسم «سَيْحَر» تحريف «سَيْزَر». سَيْزَر هو المرسح
الدي تمسّلت عليه معطم الحوادث المدوّنه في الكتاب والتي حرت
وقائعها في أيام اُسامه الفتى. الهصبة لتوئها سمّاها مؤلفو العرب
«عرف الديك». نهر العاصي يلتف حول الأكمه مـن حهاتهـا
الثلاث، فهي ادىسه حريرة نوصعيّتها الحعرافيـّه. عران الاىسان
اكمـل عمل الطبيعه ىحفره حندقـاً فـي الصحر الواصـل بين سه
الحزيره والبرّ ممّا راد في مناعه الحص وفي تعذُّر الوصول اليه.

وشيرر اثنان قسم واقع ضمن القلعة على الرابية وهو «البلد»، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو «المدينه». وللقلعة ابواب ثلاثة اهمُّها يفتح نحو الجسر. وعلى الجسر حصن اُطلق عليه اسم «حصن الجسر»

اذا غزا غازٍ البلاد السوريَّة من الشمال فامامه طريقان طريق بحريَّة تمرُّ في اللاذقية فالساحل الفينيقيّ ـ وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الاسوريّين، وطريق داخليَّه تماشي العاصي الى حماه فحمص ثم تنعطف غرباً مع وادي النهر الكبير حتى البحر شمالي طرابلس، أو انها تستمرّ من حمص في سهل البقاع وتتصل اخيراً بالساحل العربي جنوباً عند أقدام سلسلة لبنان. الطريق الثانيه هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريّين والبابليّين من مثل رعمسيس ونبوخذ نصَّر وهي التي آثرها اكثر الصليبيّين. ولا بدّ لمن طرق هذه الطريق الثانية من الاختيار بأفامية (قلعه المُضيق) وناحيتها الجنوبيَّه شيزر المسلطة على وادي العاصي. هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربيَّه

لشيزر اسم في رأس قائمة المُدن السوريَّه المتوغّلة في القدم. ذكرها طُثميس للمرّة الاولى بالهيروغليفيَّة نحو سنة ١،٥٠٠ ق.م.، في عرض وصف احدى حملاته من مصر، باسم «سِنْزار»

أو «سِيزار». وذكرها بعده حلفه العبد عمنحوتب الثاني(٣). ووردت بصيغة «رِنزار» في رُقم تل العمارنه المسماريّة. وسمّاها اليونان الاقدمون «سِدْزارا» والبيزنطيّون «سِيزِر». وفي اواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقس الأول مهاجرين من لارِسّا في ثساليا وغيّر اسمها الى «لارِسّا». على ان الاسم الساميّ الاصليّ ما لبث أن عاد فتغلّب وظهر بالعربية في صيغة «شيزر». وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم لامرىء القيس

تقطّعَ أسبابُ اللبانةِ والهوَى
عشيّةَ رُحنا من حَماةَ وشَيزرا

وفي آخر لعبيدالله بن قيس الرُّقيّات:

فواحَزَناً إذ فارقونا وجاوروا
سوى قومهِم أعلى حماةَ وشَيزرا(٤)

أمّا مؤرخو الافرنج الصليبيّون فاطلقوا عليها اسم "Caesarea" ـ قيصريه. واحياناً قيصرية العاصي للتمييز

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية،

(٣) J H Breasted, *Ancient Records of Egypt* (شيكاغو ٦ ١٩) ج٢ فقره ٥٨٤ و٣١٤

(٤) ياقوت «معجم البلدان» (ليبزغ ١٨٦٨) ٣ ٣٥٣

وذلك عقب الاستيلاء على حمص وحماه بقيادة ابي عُبيدة ابن الجرّاح، فتلقَّاه اهل شيزر «يكفّرون ومعهم المقلِّسون، ورضوا بمثل ما رضي به أهل حماة»(٥). اما البلدة لأهميَّة موقعها الجغرافي، وباعتبار كونها مفتاح سوريَّة الداخليه، بقيت مطمح أنظار البيزنطيين الذين استخلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها، الى ان اخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنه ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١، وهو العام الذي استرجعها فيه عزّ الدوله سديد المُلك ابو الحسن عليّ، جدّ اُسامه، من أيدي الامبراطور ألكسيس كومنيوس

وكان صالح المِرْداسيّ، صاحب حلب، قد منح الأُمراء المُنقذيين من بني كِنانة عام ١٠٢٥ إقطاعاً في جوار شيزر. فتمكَّن أحدهؤلاء الأُمراء، مقلَّد، من الاستيلاء على كفرطاب سنة ١٠٤١. وجاء بعده خلَفه أبو المتوّج مقلَّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبنى حصن الجسر عند قدمَي شيزر ليقطع عنها المدد. ولكنَّ البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى أيام سديد المُلك. فسديد المُلك اذن هو مؤسس الدوله المنقذيَّه بشيزر. ولدن وفاته عام

(٥) البلاذري «فتوح البلدان» (لندن ١٨٦٦) ص ١٣١

١٠٨١ عقبه ابنه عزّ الدوله ابو المُرْهَف نصر(٦)، وهو مع استهاره بالورع وحبّ السلام تولّى الى حين، وفيما سوى سيزر، أفاميه و كفرطاب واللادقيّة

تُوفي ابو المرهَف بلاعقب عام ١٠٩٨، فتحدّرت الإماره من بعده الى أخيه الاصغر مجد الدين أبي سلامة مرشد (١٠٦٨ـ ١١٣٧) والد مؤلّف كتابنا أُسامة. ولكنّ مجد الدين شُغف بالصيد ونسخ القرآن أكثر من السياسه، فتنازل عن السيادة لأخيه الاصغر عزّ الدين ابي العساكر سلطان مردّدا «والله، لا وليتُها. ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتُها»(٧)

في أثناء إمارة سلطان، عمّ أُسامة، كانت سيزر عرضه لغزوات متتابعه من بني كلاب في حلب، ومن الاسماعيليه (الحشّاشين)، ومن الروم البزنطيّين، ومن الافرنج الصليبيّين. ونفها الامبراطور حنا كومنينوس عام ١١٣٨ بالمنجنيق عشره أيام متواليه. وحاول الافرنج تكراراً الاستيلاء عليها، ولكن على غير جدوى. مناعتها الطبيعيه، وحصونها المتينه، وزعامتها المفديه أبعدتها كل مرّة من السقوط

(٦) فصّل ذلك كله ابن الاثير «كامل التواريخ» في *Recueil des historiens des croisades historiens orientaux* (باريز ١٨٧٢) ١ ٤ ٥

(٧) ابو شامه «كتاب الرّوضتين في اخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٨) ١ ١١١ ـ ١١٢ وابن الاثير في *Recueil* ١ ٤ ٥

وفـي خلال امارة سلطـان جرت أكثر الحوادث التي دوّنهـا اُسامة في مذكّراته، وهـو شاهد عيان لها، فخلّد وقائعها وجعلها ارثاً لنا. ومع ان اُسامة كان احد اخوة اربعة، هـو ثانيهم، فـان عمّه سلطاناً، الذي لـم يكن له أوّلاً ولد ذكر، استخصّ اُسامـة بعطفه ورعايته، ودرّبه على الفنون الحربيّة، وكان يمتحن بالسؤال حضور ذهنه في ساعة القتال (ادناه ص١٠٠). وعلى الجملة انسأه تنشئة من يريـد ان يجعل منه خلفاً له. وكثيرة كانت المهمّات الشخصيّة التي عهد سلطان بهـا لابن أخيه، مـن مثل رفقة زوجة عمّه واولادها من شيزر في أيام الحرّ الى مصياث (أدناه ص١٤٨). أما بعـد أن رُزق العمّ ولـداً يخلفه فوجهه نظره نحو ابـن أخيه تغيّرت، والحسد اخذ يعمل عمله فيه، ممّا جعل اُسامة الشاب يغادر شيزر موقتاً عام ١١٢٩، ونهائيـاً بعد وفاة والده اخي سلطان في ٣٠ أيار سنه ١١٣٧. وكانت جدّة اُسامة(٨) لأبيه قد حذّرته مرّة من عمّه، وقد رأت حفيدها داخلاً البلدة مساء وبيده رأس أسد ضخم كان قد اصطاده، فأسدته النّصح بشأن تأثير عمل كهذا فـي نفس عمّه بقولهـا «ما يقرّبك هـذا منه، وانه يزيدك منه بعداً ويزيده منك وحشة ونفوراً» (ادنـاه ص١٢٦). وبرغم ذلك فـ«كتاب

(٨) والدة اسامة فـي ابن الاثير «تأريخ الدولة الأتابكيّة» فـي *Recueil* (باريز ١٨٨٧) ج٢ جز٢ ص ٢

الاعتبار» (ص٧١) يحفظ لنا نكتة تمثّل شهامة سلطان. وخلاصتها ان امراة كان قد تزوّجها سلطان وطلّقها فوقعت اسيرة في يد الافرنج، فملك للحال أسرها وسلّمها لاهلها قائلاً «ما أدع امرأة تزوجتُها وانكشفتْ عليّ في أسر الافرنج»

تُوفي سلطان حوالى عام ١١٥٤ فخلَفه ابنه تاج الدوله ناصر الدين محمَّد، وهو آخر الأُمراء المنقذين. في أيّامه تمثَّلت على مرسح شيزر مأساة مفجعة قضت على بني منقذ باسرهم. بمناسبة احتتان ولد لتاج الدولة أولم الوالد وليمة حضرها جميع آله، وفي اثنائها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي «هلك فيه ما لا يُحصى» والذي خرَّب «بالمعرّة حماة وشيزر وكفرطاب والمعرّة وحمص وحصن الاكراد»(٩) «ولم ينجُ من بني منقذ أحد»(١٠) سوى زوجه تاج الدولة التي انتُشلت من تحت الردم. الا انّ نور الدين، صاحب دمشق، عاد فعمَّر شيزر

التأثير الاكبر في نفسيَّة اُسامه كان لعمّه سلطان، وبعده لوالده صورة الوالد التي أبقاها لنا اُسامة في مذكَّراته تمثّله لنا رجل تقوى وسلام لا تهمُّه شؤون هذا العالم الفاني، يفرغ «زمانه لتلاوة

(٩) ابن الأثير في *Recueil* ١ ٣ ٥

(١٠) ابضاً ١ ٥ ٥ ـ ٦ ٥

القرآن والصيام والصيد في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله» (ادناه ص١٩٨)٠ وهذا يجب ألا يُفهم منه انه كان متقاعداً جبانا٠ ففي غير مكان يذكر اُسامه أن والده لم يكن «له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله» (ادناه ص١٩١)٠ ثم يقتبس عنه عبارة قالها لمّا حذّره ولده في معركه «ياولدي في طالعي اني لا ارتاع» (ادناه ص٥٦)

ولنستشهد الآن ببعض الوقائع الدالّه على نوع التربيه التي ربّاها اُسامه في ظلّ والده وعمه، وسرُّها كلّها متضمَّن في تصريح اُسامه «ما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اِشفاقه واِيثاره لي» (ادناه ص١٠٣)٠ اُسامه، وهو دون العاشرة، يطعن خادمه طعنة تجيء فاضيه دون ان يستوجب سخط والده (ادناه ص١٤٥)٠ يباشر القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف انه في اول قتال حضره حمل على افرنجيّ طعنه فجرح من السرج لخفه جسمه وقوة الطعنه (ادناه ص٤١)٠ يرى حيّة، وهو صبيّ، على حائط الدار فيتسلّق اليها ويأخذ يحزّ رأسها بسكّينه الصغير، وهي تلتفّ على يده، وابوه يراه ولا ينهاه (ادناه ص١٠٣)٠ تعود رهائن من افرنج وأرمن كانت في شيزر الى بلدها فتقع في أيدي صاحب حمص،

وهو مسلم، فتصدر اوامر والد اُسامة له في هده الصيغة «اتبعهم بمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم» (ادناه ص١٠٣)٠ الكلمات الاخيرة «ارموا انفسكم» تقع من نفس اُسامه موقعاً سديداً

وللدلاله على الرّابط السويّ الدي كان يربط الابن بابيه يكفي الاستشهاد بعبارة اوردها اُسامه بعد أن أطنب بحسن خط والده «وما يقتضي الكتاب دكر هدا، وانما دكرته لاستدعي له [للوالد] الرّحمة ممّن وقف عليه» (ادناه ص٥٣)

أما والدة اُسامه فلنا ان نتحقّق المعدن التي جُبلت منه من مراجعه حادثه أوردها اسامه٠ ومفادها ان الاسماعيلية مرّة هاجمت شيزر والرجال متخلّفون٠ فورّعت اُمّ اُسامة السلاح وألبست ابنتها الخفّ والازار واجلستها على روشن مشرف على الوادي حتى ادا ما انتهى الأعداء اليها تدفعها وترميها الى الوادي فتراها ميته ولا اسيرة في أيدي «الفلاحين والحلاحين» (ادناه ص١٢٥)٠ حقّاً ان والدته كجدّته كانت من «اُمّهات الرّجال» (ادناه ص ١٢٦)

تلك هي البيئه التي نشأ فيها اُسامة وترعرع٠ فتصلّب عوده وهو مرن، وألف اقتحام المخاطر والمغامرات، وتربّى على مبادىء

الفروسيه والشهامه. وذلك في عصر تلاحقت فيه الحروب، وتتابعت الغزوات من الافرنج والعرب ـ من مسيحيين ومسلمين، وفي بلاد توفّرت فيها الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة. حتى ان اُسامه ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلّح مستعد للعدوّ المفاجئ (ادناه ص٢٠٠). ولم يشهد اُسامه القتال في شيزر وحماه من مدن سوريه الشماليه فقط، بل في عسقلان وبيت جِبْريل من أعمال فلسطين، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر، وفي ديار بكر والموصل. فلاغرو ان اصبح اسمه في التواريخ الاسلاميه مرادفاً للبطوله

الذهبي(١١) سمّاه «احد ابطال الاسلام». ابن الاثير(١٢) وصفه بانه «كان من الشجاعه في الغايه التي لا مزيد عليها». واُسامه نفسه أجمل اختباراته الحربيه بقوله في آخر أيامه «فكم لقيتُ من الاهوال، وتقحّمتُ المخاوف والأخطار، ولاقيتُ الفرسان، وقتلت الأُسود، وضُربت بالسيوف، وطُعنت بالرماح، وجُرحت بالسهام والجروح» (ادناه ص١٦٣) ـ هتاف ليس المقصود منه التأثير الخطابي فحسب، بل بيان الحقائق

ومن خلال كل هذه الاختبارات تتبيّن لنا شخصيّه اُسامه فاذا

(١١) «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٢ ٧١
(١٢) «الدوله الأتابكيه» في *Recueil* ج٢ جزء٢ ص٧ ٢

بها شخصيه مستسلمة تستقبل الافراح كما تودّع الاحزان، تواجه الظفر كما تجابه الفشل، بروح الصبر والتسليم. الصبر ـ باعتبار اسامة ـ من الله (ادناه ص١٤٧ س١٩)، وكذلك الهزيمه. الموت لا «يقدّمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدّة الحذر» (ادناه ص ١٦٣). «الله مقدّر الأقدار، وموقّت الآجال والأعمار» (ادناه ص١٦٢). في العبارة الاخيرة متضمَّن فلسفة الحياة باسرها كما فهمها اُسامة

وفي مجمل معاملاته مع أصدقائه وأخصامه يُدهشنا هذا الرجل بميله للنَّصفة والعداله. ها كه مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج. الرَّفيق يشير باحدهم على حين غرّة، ولكنّ جواب اُسامة «ما هذا انصاف. بل نحمل عليهم انا وانت» (ادناه ص٥٨). والمدهش انه لا يلبث ان يتمّ سرد هذه الحادثة، التي هزم فيها مع رفيقه ثمانية، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمهما فيها «رويجل» (ادناه ص٥٨). يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي سقيماً بالمعارضة مع الطب العربي (ادناه ص١٣٢ ـ ١٣٣) ـ وهي من أبدع قصص الكتاب ـ ثم لا يلبث ان يردفها بأخرى تظهر الوجهه الفضلى من طبّ المغرب (ادناه ص١٣٣ ـ ١٣٤). يطنب بوالده صيّاداً، ولكن سلامة ذوقه توحي اليه على

الأثر «ما ادري كنت اراه بعين المحبة كما قال القائل «وكل ما يفعل المحبوب محبوب» •ما أدري أكان نظري فيه على التحقيق• وأنا ذاكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه» (ادناه ص ١٩٨)

قضى اُسامة سنياً عير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (سنة ١١٤٤ ـ ١١٥٤)• وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشَّشت فيها جراثيم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار يد الوالد على الولد، والولد على الوالد، ويد الخليفة على الجميع• ابن الاثير(١٣) يدّعي ان اُسامة هو الذي أشار على عبَّاس بن أبي الفتوح بقتل العادل وزير الظافر (ادناه ص١٨)• ولكن مذكَّرات اُسامة لا تدلّ على انَّه لوّث يدَيه في حال من الأحوال• صلاح الدين الغِسيابي، ذلك الحلف التركي، يوسّط مَن يشاء من رجاله ـ يأمر بقطعهم شطرين من الوسط ـ لسبب أو لغير سبب، واُسامة لا يتردّد في التوسُّط بامرهم (ادناه ص١٥٦ ـ ١٥٧)• عمّ اسامه يخلوه عن مسقط رأسه، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر، فيرثيهم اُسامه الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب

لم يترك ِ الدّهر ُ لي مِن بعدفقدهم
قلباً أُجَشّمه صبراً وسلوانا

(١٣) «كامل التواريخ» (أبسالا ١٨٥١) ١١ ١٢١ ص

مقدّمة المحرّر

فلو رأوني لقَالوا ماتَ أسعدُنا
وعاش للهمّ والأحزانِ أشقانا
لم يتركِ الموتُ منهم مَن يخبّرني
عنهم فيُوضحُ ما قالوهُ تبيانا
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجباً
للخطبِ أهلكَ عمّاراً وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم
كذاك كانوا بها من قبل سكّانا

الى ان يقول

بنو أبي وبنو عمّي دمي دمهم
وإن أرَوني مناواةً وشنآنا(١٤)

احترام اُسامه لجنس النساء أمر يسترعي انتباهنا. فاننا نراه يضع تأليفاً موسوماً «أخبار النساء» ويكرّس في «كتاب الاعتبار» (أدباه ص١١٨ ـ ١٣١) حقولاً طويلة للاشادة باعمال البطولة التي قام بها البعض منهنّ، وبينهنّ والدته. وفي قصتهِ مع خادمتهِ العجوز التي أفرد لها بيتاً في داره وكان يناديها «ياأُمي» (أدباه ص١٨٦) بافدة نصّ منها الشيء اللطيف ضمن أعماق قلبه. وما ألطف ملاحظته بعد ان افتدى اسيرة مسلمه مع غيرها من يد الافرنج فهربوا قبل ان يدفع الثمن فالزمه الافرنجي القيمة كلها «وهان ذلك عليّ لمسرّتي بخلاص اولئك المساكين» (أدباه ص٨٢)

(١٤) ابو سامه ١ ٦ ١ ١

حين لم يكن أُسامة مهموكاً بقتال الأعداء من بني البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذٍ تعجّ بها، أو يصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحُمُر الوحش بالبازي وبالباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة. ونرى زبدة اختباراته مضمَّنة في فصل في الصيد ختم به كتابه، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه. اسامه يقول عن نفسه انه شهد الصيد «سبعين سنة» (ادناه ص٢٢٥)، وانه حضر قتال الأسد في مواقف لا تُحصى وقَتل عدّة منها لم يشاركه في قتلها احد (ادناه ص١٠٩ و١٤٤)، وان الخليفة الحافظ عاه في سؤاله الانكاري «وايّ شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟» (ادناه ص ١٩٤). لذّته في درس الحيوان جعلته يكتشف ان «الأُسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان» (ادناه ص١٠٦) ويحسب «ان الأسد اذا خرج من موضع لابدّ له من الرجوع اليه»(١٥) (ادناه ص١٠٦ و١٠٩)، ويلاحظ «أن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه. وفيه غفلة وبلَه، ما لم يُجرح. فاذا جُرح فحينئذٍ هو الاسد» (ادناه ص١٠٩)، ويقول ان النمر «دون سائر الحيوان يقفز الى فوق أربعين ذراعاً» (ادناه ص١١٠). على ان

(١٥) لم أجد في الكتب العلميّة ما يثبت صحة هذه النظرية

صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم «ومن خواصّ النّمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرة مات. ولا يردّ الفأرة عن جريح النمر» (ادناه ص١١١). ولمّا عرض افرنجيّ في حيفا فهداً للبيع أدرك أُسامه لأوّل نظرة من طول الوجه وزرقه العينين ان الحيوان نمر لا فهد وبالتالي لا يصلح للشراء (ادناه ص١١١). ومن دقيق ملاحظاته ان الحُبارى اذا اقترب منها الصقر «استقبلتْه بذنبها. فاذا دنا منها سلحتْ عليه بلّت ريشه وملأت عينيه وطارت»(١٦) (ادناه ص٢١٦)

نظر اسامة للصيد كسبب للهو ظاهر من البيت الذي استهل به فصل الصيد

ولله منّي جانبٌ لا أُضيّعهُ
وللهو منّي والبطالةِ جانبُ (ادناه ص١٩٠)

ونزعته الاستقراطيّه تلوح من عدم تلبيته طلب نور الدين عندما سأله هذا ان يصلح النار فرفض وأجاب ـ لمّا اظهر نور الدين عجبه كيف ان أُسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن اصلاح النار ـ «يامولاي، ما كنّا نصلحها نحن. كان لنا بارياريّة وغلمان يصلحونها» (ادناه ص١٩٧)

(١٦) قابل مراجعة كتاب C H Stockley, *Shikar* في *London Times Literary Supplement* عدد ١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨

تهديب اُسامــه المدرسي ّ تاول دراســة الىحو عسر سيں عىد قدمَي أبــي عىدالله الطُلَيْطُلي ّ «سيبويه زمانه» الدي كان قــد تولَّى دار العلــم بطرابلس (ادناه ص٢٠٧)٠ ولا شكّ ان سياق دروسه ساول فصلاً عن النَّحو الخط ّ والشعر والقرآن ـ وهي فروع التهديب فــي دلك العصر٠ فتهدّب اسامة بموجب النطام الدي كان يتثقَّــف بــه أسراف العرب فــي رمانه٠ وسأ راويةً كاتباً، وأديباً ساعراً

بهده الصفه الاحيرة ـ صفه الساعرية ـ عرفه معطم الدين ترحموا له٠ فالدَّهبي(١٧) يدكر عن لسان اُسامه انه قال انه كان يحفط اكثر من عشرين الف بيت من السعر الجاهلي ـ والراجح انه لــم يتَّصل بحيل اُسامه هدا المقدار من الابيات٠ عِماد الدين الكاتب الاصفهاني الدي اجتمع باُسامة في دمسق يقول في «حريدة القصر وحريدة العصر»(١٨) «اُسامه كاسمهِ، في قوّة نثره ونطمه٠٠٠ حلو المجالسة، حالــي المساجله، ندي ّ الندى بماء الفكاهه، عالــي النجم فــي سماء النباهه»٠ ابن عساكر، تلميد اُسامــه، دكر فــي «التاريخ الكبير»(١٩) بان لاُسامة «يداً بيضاء في الأدب والكتابه

(١٧) ملحق بـ Derenbourg, *Vie d'Ousāma* (بار ر ١٨٨٥) ص٥٩٥
(١٨) (بار ر١٨٨٧) ص١٢٢
(١٩) (دمشق ١٣٣) ٢ ٤ ــ ١ ٤

والشعر» واقتبس عن لسان احدهم قوله ان اُسامه «شاعر اهل الدهر، مالك عنان النظم والنثر» وان مقطعاته «أحلى من السهد والذّ من النّوم بعد طول السهر». ياقوت في «معجم البلدان» (٢٠) اقتبس من اشعار اُسامه. أبو شامه(٢١) يفيد ان صلاح الدين الايوبيّ كان «عنده ديوان الامير مؤيد الدوله اُسامه... وهو به مشغوف، وخاطره على تأمُّلهِ موقوف، والى استحسانه مصروف». وصالح بن يحيى(٢٢) يفاخر باقتنائه ديوان شعر «عزّ الدين» (كذا) اُسامة بن منقذ بخطّه.

وهاك أبيات تدلّ على قوة الابداع في اُسامه الشاعر قالها في ضرس له قلعه

وصاحبٍ لا أمَلُّ الدَّهرَ صُحبتهُ
سقى لِنفعي ويسعى سعيَ مُجتهدِ
لَم ألقهُ مُذ تصاحبنا فحين بدا
لناظريَّ افترقنا فرقةَ الأبدِ(٢٣)

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب وكان قد زار المسجد قبلاً في طريقه الى الحجّ

(٢٠) ٢ ٤١٧
(٢١) ١ ٢٤٧
(٢٢) «تاريخ بيروت» (بيروت ٢ ١٩) ٣٥ – ٣٦
(٢٣) الذهبي ملحق *Vie d'Ousāma* ص٥٩٦ قابل ابن عساكر ٢ ٢ ٤، ابن خلكان ١ ١١٢، ابو شامه ١ ٢٦٤، عماد الدين الكاتب١٢٣

لكَ الحمدُ يامولايَ كـم لـك منّةٌ
علـيَّ وفضـلٌ لا يحيطُ بهـا شكري
نزلت بهذا المسجدِ العـامَ قافـلاً
من الغزوِ موفورَ النّصيبِ من الأجرِ
ومنه رحلتُ العيس فـي عامـي الذي
مضى نحو بيتِ اللهِ والرّكن والحجر
فأدّيتُ مفروضـاً وأسقطتُ ثقلَ مـا
تحمّلتُ من وزرِ المشيئةِ عـن ظهري(٢٤)

وأُخرى تُعرب عن حنينه لوطنه الشاميّ وعن توق نفسه للرُّجوع الى أهله وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل

دارٌ سكنت بهـا كرهـاً وما سكنت
روحي الـى سكـنٍ فيهـا ولا سكنِ
والصبرُ أسترُ لـي منها وأجملُ بـي
إن صدّني الدهرُ عن عَودي الى وطني(٢٥)

واليك ما كتب في مطلع كتاب الى بعض أهله

شكا ألـم الفراقِ النّـاسُ قبلـي
ورُوّع بالنّـوى حـيٌّ وميـت
وأمّـا مثـل مـا ضمّـت ضُلوعـي
فانِّي مـا سمعتُ ومـا رأيتُ(٢٦)

شغف اُسامه بالكُتُب يتّضح من ملاحظه أبداها بعد ما عادت اُسرته من مصر فوقعت في أيدي الافرنج وخسر الكثير من المال،

(٢٤) ابن الاثير «الدوله الاتابكيّه» في *Recueil* ج٢ جز٢ ص٨ ٢
(٢٥) ابن عساكر ٢ ١ ٤
(٢٦) ابن خلّكان ١ ١١١

فلم يأسف عليه أسمه على ما فقده من الكتب وعددها أربعة آلاف مجلّد من الكتب الفاخرة «فانّ ذهابها [على ما قال] حرارة في قلبي ما عشت» (اداباه ص٣٥)

أتقن اُسامة الفن القصصي وأبدع في إيراد نكته كلّ الابداع. فلو انه عاش اليوم لتأهّل لمركز استاذ في احدى مدارس الصحافة التي تلقّن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الخابريات وسرد الحوادث. خذ مثالاً الكيفيه التي روى فيها قصه الطبيب الافرنجي بازاء الطبيب العربي (اداباه ص١٣٢ ـ ١٣٣)، او قصّه خزاء الامانه (اداباه ص١٧٨ ـ ١٨٠)، فان الفنّ الحديث يكاد يعجز عن التحسين عليها

لاُسامه المؤلف لا أقل من ثلاثه عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها. وضع معظمها في أخريات حياته وهو مُبعد في حصن كَيفا حيث انفسح له المجال للدرس والتأليف. ولقد ذكر بعضها حاجي خلفه في «كشف الظنون». ١ ـ «كتاب البديع في البديع». ٢ ـ «تاريخ القلاع والحصون». ٣ ـ «أزهار الانهار». ٤ ـ «التاريخ البلدي». ٥ ـ «نصيحة الرُّعاة». ٦ ـ «التجائر المربحة

والمساعي المححه»(٢٧)· ٧ ـ «كتاب العصا»(٢٨)· ٨ ـ «أحبار النساء»· ٩ ـ «ديوان اُسامة»· ١٠ ـ «كتاب النَّوم والاحلام» (ادناه ص١٨٦)· ١١ ـ «كتاب المنازل والاديار» (٢٩)· ١٢ ـ «كتاب لُباب الآداب»(٣٠)· ١٣ ـ «كتاب الاعتبار» وهو الذي نحن الآن بصدده

بعد ان تجاوز اُسامه التسعين استدعاه صلاح الدين الايوبي من حصن كَيفا وأسكنه داراً بدمشق وذلك بمساعي ابن اُسامه المحبوب مُرْهَف الذي كان من المقرَّبين لدى السلطان(٣١)· وأرجع

(٢٧) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في *Vie d'Ousāma* ٣٣ ـ ٣٣٨

(٢٨) نشر درنبورغ منتخبات منه ومن «ديوان اسامه» بعنوان *Anthologie de textes Arabes inédits par Ousāma et sur Ousāma* (باريز ١٨٩٣)

(٢٩) مخطوطه في المتحف الاسيوي في لنينغراد ذكرها الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي في «مجله المجمع العلمي العربي» تموز سنه ١٩٢٥ ص٣٣٥

(٣) مخطوطه كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف فُسل وفاته وعليها خط ابن أُسامه مُرهف ان والده اهداها اليه عام ٥٨٢ راجع «المقتطف» كانون الاوّل سنه ١٩٠٧ ونيسان سنه ١٩٠٨ وربما كانت بخط المولّف نفسه وفي رسالة خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس انه رأى وهو بتونس نسخه من «كتاب العرسَين» في آخره ما صورته «وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنه خمس وخمسين وخمسمائه [١١١٦] بمدينه حمص كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن عليّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني المالكي»

(٣١) ومن الذين اشاروا من آل منقذ شمس الدوله، ابن اخي أسامه، أوفده صلاح الدين عام ١١٩ الى بلاط الموحّدين بمراكش للمخابره بشأن استخدام اسطولهم لقطع سُبُل الاتصال البحريّ بين الافرنج وبين بلادهم وكان لاُسامه عمّ مقرّب من الخليفه الفاطمي بمصر (انظر ادناه ص٨ ٢)

له صلاح الدين إقطاعاً كان في الأصل على ما يظهر مُلك اسامه، فعاد حمر الحياة يحري في عروق التيح بعد ان كان استحال حلاً، وبعثم صديقنا سيء من الرفاه والهناء قبل وفاته· فأخد يلقي المحاضرات في البديع، ويدرّس في المدرسة الحنفيّة بدمسق· ولكن لاسباب نجهلهـا انقلب عليه طهيره صلاح الدين، وربما كانت إقامه اُسامه في مصر ولّدت فيه ميلا للتشيُع لحظه صلاح الدين(٣٢) «محيي دولـه أمير المؤمنين» (ادناه ص١٦٤) و«سُنّه الخلفاء الراشدين» (ادناه ص١٦٥)· ولا نعلم كم طال هذا الجفاء· على ان صالح بن يحيى(٣٣) ذكر أن صلاح الدين ولّى على بيروت «عزّ الدين اُسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظّمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليه احداً في المشورة والرأي»· وعاد فروى (ص٣٨) ان عزّ الدين اُسامه بن منقد لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيداء خرج من المدينه بجماعته واهله· ويظهر من هذا ومن ابن الاثير(٣٤) انه كان يومئذٍ ببيروت حاكم يُعرف باُسامة ولكنّه

(٣٢) الدهبي ملحق *Vie d'Ousāma* ص٢ ٦

(٣٣) «تاريخ بيروت» ٣٥ ــ ٣٦

(٣٤) في *Recueil* ج٢ جز١٠ ص٨٥

كتاب الاعتبار

هو عير ابن مىقد٠ فالافرىح فتحوا بيروت عام ١١٩٧، واس مىقد تـوفي عام ١١٨٨(٣٥)

ىعد ان ىوقّل اُسامه درىوة التسعين (ادىاه ص١٦٠) وهو فـي دمسق يتفيأُ فـي طلال ىعمه مولاه صلاح الدين، أحد يطلُّ مـں داك العلوّ الساهق علـى سابق احتبارابه، ويدوّىها ـ أو يلقّنها ـ باىشـاء سادح عـادي لا تصنُّع فيـه ولا تعمُّل(٣٦) ـ تلك هـي المدكّرات الحالدة الموسومه «كتاب الاعتبار»٠ أملاهـا اُسامه وهو يردّد

اذا كتبتُ فحطّـي حـدٌ مصطـربٍ
كحطِّ مـرتعشِ الكفّيـں مرتعـد
فاعحب لصعفِ يدي عں حملها قلماً
مـں ىعدِ حطمِ القىا فـي لَبَّة الأسدِ
وإں مستُ وفـي كفّي العصا ثقلتْ
رِحـلي كأنّي أحوصُ الوحلَ في الحَلَدِ(٣٧)

ولساں حاله

(٣٥) لم يتىه لهدا الحلط ىں الاُسامتَىں الاں شحو محرّر صالح ىں يحيى فاىه في حاشية٢ ص٣٥ حعل الاسىں واحدا

(٣٦) الشاد الوحيد عـں هده القاعدة وصف أُسامه لسحوحته ولعطف صلاح الديـں عليه ادىاه ص ١٦ ـ ١٦٦

(٣٧) ادىاه ص١٦٣ ـ ١٦٤

مقدّمة المحرّر

قد كنتُ مسعرَ حرب كلّما خمدت
أذكيتُها باقتداحِ البيضِ في القُللِ

امّا الآن

فصرتُ كالعادةِ المكسالِ مضجعُها
على الحشايا وراءَ السُّجفِ والكللِ
قد كدتُ أعفنُ من طولِ الثواءِ كما
يصدّىءُ الهندَ طولُ اللّبثِ في الحلل
أروح بعد دروعِ الحرب في حُللٍ
من الدّبيقي فبؤساً لي وللحُللِ (٣٨)

بين كتب الأدب العربي سيرٌ عددها غيرقليل. منها ما كُتب في عصر اُسامه بالذات كسيرة صلاح الدين الموسومه «الفتح القسي في الفتح القدسي» بقلم عماد الدين الكاتب الاصفهاني، وأختها الموسومة «النوادر السلطانيّه» بقلم القاضي بهاء الدين، وكسيرتَي نور الدين وصلاح الدين المعنونتَين «كتاب الروضتين في اخبار الدّولتين» بأليف ابي شامة. ولكنّها كلها تتضاءل أمام سيرة اُسامه بقلم نفسه. «كتاب الاعتبار» هواول سيرة في الآداب العربية ـ على ما نعلم ـ المترجِم والمترجَم له فيها واحد

رمى المؤلّف من وراء كتابه الى تعليم امثوله أدبية، لذلك سمّاه «كتاب الاعتبار». وأورد موادّ يُرجَى منها ان يَعتبر

(٣٨) ادباه ص ١٦١

القارىء بما حلّ بغيره وان يستفيد لنفسه (ادناه ص١٦٢). أمّا العظة التي اراد ان ينفسها على ذهن القارىء بحيث لا تُمحى فهي «ان ركوب أخطار الحروب لا يُنقص أجل المكتوب. فاني رأيتُ... معتَبرا يُوضح للشجاع العاقل، والجبان الجاهل، ان العمر موقَّت مقدَّر، لا يتقدَّم اجله ولا يتأخَّر» (ادناه ص١٦٢)، وان «الله مقدّر الأقدار، وموقّت الآجال والاعمار» (ادناه ص ٦٢)، وانه يجب ان لا «يظنّ ظانّ ان الموت يقدّمه ركوب الخطر، ولا يؤخّره شدة الحذر» (ادناه ص١٦٣)، وان «النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى، لا بترتيب وتدبير، ولا بكثرة نفير ولا نصير» (ادناه ص١٤٧)

ولا ِثبات قصيَّته أتى المؤلّف بالقصَّة تلو القصَّة. التشابه والمشاركة، واحياناً التناقض والمخالفة، كان السِّلك الذي قاده من روايه الى رواية. ولكن الكثير من المادّة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصَّة به. هنا وهناك يشعر القارىء ان الراوي قد دسّ شيئاً من «البهار» على القصَّة لتحسينها، أو مطّ الواقع قليلاً في الحادث لا ِتساع داعي العرضيَّة. أخبار كرامات الأولياء ومناقبهم (الباب الثاني ص١٦٩ ـ ١٨٧) كلها اوردها ا ُسامة، ولم يتسامَ فوق المستوى الذي عاش فيه جيله. كذلك

الاحلام آمن بها ووضع فيها كتابا خاصاً (ادناه ص١٨٦)

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حلّل فيه اُسامة الأثر الذي أثّره في نفسه ـ وهو المسلم المحافظ ـ الافرنج الصليبيّون. ملاحظات ابن خير واقوال ابن الاثير لها أهميتها. ولكنها لا تواري اهمية هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة. الافرنج ـ في نظر المؤلف ـ لهم شجاعتهم، ولكنّهم خالون من «الغيرة» الجنسية (ادناه ص١٣٥). طبّهم سادج جاهل بالمعارضة مع الطب العربيّ على ما مثّله ثابت (ادناه ص١٣٢ ـ ١٣٣) وابن بطلان النصرانيّان (ادناه ١٨٣ ـ ١٨٥). محاكمابهم عبيّة غريبة (ادناه ص١٣٨ ـ ١٤٠). «مَن هو قريب العهد بالبلاد الافرنجيّة أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين» (ادناه ص ١٣٤). الكاتب لم يضنّ عليهم بلقب شياطين (ادناه ص١١٨ س ٢١ وص١٢٨ س١٤) و «كافرين» (ص١٢٨ س١٤ وص١٣٥ س ١٤) ولم يتردّد في استنزال لعنة الله عليهم (ص١٣٩ س١٤ وص ١٤٠ س١) عملاً بسنّة كتّاب ذلك اليوم، وفي الدّعاء الى الله تعالى كي «يطهّر الدنيا منهم» (ص١٣١ س٥). لذلك يلذّ لنا ان نسمع صديقاً افرنجيّاً يدعو اُسامة «يا اخي» (ص١٣٢ س٩) ويرجوه ان يسمح لابنه مُرهَف ان يرافقه الى بلاد الافرنج، وان

نرى أُسامـه يدعو الفرسان الداويَّة (Templars) «أصدقائـي» (ص١٣٤ س٢٠)، ونـرى هؤلاء يُخلون له فـي المسجد الاقصى مكاناً صغيراً يصلّي فيه اذا زار بيت المقدس

وفي الكتاب فضلاً عن ذلك اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشاميه لذلك العهد مـن زراعية واجتماعية، وتعرض أمام بصائرنا الوانا شتّى من صور الحياة السورية العربية• القطن كان من غلّة كفرطاب (ص١٥١ س١٦)، غابات شمالـي البلاد الكثيفة كانت غنيَّة بالأُسـود والنمور والغـزلان وحُمُـر الوحش (ص١٠٥ ـ ١١٢ و١٩٢ ـ ١٩٣)، جلاء العروس (ص١٨٠ س٢) ـ على ما هـو متّبع لليوم فـي لبنان ـ كان عادة مرعيَّة فـي القرن الثاني عشر، استئجار ندّابات ندبفي المآتم (١١٥ س١٢) كانمعروفاً يومئذٍ كما هو معروف اليوم

آخر فصول الكتاب (ص١٩٠ فما بعد) يتناول مسألة الصيد على ما مارسه أبناء ذلك الزّمان بالبازي والصقر وبمعونة الكلاب، وذلك على شواطىء دجله والفرات والعاصي والنيل• حتى صيد السمك بالطُّرق العتيقه الساذجه لم يفت أُسامه فانه وصفها (اذناه ص٢١٧ ـ ٢١٨) كأنّك ترى العمليه بعينَيك

مخطوطه «كتاب الاعتبار» هـي وحيدة لا أخت لها، علـى ما

نعلم، محفوظة فـي مكتبة الاسكوريال باسابيا٠ وهي ٦٧ ورقة، ولكنّـها مخرومه الأوّل حيث ضاع منهـا ٢١ ورقه، فيكون أصلها ٨٨ ورقة٠ المحطوطه مكتوبه بالحبر الاسود بالخطّ السامي الذي يرتقي الـى القرن الثالث عسر٠ فهي ادن مـں أقدم المحطوطات العربيه التي اتصلت بنا

في خاتمه المحطوطة ما نصُّه

وكان في آخر الكتاب ما مثالهُ
قرأ هذا الكتاب من أوّله الى آخره في عدّه مجالس على مولاي حدّي
الامير الاجلّ العالم الفاضـل الصدر الكامل عضد الدين، جليس
الملوك والسلاطين، حجه العرب خالصه امير المؤمنين، أدام
الله سعادتـه وسألته ان يحررـي روايته عنـه
فاجابني الى ذلك وسطّرخطّه الكريم به
وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر
سنـه عشر(٣٩) وستمايـه
صحيح ذلـك وكتـب
حدّهُ مرهف بن
أسامه بن
منقذ
حامداً
ومصلياً

التاريخ اعلاه، ١٣ صفر سنة ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) هو ليس تاريخ محطوطتنا هـذه ـ كما وهـم درنبورغ(٤٠) ـ بل تاريخ

(٣٩) «عسره» في الاصل فا بل ادناه ص٢٢٦
(٤٠) في المقدّمه الافرنسيه ص ١ التي قدّم بها طبعه «كتاب الاعتبار»

فيشكوه وكل من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقا من الذين قد تبلدوا
وعاشروا المسلمين فمن جفا اخلاقهم قبحهم الله اني كنت اذا زرت البيت المقدس
دخلت الى المسجد الاقصى وفي جانبه مسيجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة فكنت اذا دخلت
المسجد الاقصى وفيه الداوية وهم اصدقاي يخلون لي ذلك المسجد الصغير اصلي فيه فدخلته
يوما فكبرت ووقفت في الصلاة فهجم علي واحد من الافرنج مسكني ورد وجهي الى الشرق
وقال كذا صلي فبادر اليه قوم من الداوية اخذوه اخرجوه عني وعدت انا الى
الصلاة فاغتفلهم وعاد هجم علي ذلك بعينه ورد وجهي الى الشرق وقال كذا
صلي فعاد الداوية دخلوا اليه واخرجوه واعتذروا الي وقالوا هذا غريب وصل
من بلاد الافرنج في هذه الايام وما راى من يصلي الى غير الشرق فقلت حسبي من الصلاة
فخرجت فكنت اعجب من ذلك الشيطان وتغير وجهه ورعدته وما لحقه من نظر الصلاة
الى القبلة ٥ ورايت ــــــ واحدا منهم جاء الى الامير معين الدين رحمه الله
وهو في الصخرة فقال تريد تبصر الله صغيرا قال نعم فمشى بين ايدينا حتى ارانا صورة
مريم والمسيح عليه السلام صغير في حجرها فقال هذا الله صغير تعالى الله عما
يقول الكافرون علوا كبيرا وليس عندهم شي من النخوة والغيرة يكون الرجل منهم يمشي هو
وامراته يلقاه رجل اخر ياخذ المراة ويعتزل بها ويتحدث معها والزوج
واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فاذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى
ومما شاهدت ــــــ من ذلك اني كنت اذا جئت الى نابلس انزل في دار رجل
يقال له معز داره عمارة للمسلمين لها طاقات تفتح الى الطريق ويقابلها من جانب
الطريق الاخر دار لرجل افرنجي يبيع الخمر للتجار ياخذ في قنينة من النبيذ وينادي عليه
ويقول فلان التاجر قد فتح بتية من هذا الخمر من اراد منه شيا فهو في موضع كذا
وكذا واجرته عن ندائه النبيذ الذي في تلك القنينة فجاء يوما ووجد رجلا
مع امراته في الفراش فقال له اي شي ادخلك الى عند امراتي قال كنت تعبان
دخلت استريح قال فكيف دخلت الى فراشي قال وجدت فراشا مفروشا
نمت فيه قال والمراة نايمة معك قال الفراش لها كنت اقدر امنعها من فراشها

Facsimile of Folio 41B of Kitāb al I'tibar MS in the Escurial

صفحة ٤١ ب منقولة عن مخطوطة «كتاب الاعتبار» المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

قال وحق ديني إن عدت فعلت كذا اخاصمت انا وانت فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته ٥

ومن ذلك انه كان عندنا رجل حمامي يقال له سالم من اهل المعرة في حمام لوالدي

رحمه الله قال فتحت حماما في المعرة اتعيش فيها فدخل اليها فارس منهم وهم

ينكرون على من يشد في وسطه المئزر في الحمام فمد يده جذب مئزري من وسطي

رماه وراني وانا قريب عهد بحلق عانتي فقال سالم فعرفت فضرب بيده على عانتي وقال

سالم جيد وحق ديني اعمل لي كذا واستلقى على ظهره وله مثل لحيته مثل ذلك

في ذلك الموضع فحلقته فمر يده عليه فاستوطاه فقال سالم وحق دينك اعمل

للداما والداما بلسانهم الست يعني امراته وقال لغلامه قل للداما تجي فمضى الغلام

احضرها وادخلها فاستلقت على ظهرها وقال اعمل كما عملت لي فحلقت ذلك الشعر

وزوجها قاعد ينظر الي فشكرني ووفاني حق خدمتي ٥ فانظروا الى هذا الاختلاف

العظيم ما فيهم غيرة ولا نخوة وفيهم الشجاعة العظيمة وما تكون الشجاعة الا

من النخوة والانفة من سوء الاحدوثة ٥ ومما يقارب هذا اني معا

دخلت الحمام بمدينة صور فجلست في خلوة فيها فقال لي غلامي في الحمام امراة

فلما خرجت جلست على المصاطب واذا التي كانت في الحمام قد خرجت وهي مقابلي قد

لبست ثيابها وهي واقفة مع ابيها ولم اتحقق انها امراة فقلت لواحد من اصحابي

بالله ابصر هذه امراة هي واردت ان يسال عنها فمضى وانا اراه رفع ذيلها

وتطلع فيها فالتفت اليه ابوها وقال هذه ابنتي ماتت امها وما لها من يغسل راسها

فادخلتها معي الحمام غسلت راسها فقلت جيد عملت هذا لك فيه ثواب ٥

ومن عجيب طبهم ما حكاه لنا كليام دبور صاحب طبريه وكان مقدما

فيهم وانه رافق الامير معين الدين رحمه الله من عكا الى طبريه وانا معه فحدثنا في الطريق

قال كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت فجئنا الى قس كبير من

قسوسنا قلنا تجي معنا تبصر الفارس فلان قال نعم ومشى معنا ونحن نتحقق انه

اذا حط يده عليه عوفي فلما راه قال اعطوني شمع فاحضرنا له قليل شمع

فلينه وعمله مثل عقد الاصبع وعمل كل واحدة في جانب انفه فمات الفارس

Facsimile of Folio 42A of Kitāb al I'tibār MS in the Escurial

صفحة ٤٢ وجه منقولة عن مخطوطة «كتاب الاعتبار» المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

الأُمّ التي نُسِخَتْ عنها. نسختنا اذن غير مؤرَّخة، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتب بعد وفاة المؤلف (أُسامه) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف ابن اسامه المكتوب ممهورة بامضائه

المخطوطة هذه نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤)• وهي التي نحن الآن ننشرها نقلاً عن الصورة الفوتغرافيه التي استحصلناها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركيه في مدريد

مخطوطتنا هذه حافله بالاغلاط النحويه الصرفيه التي لا يمكن ان يكون مؤلفها ـ واضع كتاب في البديع وصاحب ديوان ـ قد ارتكبها• وهي فضلاً عن ذلك مشبَعه بالعبارات العاميه (ولا سيما في الجمل المقتبسه والمحكيه)، مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً، وان ايدي الناسخ او النسّاخ عبثت به

واليك امثله من آثار عدم العنايه في النسخ «دسيّ» «دس» (ص٥٢ س١ ـ ٢) ـ «موز» «مورا» (ص٧٢ س١٤ ـ ١٥) ـ «الرَّحى» «الرحا» (ص١٠٥ س٦و١١) ـ «قاسم» «قسيم» (ص ١٧٠ س١٧ وص١٧٢ س١٣) ـ الى آخر ما هنالك من الكلمات التي وردت بصورتين او اكثر في سطر واحد أو في صفحة واحدة

اما استعمال العارات العاميَّه فهو فصلاً عـن دلالته على سلامه دوق اُسامه فـي الاساء ـ اد ان ثمة الكثير مـن الحمائـق العيدة العور في طيعه الاسان واحتاره لا يسهل التعير عىها في الأدب العالي وحلّه اصطاعي ىل في السق «الدارح» الأقرب اتصالاً ىمصادر الحياة و ىواحيها ـ فأمره يهمّا من وحهه احرى٠ مماثلة هده الاصطلاحات مع ما يماثلها فـي لعتا العاميه اليوم فيه درس هامّ في ىطوّر اللعه العربية المحكيَّة٠ وهاك امثله من اُسامه

(ا) «أيس [أيّ سيء] اتـم؟» (ص١٢ س٦) ـ «ما فـي [لا يقدر] هدا يسرق رعيف حىر» (ص٤٥ س٨ ـ ٩) ـ «ىموا [مـا رالوا] ىطردوىهـم» (ص٥١ س٢) ـ «حمت لا [لئلا] يكـون» (ص٦٤ س٧ و١٥) ـ «طلَّع [تطلَّع] ىحتها» (ص٢١٤ س١٦) ـ «حمدت الله سىحاىه الدى [اللّي ـ في العاميه] ما ىاله صرر» (ص ٦٣ س٧)

(ب) استعمـال صيعه الحمع العاقـل لِما لا يعقـل «الكلاب ىطعمهم [ىطعمها] من عيىسا» (ص١٢ س١٤)

(ح) استعمال المثنّى المصوب في حاله الرفع «ديواني كل سهر ديناريـن [ديـاران]» (ص٧٥ س١٦) ـ «وفيه حرىقَيـن [حرىقان]» (ص١٩٦ س١٤)

الدهي(٤٣) فاختر لك منها ما يحلو

عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة، كما هي الحال في اللغات الاوربيه، يؤدي أحيانا للاشتباه في اللغه العربيه. ففي صفحه ٥٠ سطر ١٦ (ادناه) وصفحه ٢٠٦ سطر ١٤ وردت «العلاة» وهي اسم بلدة في سوريه الشماليه فحسبها درنبورغ (ص ٣٧ و١٥٢) نكرة وترجمها "la ville haute" (٤٤). أما «قريه حربه» (ادناه ص٨١ س٧) فحسبها علماً(٤٥)

ارجاع الضمير من معضلات العربيه. والاشكال فيه جعل درنبوغ مرّة يحسب ان المطعون طار من السرج الى ردفه الحصان(٤٦)، والحال انه الطاعن (ادناه ص٦٣ س٥)، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض(٤٧)، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه (ادناه ص١٤٦ س٧)، وثالثه ان الجريح أُغشي عليه(٤٨) والحال ان الغلام الشاهد هو الذي أُغشي عليه (ادناه ص١٤٥ س١٨)

(٤٣) «المشبه» (لندن ١٨٦٣) ٩٧ ـ ١

(٤٤) *Autobiographie* ص ٥

(٤٥) ايضاً ص ٨١

(٤٦) ايضاً ص٦٣

(٤٧) ايضاً ص١٤٢

(٤٨) ايضاً ص١٤٢

ليس فـي مصطلحات العربيه علامات للاقتباس تصمّن الجمل المحكيه. وهدا ما حعل درسورع(٤٩) يعتبر الجمله الاحيرة من حطاب أُسامة لرحّالة عسقلان داحلة فـي دلك الحطاب، مع انها ليست حرءا منه (ادىاه ص١٦ س٧). لمّا مثل اُسامـه بين يدَي الملك الافرىحي فأعرب له هدا عن فرحه به لأنه فارس عطيم أحاب اُسامة (ادىاه ص٦٥ س١٤ ــ ١٥) «انا فارس من حسبي وقومي». وورد على اثر دلك فـي الاصل «واذا كان الفارس دقيقـاً طويلاً كان اعحب لهم». فدرسورع(٥٠) صمّن هده العبارة الثانيه في الاقباس وحعل اُسامه بالاستتاح دقيقـاً طويلا، والدي يلوح لي ان العبارة الثانيه عيرداحله في الاقتباس والصمير فيها يعود للافرىح، فيكون اُسامة سميناً قصيرا

لم يكن اُسامه يحسن عير اللعه العربيّة. فهو يقول عن الافرىح «انهم لا يتكلمون الا بالافرىحي ما ندري ما يقولون» (ادىاه ص ٦٦ س٨). وفـي مكان آحر (ادىاه ص١٤٠ س٢١ ــ ٢٢) يسير الى امرأه افرىحيه «بربر بلسانهم وما ندري ما تقول». ثم يدكر ان رفيقه العِسْياني «التفت الى علام له كلـّمه بالتركي ولا ادري ما يقول» (ادىاه ص١٠٠ س٩ ــ ١٠)، وفـي عير موضع يقول «وهم

(٤٩) *Autobiographie* ص١٤ س٣٨

(٥٠) ايضاً ص٦٦

يتكلّمون بالتركي ولا أدري ما يقولون» (ص١٥١ س٧)· على ان ذلك كله لم يمنعه من استعمال كلمات افرنجيه كـ «سرجندي» (ص٧٥ س١٥) و «سرجند» (ص٦٧ س٦) (sergeant) ـ «تركولي» (ص٥١ س١) (Turcopole) ـ «برجاسي» (ص ١٤١س٣) (bourgeoisie) ـ «البسكند» (ص١٣٩س٤) (viscount) ـ «الداما» (ص١٣٦ س٢٠) (Madame) ـ «البرنس» (ص ١١٩ س١) (prince)

والذي يهمّنا اكثر من ذلك استعماله طائفة من الكلمات الفارسية والتركيه واليونانيه التي كانت صقلتْها ألسن متكلمي العربيه وألفتْها آذانهم· وممّا يجب ملاحظته ان غالب أسماء آلات الحرب انما هي فارسيه، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربيه عن جيرانهم الفرس· واليك بعض الامثلة من الالفاظ الفارسيه المعرَّبه

«سِنْدَروس» (ص١٢ س٢) (تعريب سَنْدروس، معدن) ـ «سَرْفسار» (ص١٣ س١٧) (سَرْأفسار، راس العنان) ـ «كُزاغَند» (ص٤٦ س١٤) (كزاگند، كزاغند، سترة تقوم مقام الدرع) ـ «دركاه» (ص٤٩ س١٣) (درگاه، بلاط الملك) ـ «دستي» (ص٥٢ س١) (دسته، خنجر) ـ «جِشْت» (ص٥٢ س

٦) (حِسْب، حربه) ـ «موزا» (ص٧٢ س١٤) (مُوره، حِرف) ـ «اوربه» (ص٧٣ س٦) (اوزبك، امير الجيس) ـ «نُست» (ص١١٧ س١٣) (پست، عاءة) ـ «تَرْكش» (ص٢١٣ س١٧) (بر كس، حعبه) ـ «ديدب» (ص١٢٧ س١٣) (ديدبان، راقب)

وهنالك لفطتان فارسيتان استبه امرهما على درسورغ فحسبهما عربتين «برحم» (ص١٥٩ س٧) وهي پرحم، سعر ذنب عجل الحر. فطنّها درسورع «براحم» العربيه وبرحمها "articulations de doigts" (٥١). و «ساف» (ص١٢٣ س٣) وهي في الراحح «بِساف» الفارسية بمعنى بلبه. ولقد برحمها درسورغ "consomption" (٥٢)

واليك انموذح من الالفاط التركيه الواردة في الكتاب «يَرَق» (ص١٠١ س١٩) وهي يراق، سلاح ـ «حوبان» (ص١٠٦ س٣) وهي چوبان، راعٍ (٥٣)

ومن الالفاط اليونانية «سملاطون» (ص١١ س١) ثياب موشّية ـ «قبطاريه» (ص٥٧ س٢٠) الرمح ـ «رربول» (ص١٠٩ س٣) حذاء

(٥١) *Autobiographie* ص١٥٦

(٥٢) ايضاً ص١٢٩

(٥٣) اما درسورغ فحسبها علماً "Djaubān al-Khail" في *Autobiographie* ص ٥ ١ س ١

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبليَ جهاد العلماء الابطال في حل ألغاز المخطوطه العربيه و كشف معمياتها، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم المراد

على اثر ظهور ترجمه درنبورغ الافرنسيه لـ «كتاب الاعتبار» ظهرت ترجمه المانيه بقلم شومان(٥٤) اعتمد فيها الكاتب على الترجمه الافرنسيه برغم تصريحه في مقدمه الكتاب انه ترجمه عن الاصل العربي. وهذه بعض الشواهد على ذلك درنبورغ اغفل سهواً في ترجمته(٥٥) اسم خطيب ابن سعرد الاول وهو «سراج الدين» مع انه مثبت في طبعه العربيه (ص١٢٥ س٥. قابل إدناه ص١٧٠ س٢) و كذلك فعل شومان (ص٢٢٩). أقحم درنبورغ في مكانين من ترجمته (ص٢٦ س١٤ و٣٧) كلمه «نصر» بعد «ناصر الدين» وهي غير واردة في طبعه (ص٢٠ س٢ و١٢. قابل ادناه ص٢٦ س١٥ وص٢٧ س٦) وسومان (ص٥٠ و٥١) اتبع اثره. في موضع آخر اشتبهت كلمه «ثمان» (ادناه ص١٠٥ س٤) على درنبورغ (ص٧٧ س١٩) فحسبها «ثمن» وجعل عله

(٥٤) *Usāma Ibn Munkidh Memoiren* Georg Schumann (انسبروك ١٩٠٥)

(٥٥) *Autobiographie* ص١٦٥

الطاحون مائــه دينار "cent dīnārs" (ص١٠٤ س١٩ و٢٨) بدلا من ثمان مائه دينار، وسوماں اقمى اثره وبرحم "hundert Denaren" (ص١٥٤ س١٥ ـ ١٦ و٢٤)

ولقد سر كاتب هده السطور في العام الفائت عن المحطوطة المودوعه بالاسكوريال «كتاب الاعتبار» هدا مترحماً للانكليريه بعنوان *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades* طبع بيويرك. وهـي المحطوطه التي بمثـلها الآن للنسر. وفـي العـام نفســه ظهر فـي لندن طبعه احــرى انكليريه(٥٦) لا قيمه علميه لها ولا حديد فيها لانها مبنيه علـى الترحمة الافرنسيه السابقه

ولا بد في الحتام من التنبيه الـى انـي كـنـت ارعب حدّ الرغبة ان ابقي الاصل المحطوط على ما هو تماماً دون إحداث ايّ تغيير او إبدال، لولا ان ذلك الاصل على ما انتهى الينا سقيم حالٍ مـن النقط والحركات وعلامات الوقف والعناويـن، كما يتضح مـن نمادج الصور الفوتوعرافيه المنشورة في هدا الكتاب. فنسرُه على اصله لا يفهمه قارئ. لدلـك رأيت ان ابوّب الكتاب، واقسمه فقرات، واجعل للابواب والفقرات عناوين كلها من قلم التحرير

(٥٦) G R Potter, *Autobiography of Ousama ibn-Mounkidh*

سوى كلمه «فصل» في راس الباب الثاني ص١٦٩ و «قصد الفرنج دمسق» عنوان قطعه ص١١٤. وعلى كلٍّ فاني لم احدث تغييراً ما الا اشرتُ اليه في الحاشيه مع اثبات الاصل. كل ذلك تقيُّداً بالسنن العلمية الحديثة المرعيه في نشر المخطوطات، وعملاً بواجب الامانة التاريخية. وكلما كان ضمن قوسين مربعين [ ] في المتن هو ايضاً من قلم المحرّر. والاعداد ضمن القوسين تشير الى عدد الصفحات في المخطوطه الاصليه، وهي مرفوقه بالحرف و ـوجه أو ق ـ قفا

في مساء الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ (١٥ تشرين الثاني سنة ١١٨٨)، وهي السنه التالية للسنه التي استرجع فيها صلاح الدين بيت القدس من يد الافرنج، تُوفي اُسامه في دمشق عن ٩٦ سنه قمرية (٩٣ شمسية)، ودفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت(٥٧) بانه «معظَّم مقدَّس». ولقد دُرس قبره مع ما دُرس من الاثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على انقاضها الدور الحديثة(٥٨) ولكن المترجم

(٥٧) «معجم البلدان» ٤ ١٣

(٥٨) هذه خلاصة تقرير تكرّم به الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلّفته أمر التنقيب عن قبر أسامه

الدمشقي السهير اس حلّكان زار تر به اُسامه بُعيد وفايه حيث قال «ودحلت تربته وهي علسى جاىب بهر يريد السمالي وقرأت عده سيئاً من القرآن وترحّمت عليه»(٥٩)

(٥٩) «تاريح» ١ ١١٢ يعيّں «لىل البلايا» لوفاه أُسامة وهو مساء الاىس كدلك يعىّں يوم الاحد ٢٧ حمادى الآحر سه ٤٨٨ لولادتـه، ولكں هدا التاريح تقع الاربعاء انطر ادىاه ص١٢٤ ح ٧

الباب الاول
حروب واسمار

الباب الاول

حروب واسفار

١ ـ قتال الافرنج(١)

معركه قنّسرين(٢)

(٣)...[١ و] ولم يكن(٤) العل في دلك المصافّ في المسلمين كثيراً. وكان وصل من الامام الراسد بن المسترشد(٥)، رحمهما الله، ابن بسر(٦) رسولا الى اتابك(٧) يستدعيه فحصر دلك المصافّ، وعليه جوشن مذهّب، فطعنه فارس من الافرنج، يقال له ابن الدقيق(٨)، في

(١) ابواب الكتاب والعناوين كلّها من قلم المحرّر، ما عدا «قصد الفرنج دمشق» عنوان قطعه ص١١٤ وكلمه «فصل» في راس الباب الثاني ص١٦٩ فانها اصليّة

(٢) بلده في سمالي سوريه ولقد حفظ لنا الذهبي «تاريخ الاسلام» (لحق درنبورغ *Vie d' Ousāma* باريز ١٨٨٩) ص١٦-٢٦ اساره الى هذه المعركه فلم أسامه يدل على ان أسامه سهدها بنفسه

(٣) المخطوط محروم من اوّله وعدد الاوراق الناقصه ٢١

(٤) «علم يكن» في «كتاب الاعتبار» لابن منقذ طبعه هرتويغ درنبورغ (ليدن ١٨٨٤) ص٢ وسنسير اليها فيما بعد بقولنا طبعه درنبورغ «ولم يكن» في *Critica Arabica* Carlo de Landberg (ليدن ١٨٨٨) نمره ٢ ص١٥

(٥) الخليفه العبّاسي ٧ ايلول سنه ١١٣٥ ـ ٨ آب سنه ١١٣٦

(٦) ابو بكر بشر بن كريم بن بشر ذكره ابن الاثير «الكامل» طبعه طرنبرغ (ليدن ١٨٥١ ـ ٧٤) ج ا ص٥ ٤

(٧) لقب تركي فارسي معناه «والد الامير» والاشاره الى عماد الدين زنكي أتابك الموصل ١١٢٧ ـ ١١٤٧ »

(٨) لعلّها تحريف Benedictus وكانت تلفظ بالافرنسيّة في ذلك العهد "Beneideit"

صدره احرح الرمح من طهره، رحمه الله٠ بل قُتل من الافر نج حلق كثير

وامر اتابك، رحمه الله، فجُمعت رؤوسهم في حقل مقابل الحصن، فكانت قدر ثلاثه الاف رأس

الروم والافرنج يحاصرون شيرر

ثم ان ملك الروم(٩) عاد حرج الى البلاد فـي سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة(١)، واتّفق هو والافرنج، خذلهم الله، واجمعوا على قصد شيرر ومنازلتها٠ فقال لي صلاح الدين «ما ترى(١١) ما فعله هذا الولد المُنكَل؟» يعني ابنه شهاب الدين احمد٠ قلت «واي شيء فعل؟» قال «انفذ اليّ يقول «انصر مـن سولَى بلدك»» قلت «واي شيء عملت؟» قال «نفّدتُ الى اتابك اقول «تسلَّم موضعك»»٠ قلت «بئس ما فعلت! أما يقول لك اتابك «لمّا كانت لحمـاً اكلها، ولمَا صارت عظماً(١٢) رماها عليّ؟»» قال «فايّ شيء اعمل؟» قلت «انا اجلس فيها فـان سلَّم الله تعالى كـان بسعادتك، ويكون وجهك ابيض عند صاحبك وان أُخذ الموضع وقُتلنا كان بآجالنا، وانت معذور»٠ قال «ما قال لـي هذا القول احد غيرك»

وتوهّمت انه يفعل ذلك٠ فحملتُ الغنم والدقيق الكثير والسمن ومـا يحتاجه المحاصَر٠ فانا في داري المغربَ ورسوله جاءني قال «يقول لك صلاح الديـن «نحن بعد غـد سائرون الـى المَوصِـل فاعمل شغلك للمسير»»٠ فورد على قلبي من هذا همّ عظيم وقلت «اترك اولادي واخوتي واهلي في الحصار واسير الى الموصل؟» فاصبحت ركبت اليه وهو في(١٣)

(٩) جان كومنينوس Comnenus (١١١٨ ــ ٤٣)

(١ ١٩ ايلول سنة ١١٣٧ ــ ٨ ايلول سنه ١١٣٨

(١١) غير واضحه في الاصل

(١٢) «لحم عظم» في الاصل

(١٣) غير واضحه في الاصل

الحمام استأدسُه في الرواح الى سيرر لاُحصر لي هقة ومالاً ىحاح اليه في الطريق(١٤)٠ فادن وقال(١٥) «لا تنطىء»٠ فركت ومصيت الى شيرر٠ فبدا مه ما(١٦) اوحس قلبي، وعرك اسي، فارل، فقَد السى داري، فرفع كلّ ما فيها من الحيام والسلاح والرِحل وقبص على امر احسّي(١٧) وتسَع اصحابي ــ فكانت نكبة كبيرة رائعة

(١٤) «لا حصر لي مه فقال حاجَ اله فى الطرف» طبعه در سورع ص٣
(١٥) هده الكلمه والبى قبلها لا ىمكن قرا بهما في الاصل
(١٦) هده الكلمه وما ىلىها عىر مقروه في الاصل
(١٧) قرآءه هده الكلمه وما قبلها عىر اكيدة

٢ ـ أسامة في دمشق
١١٣٨ ـ ١١٤٤م

فاقتضت الحال مسيري الى دمشق، ورسل اتابك تتردّد في طلبي الى صاحب دمشق. فاقمت فيها ثماني(١) سنين، وشهدت فيها عدّة حروب، واجرى لي صاحبها، رحمه الله، العطيّة والاقطاع، وميّزني بالتقريب والاكرام ـ يضاف ذلك الى اشتمال الامير معين الدين(٢)، رحمه الله عليَّ، وملازمتي [١ ق] له، ورعايته لاسبابي

ثم جرت اسباب اوجبت مسيري الى مصر. فضاع من حوائج داري وسلاحي ما لم اقدر على حمله. وفرّطتُ في املاكي ما كان نكبة اخرى. كلّ ذلك والامير معين الدين، رحمه الله، يحسن يحمل كثير التأسُّف على مفارقتي مقرّ بالعجز عن امري، حتى انه انفذ اليّ كاتبه الحاجب محمود المسترشدي، رحمه الله، قال «والله لو ان معي نصف الناس لضربتُ بهم النصف الآخر، ولو ان معي ثلثهم لضربت بهم الثلثين، وما فارقتُك. لكن الناس كلّهم قد تمالوا(٣) عليّ وما لي بهم طاقة. وحيث كنتَ فالذي بيننا(٤) من المودّة على احسن حاله». ففي ذلك اقول

(١) في سنة ٥٣٢ هـ لمّا حاصر حان كومنسوس شيزر كان أسامة لم يزل فيها وفي سنة ٥٣٩ نجده في مصر فاقامته في دمشق اذن لم تزد مدّتها عن سبع سنين

(٢) معين الدين انَر، وزير شهاب الدين محمود، وظهير أسامة توفي ٣ آب سنة ١١٤٩

(٣) كذا في الاصل وهي من مالأ

(٤) «بننا» طبعه درنبورغ ص٤

مُعسَ الديس كم لك طوقُ مَنٍّ ‏ ‏ ‏ ‏ سجيدي مسل أطواق الحمامِ
نُعبّدسي لك الاِحسانُ طَوعاً ‏ ‏ ‏ ‏ وفي الاحسان رقٌ للكرامِ
فصار الى مودّتك اساسي ‏ ‏ ‏ ‏ وان كنتُ العطاميّ العصاميِ
الم تَعلم ناتي لا اسمائي ‏ ‏ ‏ ‏ الىك رمى سوادي كلُّ رامِ
ولولا اسَ لم نُصحب شِماسي ‏ ‏ ‏ ‏ لِيفَسرِ دون إعْدارِ الحُسامِ
ولكس حمتُ مس نار الأعادي ‏ ‏ ‏ ‏ علىك فكىتُ إطفاءَ الصِّرامِ

٣ ـ أسامه في مصر
١١٤٤ ـ ١١٥٤م

ثورة في الحيش المصري

فكان وصولي الى مصر يوم الحمس الثاني من حمادى الاحرة سنه تسع و ثلثين وحمس مائة(١) فاقرني الحافظ لدين الله(٢) ساعة وصولي. وحلع عليّ بين يديه، ودفع لي تحت ثياب ومائه دينار، وحولني(٣) دحول الحمّام، وانزلني في دار من دور الافصل بن امير الحيوش(٤) في عاية الحسن وفيها بُسطها وفرشُها ومرتبة كسره وآلتها من النحاس ـ كلّ ذلك لا يُستعاد منه شيء. واقمت بها مدّة(٥) اقامةً في إكرام وإحترام وإنعام متواصل وإقطاع راح

فوقع بين السودان، وهم في حلق عظم، شرّ وحُلف بين الريحانية، وهم عبيد الحافظ، وبين الحيوسيَة(٦) والاسكندرانيّة والفرحيّة. فكان الريحانيّة في حانب، وهاولاء كلّهم في حانب، متّفقس على الريحانيَة وانضاف الى الحيوسيّة قوم من صبيان الخاص(٧). فاحتمع من الفريقين حلق عظم وعاب(٨) عنهم الحافظ، وتردّدت اليهم رسله، وحرص

(١) ٣ سبر س الثاني سنه ١١٤٤
(٢) الحليفه الفاطمي توفي تسرس الاوّل سنه ١١٤٩
(٣) غير واضحه في الاصل
(٤) «امير الحيوش» لقب الوزير بدر الحمالي وهو ارمني الاصل
(٥) ١١٤٤ ـ ٥٤م
(٦) نسبه لبدر الحمالي «صبح الاعشى» للقلقشندى (مصر ١٩١٦ ـ ٢٥) ج٣ ص ٤٨٢
(٧) الحرس الفاطمي وعدده ٥ القلقشندي ٣ ٤٨١
(٨) «وعلب» طبعه در نبورغ ص٤

على ان يُصلح بيهم. فما احابوا الى دلك، وهم معه في حاب البلد. فاصبحوا التقوا في القاهره فاستظهرت الحيوشيَّة واصحابها على الريحانيَّة فقتلت منهم في سُوَيقه [٢ و] امير الحيوش الف رحل حتى سدّوا السويقة ونحن نبيت ونصبح بالسلاح حوفاً من ميلهم علينا، فقد كانوا فعلوا دلك قبل طلوعي الى مصر

وظنّ الناس لمَّا قُتل الريحانيه ان الحافظ ينكر دلك ويوقع بقاتليهم، وكان مريضاً على شفى. فمات، رحمه الله، بعد يومين، وما انتطح فيها عنزان

حروح ابن السلّار على الظافر

وحلس بعده الظافر بامر الله، وهو اصغر اولاده. واستوزر نجم الدين بن مصال، وكان شيخاً كبيراً. والامير سيف الدين ابو الحسن علي بن السلّار(٩)، رحمه الله، اذ ذاك في ولايته. فحشد وجمع وسار الى القاهره، ونفذ الى داره. فجمع الظافر بامر الله الأمراء في مجلس الوزارة، ونفذ الينا زمام القصور(١٠) يقول «ياامراء هذا نجم الدين وزيري ونائبي. فمن كان يطيعني فليطعه ويمتثل امره». فقال الأمراء «نحن مماليك مولانا سامعون مطيعون» فرجع الزمام بهذا الجواب

فقال امير من الامراء شيخ يقال له لكرون «ياامراء، نترك علي بن السلّار يُقتل؟» قالوا «لا والله». قال «فقوموا». فمروا كلُّهم وخرجوا من القصر شدّوا على خيلهم وبغالهم وخرجوا الى معونة سيف الدين بن السلّار. فلمّا رأى الظافر دلك وغلب عن دفعه اعطى نجم الدين بن مصال مالاً كبيراً وقال «اخرج الى الحوف(١١)، اجمع واحشد وانفق فيهم، وادفع ابن السلّار». فخرج لذلك

(٩) «السلّار» في «السيكلوبيديه الاسلاميه» ماده «العادل» وولايته الاسكندريه ونحيره

(١٠) القلقشندي ٣ ٤٨٥

(١١) مقاطعة في شرقي الدلتا

ودحل ا بن السلّار القاهرة، ودحل دار الورارة٠ واتّفق الحند علـى طاعته، واحسن اليهم٠ وامر بي ان ابيت انا واصحابي في داره، وافرد لي موضعاً في الدار اكون فيه وابن مصال في الحوف قد جمع من لَوَاتة(١٢) ومن حند مصر ومن السودان والعربان خلقاً كثيراً٠ وقد حرج عبّاس ركن الدين، وهو ابن امرأة علي بن السلّار، صرب خيمه في ظاهر مصر٠ فعدت سرية من لَوَاتة، ومعهم سيب لابن مصال، وقصدوا مخيم عبّاس٠ فانهزم عنه جماعة من المصريين، ووقف هو وغلمانه ومن صبر معه من الحند ليلة محايستهم

و بلغ الخبر الى ابن السلّار فاستدعاني في الليل، وانا معه في الدار، وقال «هاولاء الكلاب (يعني حند مصر) قد شغلوا الامير (يعني عبّاساً) بالموارع، حتى عدا اليه قوم من لَوَاتة ساحة، فانهزموا عنه ودحل بعضهم الى بيوتهم بالقاهره، والامير مواقفهم»٠ قلت «يامولاي، نركب اليهم في سحر٠ وما يضحي النهار الا وقد فرغنا منهم، ان شاء الله تعالى»٠ قال «صواب٠ ابكر في ركوبك» فخرجنا اليهم من بكرة، فلم يسلم منهم الا من سبحت به فرسُه في النيل٠ واخذ سيف ابن مصال صرب رقبته

هزيمة ابن مصال

[٢ ق] وجَمع العسكر مع عبّاس وسيّره الى ابن مصال٠ فلقيه على دلاص(١٣)، فكسرهم وقتل ابن مصال وقتل من السودان وغيرهم سبعة عشر الف رجل٠ وحملوا رأس ابن مصال الى القاهرة٠ ولم يبق لسيف الدين من تعانَدَهُ ولا تساققه

وخلع عليه(١٤) الظافر خلع الورارة ولقّبه الملك العادل، وتولّى الامور

(١٢) قبيلة بربرية في افريقية الشمالية
(١٣) اسم لبلدة ومقاطعة في الصعيد «معجم البلدان» لياقوت طبعة وستفلد (ليبزغ ١٨٦٦ ــ ٧٣) ج ٢ ص ٥٨١
(١٤) على ابن السلّار

الحليفة يكيد لوزيره الحديد

كلّ ذلك والظافر منحرف عنه، كاره له، مضمر له الشرّ. فعمل على قتله وقرّر مع جماعة من صبيان الخاصّ وغيرهم ممن استمالهم واتفق فيهم ان يهجموا داره ويقتلوه. وكان شهر رمضان(١٥)، والقوم قد اجتمعوا في دار بالقرب من دار الملك العادل يسطرون توسّط الليل وافتراق اصحاب العادل. وانا تلك الليلة عنده

فلمّا فرغ الناس من العشاء وافترقوا، وقد بلغه الخبر من بعض المعاملين(١٦) عليه، احضر رجلين من علمائه وامرهم ان يهجموا عليهم الدار التي هم فيها مجتمعون. وكانت الدار، لما اراده الله من سلامة بعضهم، لها بابان الواحد قريب من دار العادل، والآخر بعيد. فهجمت الفرقة الواحدة من الباب القريب، قبل وصول اصحابهم الى الباب الآخر، فانهزموا وخرجوا من ذلك الباب. وجاءني منهم في الليل من صبيان الخاصّ نحو عشرة رجال(١٧)، كانوا اصدقاء علمائي نحوهم. واصبح البلد فيه الطلب لاولئك المنهزمين، ومن ظُفر بهم منهم قُتل

أسامة يخلّص زنجياً

وعجيب ما رأيت في ذلك اليوم أن رجلاً من السودان الذين كانوا في العَمَلة انهزم الى عُلو داري، والرجال بالسوف خلفه، فاشرف على القاعة من ارتفاع عظيم. وفي الدار شجرة نبق كبيرة. فقفز من السطح الى تلك الشجرة، فثبت عليها. ثم نزل ودخل من كمّ مجلس قريب منه فوطىء على منارة نحاس، فكسرها، ودخل الى خلف رحل في المجلس احسى(١٨) فيه

واشرف اولئك الذين كانوا خلفه. فصحتُ عليهم واطلعت اليهم

(١٥) كانون الثاني سنة ١١٥

(١٦) «المعاجلين» طبعة در نبورغ ص٦

(١٧) «رجالة» في الاصل

(١٨) كذا في الاصل

العلمان، دفعوهم ودحلت الى دلك الاسود٠ فرع كساء كان عليه وقال «حده لك»٠ قلت «اكبر الله حيرك٠ ما احتاحه»٠ واحرحته وسيَّرت معه قوماً من علمابي، فحا

مرور التوقيع نُصرب رقته

وحلست في صفَه فـي دهلير داري٠ فدحل عليّ شابّ سلَّم وحلس٠ فرأيه حس الحديث حس المحـاصرة هـو تتحدّث وا سان اسدعـاه فمصى معه وتقدّمت حلفه علاماً نصر لمادا اسُدعي٠ وكنت بالقرب مـں دار العادل٠ فساعة مـا حصر دلك الشابّ بين يدي العـادل امـر نصرب رقته٠ فقُتل٠ وعاد العلام، وقـد اسحر عـں د سه، فقيل له «كان يرور التواقيع»٠ فسحان مقدّر الاعمار وموقّت الاحال

وقُتل في الفتنة حماعة من المصريين والسودان

أسامة نمهمة حربية لدى نور الدين

[٣ و] وتقدّم اليّ الملك العادل، رحمه الله، بالتّحهز للمسر الـى الملك العادل نور الدين(١٩)، رحمه الله، وقال «تأحد معك مالا وتمضي اليه لسارل طبريّة، ويسعل الفر بح عنّا، لـحرح مـں هاهنا نحرب عرّه»٠ وكان الافر نح، حدلهم الله، قـد شرعوا فـي عمارة عـرّة(٢٠) ليحاصروا عسقلان قلت «ناموﻻي، فان اعدر او كان له من الاسعال مـا يعوقه، ايّ شيء نأمرني؟» قال «ان برل على طبريّه، فاعطه المال الذي معك٠ وان كان له مانع، فديوِن من قدرتَ عليه من الحند واطلع الى عسقلان اقـم بها في قتال الافر نح، واكتب اليّ نوصولك لآمرك نما تعمل»

ودفـع الـيّ ستّة آلاف(٢١) ديـار مصريّـة، وحمـل حمل ثياب

(١٩) ابن اتابك زنكي وحلفه سنه ١١٤٦

(٢٠) بالدوين الثالث Baldwin ملك اورسليم سرع بعماره عزّه عام ١١٤٩ أو ١١٥٠

(٢١) «الف» في الاصل

ديقي(٢٢) وسقلاطون(٢٣) ومسحب(٢٤) ودمياطي(٢٥) وعمائم· ورتّب معي قوماً من العرب ادلاءَ

وسرت وقد اراحَ(٢٦) علّة سفري بكلّ ما احتاجه من كثير وقليل· فلمّا دنونا من الجفر(٢٧) قال لي الادلاء «هذا مكان لا يكاد يخلو من الافرنج»· فامرت اثنين من الادلاء ركبا مَهريين وسارا قدّامنا الى الجفر· فما لبثا ان عادا، والمهاريُ(٢٨) تطير بهما، وقالا «الفرنج على الجفر!» فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثَقَلي ورفاقاً من السفّارة كانوا معي، ورددتهم الى العرب· وندبت ستّة فوارس من مماليكي وقلت «تقدموا، وانا في اثركم»· فساروا يركضون وانا اسير خلفهم· فعاد اليّ واحد منهم وقال «ما على الجفر احد· ولعلّهم ابصروا عُربانا(٢٩)»· وتنازع هو والادلاء· فنفّذتُ مَن ردّ الجمال، وسرت

فلمّا وصلت الجفر، وفيه مياه وعشب وشجر، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب اسود، فاخذناه· وتفرّق اصحابي فاخذوا رجلاً اخر وامرأتين وصبياناً(٣٠)· فجاءت امرأة منهن مسكت ثوبي وقالت «ياشيخ، انا في حسبك»· قلت «انت آمنة· ما لك؟» قالت «قد اخذ اصحابك لي ثوباً وناقةً وناجحاً وجرّة»· قلت لغلماني «من كان اخذ شيئاً يردّه»·

(٢٢) دبيق واسمها اليوم دبيج بلدة في مقاطعة دمياط من الدلتا اشتهرت بجودة اقمشتها

(٢٣) كلمة يونانية تُطلق على ثياب كتّان موشّة

(٢٤) فرو تُتّخذ من جلود السحاب

(٢٥) اشتهرت دمياط في العهد الفاطمي بصناعة الاقمشة الحريرية والكتّانية المفصّلة «الخطط» للمقريزي (طبعة فاسون وت ١٩٢٢) ٣ ٢

(٢٦) «أراح»؟

(٢٧) واحة بين مصر وفلسطين

(٢٨) الجمع بدل المثنى عامية

(٢٩) «عربان» في الاصل «عربان» طبعة درنبورغ ص٨

(٣) «وصيان» في الاصل

فاحصر علام قطعه كســاء لعل"(٣١) طول دراعين قالت «هــدا النوب»· واحصر آحــر قطعة ســدَروس(٣٢)· قــالت «هده الحــررة»· قلت «فالحمار و الكلب؟» فالوا «الحمار قد ر بطوا يديــه ورحليه، وهو مرمي" في العسب· والكلب مقلوت(٣٣) يعدو من مكان الى مكان»

فحمعتهم ورأ ت بهم مــن الضُر" امر"ا عطيماً قد لست حلودُهم على عطامهم· قلت «ا س(٣٤) ا نتم؟» قالوا «نحن من [٣ ق] بني أُ نَي"»· و بنو أُ نَي" فرقة من العرب من طي"ء لا يأكلون الا المَيتة(٣٥) ويقولون «نحن خير العرب ما فينا محذوم ولا ابرص ولا زمــن ولا اعمى»· واذا نزل بهم الضيف ذبحوا له واطعموه من غير طعامهم· قلت «ما جاء بكم الى هاهنا؟» فالو «لنا نحــسمى(٣٦) كنول دره مطمورة حثنا نأحدها»· قلت «وكم لكم هنا؟» فالوا «من عيد رمضان لنا هاهنا، ما رأينا الزاد ناعسا» قلت «فمن اين تعيشون؟» قالوا «من الرمَّة (يعنون العظام البالية الملقاه) ندقــها و نعمل عليهــا المــاء وورق القَطَف (شجر يسلك الارض) و نقوّت بــه»· قلت «فكلابكم وحُمُركــم؟» قالوا «الكلاب نُطعمهم(٣٧) مــن عيشــا، والحمر تأكل الحشيش»· قلت «فلِــم لا دخلتم الى دمشق؟» قالوا «خفنا الوباءَ»· ولا وباءٌ اعظم مما كانوا فيه! وكان ذلك بعد عيد الاضحى(٣٨)

فوقفت حتى جاءت الجمال، واعطيتهم من الزاد الذي كان معنا وقطعت فوطة كانت على رأسي اعطيتها للمرءتين· فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد· وقلت «لا تقيموا هاهنا يسوكم الافرنج»

(٣١) كذا في الاصل والاصح" «لعلّها»
(٣٢) كلمه فارسيه تُطلق على صمغ من الشجر او معدن شبه بالكهرباء
(٣٣) «مقلوب» طبعه درنبورج ص٨
(٣٤) استعمال عامي" لم يزل دارجاً لليوم في بلاد الشام
(٣٥) حر"مها القرآن ٥ ٤
(٣٦) او «حســما » في القسم الجنوبي من البادية السورية والشمالي مــن الحجاز
(٣٧) عاميه وصحيحها « نطعمها»
(٣٨) فالقصة اذن قد مضى عليها اكثر من شهرين وهي في الصحرا

فطنة دليل

ومن طريف ما جرى لي في الطريق اني نزلت ليلة اصلّي المغرب والعشاء قَصراً وجَمعاً(٣٩). وسارت الجمَال. فوقفت على رفعة من الارض وقلت للغلمان «تفرّقوا في طلب الجمال، وعودوا اليّ. فانا ما ازول من مكاني». فتفرّقوا وركضوا كذا وكذا فما رأوهم فعادوا كلهم اليّ وقالوا «ما لقيناهم. ولا ندري كيف مضوا». فقلت «نستعين بالله تعالى ونسير على النوء». فسرنا ونحن قد استرفنا من انفرادنا عن الجمال في البريّه على امر صعب

وفي الادلاء رجل يقال له جريّة(٤٠) فيه نقظه وفطنة فلمّا استبطأنا علمَ انّا قد تُهنا عنهم. فاخرج قدّاحة وجعل يقدح، وهو على الجمل، والشرار من الزند يتفرّق كذا وكذا. فرأيناه على البعد. فقصدنا النار حتى لحقناهم ولولا لطف الله وما الهمه ذلك الرجل كنّا هلكنا

خرج المال يضيع

ومما جرى لي في تلك الطريق ان الملك العادل، رحمه الله، قال لي «لا تُعلم الادلاء الذين معك بالمال» فجعلت اربعه آلاف(٤١) دينار في خُرج على بغل سروجيّ مجنوب معي وسلّمته الى غلام وجعلت الفي دينار ونفقة لي وسَر فَسار دنا سر(٤٢) مغربيّة في خرج على حصان مجنوب معي وسلّمته الى غلام. فكنا اذا نزلت جعلت الاخراج في [٤ و] وسط بساط، ورددتُ طرفَيه عليها، وبسطت فوقه بساطاً(٤٣) آخر، وانام على الاخراج واقوم وقت الرحيل قبل اصحابي. يجيء الغلامان اللذان معهما الخرجان

(٣٩) اي انه ركع اثنين بدل الاربع وجمع صلاه المغرب وصلاه العشاء واحد

(٤٠) «جرّيه» في الاصل

(٤١) «الف» في الاصل

(٤٢) كذا في الاصل وربما كان الصواب «وسَر فَسار ذهب ونا سر» سرفسار تحريف «سَر افسار» الفارسه ومعناها راس العنان الذي يُمسك باليد

(٤٣) «بساطٌ» في الاصل

فيتسلّما بهما. فادا سدّاهما على الحائب ركت وايقطت اصحابي، تهمّما بالرحيل

فرلنا ليلة فـي تيه سي اسرائيل فلمّا قمت للرحيل حاء العلام الدي معه البغل المجنوب احـد الحرح وطرحه علـى وركَي البغل ودار يريد يسدّه بالسُموط. فرلّ البغـل وحرح يركص وعليـه الحرح فركبت حصابي، وقد قدّمه الركابيّ، وقلت لواحد من علمابي «اركب. اركب» وركضت حلف البغل فما لحقه، وهـو كأنّه حمار وحس، وحصابي قـد اعيى من الطرىق. ولحقني العلام، فقلت «اتبع البغل كدا». فمضى وقال «والله، ياسولاي، مـا رأيت البغل. ولقيت هدا الحرح قد شُلُبه». فقلت «للحرح كنت اطلب. والبغل اهون مفقود»

ورجعت الى المىرلة وادا البغل قد حاء بركض دحل في طُواله الخيل ووقف. فكأنه(٤٤) ما كان قصده الا بصسع اربعة آلاف(٤٥) دىيار

مقابلة بور الدين

ووصلنافي طريقنا الى نصرى(٤٦) فوجدنا الملك العادل بور الدين، رحمـه الله، علـى دمشق. وقـد وصـل الـى بصرى الامير اسَد الديـن سيركوه(٤٧)، رحمه الله. فسرت معه الى العسكر. فوصلته ليلة الاثنين، واصبحتُ بحدّثت مع بور الدين بمـا حئت به. فقال لـي «يافلان، اهل دمشق اعداء، والافرنج اعداء، ما آمن منهما ادا دحلت بينهما». قلت لـه «فتأدن لي ان أُدَيـوِن مـن محرومي الحند قوماً آحدهم وارحع، وتنفد معي رجلاً من اصحابك فـي ىلثين فارساً ليكون الاسم لك؟» قال «افعل». فدَيوتُ الـى الاثنين الآحَر بمانين(٤٨) مائة وستّين فارساً واحد بهم.

(٤٤) «فكانه» طبعه درىبورغ ص ١

(٤٥) «الف» في الاصل وتكرارها يدل على ان «الاف» كان يكتب كدلك

(٤٦) إسكي شام من عمال حوران

(٤٧) عمّ صلاح الدين الايوبي

(٤٨) «ثمان» في الاصل

وسرت في وسط بلاد الافرنج بنزل بالنوق ونرحل بالنوق

السو في مسجد الرقيم

وسيَّر معي نور الدين الامير عين الدولة الياروقي(٤٩) في ثلثين فارساً فاجتزتُ في طريقي بالكهف والرقيم(٥٠). فنزلت فيه ودخلتُ صلَّيت في المسجد، ولم ادخل في ذلك المضيق الذي فيه. فجاء امير من الاتراك الذين كانوا معي يقال له بَرشَك(٥١) يريد الدخول في ذلك الشقّ الضيّق. قلت «ايّ شيء تعمل في هذا؟ صلّ برّا». قال «لا اله الا الله. انا حرام اذا حتى لا ادخل في ذلك السوّ الضيق!» قلت «ايّ سيء تقول؟» قال «هذا الموضع [٤ ق] ما يدخل فيه ولد زنا ـ ما يستطيع الدخول». فاوجب قوله ان قمتُ دخلت في ذلك الموضع صلَّيت، وخرجت، وانا ـ الله يعلم ـ ما اصدّق ما قاله. وجاء اكثر العسكر فدخلوا وصلّوا

ومعي في الجند بَراق(٥٢) الزُبيدي معه عبد له اسود دَيّن كثير الصلاه، ادق ما يكون من الرجال وادقّهم. فجاء الى ذلك الموضع، وحرص بكلّ حرص على الدخول، فما قدر يدخل. فبكى المسكين وتوجّع وتحسَّر، وعاد بعد العلة عن الدخول

موقعه مع الافرنج في عسقلان

فلمَّا وصلنا عسقلان سحر، ووضعنا اثقالنا عند المصلَّى، صبحونا [كذا] الافرنج عند طلوع الشمس. فخرج الينا ناصر الدولة ياقوت، والي عسقلان، فقال «ارفعوا، ارفعوا اثقالكم». قلت «تخاف لا يغلبونا(٥٣) الافرنج عليها». قال «نعم». قلت «لا تخف. هم يرونا في البريّة

(٤٩) امير تركي كان سابقاً في خدمه زنكي

(٥٠) السراء راجع القرآن ١٨ ٨

(٥١) «برسك» في الاصل

(٥٢) «براق» في الاصل

(٥٣) كذا والمقصود «لئلّا يغلبنا»

ويعارصونا، الىان وصلنا الىعسقلان، ما حصاهم   نحافهم الآن ونحن عند مدينتنا؟»

ثم ان الافرنج وقفوا على بُعد ساعة ٠ ثم رجعوا الى بلادهم جمعوا لنا وجاءونا بالفارس والراجل والخيم يريدون منازلة عسقلان٠ فخرجنا اليهم، وقد خرج راجل عسقلان٠ فدرتُ على سرب الرجّالة وقلت «يااصحابنا، ارجعوا الى سوركم، ودعونا وايّاهم٠ فان نصرنا عليهم فانتم تلحقونا٠ وان نصروا علينا كنتم انتم سالمين عند سوركم»٠ فامتنعوا من الرجوع٠ فتركتُهم ومضيت الى الافرنج، وقد حطوا خيامهم ليضربوها فاختطنا بهم، واعجلناهم عن طيّ خيامهم٠ فرموها كما هي منشورة وساروا راجعين

فلمّا انفسحوا عن البلد تبعهم من الطمّاعين(٥٤) اقوام ما عندهم منعة ولاغَنَاء٠ فرجع الافرنج حملوا علىاولئك فقتلوا منهم نفرًا٠ فانهزمت الرجّالة، الذين رددتهم فما رجعوا، ورموا تراسهم٠ ولقينا الافرنج، فرددناهم٠ ومضوا عائدين الى بلادهم وهي قريبة من عسقلان

وعاد الذين انهزموا من الرجّالة يتلاومون، وقالوا «كان ابنمنقذ اخبر منا٠ قال لنا ‹ارجعوا›، ما فعلنا حتى انهزمنا وافتضحنا»

موقعة أخرى في بيت جبريل

وكان اخي عزّ الدولة ابو الحسن علي(٥٥)، رحمه الله، في جملة من سار معي من دمشق هو واصحابه الى عسقلان٠ وكان، رحمه الله، من فرسان المسلمين يقاتل للدين لا للدنيا٠ فخرجنا يوماً من عسقلان نريد الغارة

(٥٤) الكلمة نصف ممحوّة في الاصل «المستوليس» طبعة درنبورغ ص١٢، «المتولس» في كتابه *Ousāma Ibn Mounkidh* (باريز ١٨٨٩) ص٦٢٥ «المستولس ــ المسالس» في لاندبرغ ص١٧

(٥٥) اخو أسامه الاكبر

على بيت جِبـريل(٥٦) وقاتلها. فوصلناها وقاتلناهم. [٥ و] ورأيت
عدد رجوعنا على البلد علَة كسرة. فوقفت في اصحابي وقدحنا نارًا
وطرحناها في البيادر. وصرنا ننتقل من موضع الى موضع، ومضى العسكر
بعدّمي. فاجتمع الافرنج، لعنهم الله، من تلك الحصون، وهي كلّها
متقاربة وفيها خيل كثيرة للافرنج، لمعاداة عسقلان ومراوحتها. وخرجوا
على اصحابنا

فجاءني فارس منهم يركض وقال «قد جاء الافرنج!» فسرت الى اصحابنا
وقد وصلهم اوائل الفرنج. وهم، لعنهم الله، اكثر الناس احترازًا في
الحرب. فصعدوا على رابية وقفوا عليها. وصعدنا نحن على رابية مقابلهم.
وبين الرابيتين فضاء. اصحابنا المنقطعون واصحاب الجنائب عبور تحتهم،
لا ينزل اليهم منهم فارس خوفاً من كمين او مكيدة. ولو نزلوا اخذوهم
عن آخرهم. ونحن مقابلهم في قلّة، وعسكرنا قد تقدّمنا منهزمين

وما زال الافرنج وقوفاً على تلك الرابية الى ان انقطع عبور اصحابنا.
ثم ساروا الينا فاندفعنا بين ايديهم ـ والقتال بيننا ـ لا يجدّون في طلبنا،
ومن وقف فرسه قتلوه، ومن وقع اخذوه. ثم عادوا عنّا

وقدّر الله سبحانه لنا بالسلامة باحترازهم. ولو كنّا في عددهم ونصرنا
عليهم، كما نصروا علينا، كنّا افنيناهم

مهاجمة يُبْنى

فاقمت بعسقلان لمحاربة الافرنج اربعة اشهر هجمنا فيها مدينة
يُبنى(٥٧) وقتلنا فيها نحو مائة نفس واخذنا منها اسارى

مقتل اخي أسامة

وجاءني بعد هذه المدّة كتاب الملك العادل، رحمه الله، يستدعيني.

(٥٦) او «بيت جبْرين» وهي في منتصف الطريق بين غزّة واورشليم
ياقوت ١ ٧٧٦

(٥٧) «يُبنا» في الاصل وهي قرية خربة في فلسطين ذكرها نشوع ١٥ ١١
واخبار الايام الثاني ٢٦ ٦

فسرت الى مصر وتقي اخي عز الدولة ابو الحسن علي، رحمه الله، بعسقلان. فخرج عسكرها الى قتال غزة فاستشهد، رحمه الله، وكان من علماء المسلمين وفرسانهم وعبّادهم

اغتيال ابن السلار

واما القصة التي قُتل فيها الملك العادل بن السلّار، رحمه الله، فانه كان جهّز عسكراً الى بلبيس(٥٨)، ومقدّمه ابن امرأته ركن الدين عبّاس بن ابي الفتوح بن تميم بن باديس، لحفظ البلاد من الافرنج، ومعه ولده ناصر الدين نصر بن عبّاس، رحمه الله. فاقام مع ابيه في العسكر ايّاماً. ثم دخل الى القاهرة بغير اذن من العادل ولا دستور. فانكر عليه ذلك وامره بالرجوع الى العسكر، وهو يظنّ انه دخل القاهره للعب والفرجه [٥ ق] وللضجر من المقام في العسكر

وابن عبّاس قد رتّب امره مع الظافر، ورتّب معه قوماً من غلمانه، يهجم بهم على العادل في داره اذا انفرد في دار الحُرَم ونام، فيقتله. وقرّر مع استاذ من استاذي(٥٩) دار العادل ان يُعلمه اذا نام. وصاحبة الدار امرأة العادل جدّته، فهو يدخل اليها بغير استئذان

فلمّا نام العادل اعلمه ذلك الاستاذ بنومه. فهجم عليه في البيت الذي هو نائم فيه، ومعه ستّة نفر من غلمانه، فقتلوه، رحمه الله. وقطع رأسه وحمله الى الظافر وذلك في يوم الخميس السادس من المحرّم سنة ثمان واربعين وخمس مائة(٦) وفي دار العادل من مماليكه واصحاب النوبة نحو من الف رجل لكنهم في دار السلام، وهو قُتل في دار الحرم

فخرجوا من الدار ووقع القتال بينهم وبين اصحاب الظافر وابن عبّاس الى ان رفع رأس العادل على رمح. فساعة ما رأوه انقسموا فرقتين فرقة

(٥٨) «بلبَيس» في العامه وموقعها الى الشمال الشرقي من القاهره

(٥٩) القلقشندي ٣ ٤٨٤ ــ ٤٨٥

(٦) ٤ نيسان سنة ١١٥٣

حرحت من باب القاهرة الـى عبّاس لحدمته وطاعته، وفرقة رمت السلاح وحاءوا الى بين يدي نصر بن عبّاس فتّلوا الارص ووقفوا في حدمته

عبّاس يتولّى الورارة

واصبح والده عبّاس دحـل القاهرة وحلس فـي دار الورارة٠ وحلع عليه الطافر وفوّص اليه الامر٠ وابنه نصر(٦١) محالطه ومعاكثره، وابوه عبّاس كـاره" لدلك مستوحش مـن ابنه، لعلمه بمدهب القوم فـي صر بهم بعص الـناس ببعص حتى يقتلوهم ويحوروا كلّمـا لهـم حتى يتفانـوا٠ فاحصرا بي ليلة وهما في حلوة يتعاتبان، وعبّاس يردّد عليه الكلام، وابنه مطرق كأنه نمـر يردّ عليه كلمة بعد كلمة يستاط منها عبّاس ويريد فـي لومـه وتأ نيبه٠ فقلت لعبّـاس «يامولاي الافصل، كـم تلوم مولاي ناصر الدين وتوبّحه وهو ساكت؟ احعل الملامة لي٠ فانا معه في كلّ ما يعمله، ما اتبرأ من حطاه ولا صوابه٠ ايّ سيء هـو دنبه؟ ما اساء الى احد مـن اصحابك، ولا فرط في شيء مـن مالك، ولا قدح في دولتك٠ حاطر بنفسه حتى بلغ هده المـرلة٠ فما يستوحب منك اللائمة»٠ فامسك عنه والده، ورعى لي ابنه دلك

الحليفة يحرّش ابن عبّاس على ابيه

وشرع الطافر مع ابن عبّاس في حمله على قتل ابيه، ويصير في الورارة مكانه٠ وواصله بالعطايا الحزيلة٠ فحصرته يوماً وقد ارسل اليه عشرين صينيّة فصّة فيها عشرون الف دينار٠ ثم اعفله ايّاماً وحمل اليه من الكسوات مـن كلّ نوع [٦ و] مـا لا رأيت مثله محتمعـاً قبله٠ واعفله ايّامـاً٠ وبعث اليه حمسين صينيّة فصّة فيها حمسون الف ديـنـار٠ واعفله ايامـاً٠ وبعث اليه ثلثين بغلاً رحلاً(٦٢) واربعين حملاً بعددها وعرائرها وحبالها٠

(٦١) ابو شامه «كتاب الروصتين في اخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٧ ــ ٨٨) ١ ٩٧ ــ ٩٨ نقل عن أسامه مختصراً من هنا الى رأس ص٢٧ ادناه

(٦٢) «بغل رحل» في الاصل

وكان يتردّد بينهما رجل يقال له مُرتَفع بن فحل. وانا مع ابن عبّاس لا يفسح لي في الغيبة عنه ليلاً ولا نهاراً انام وراسي على راس مخدّته

فكنت عنده ليلة، وهو في دار السابورة، وقد جاء مرتفع بن فحل فحدّث معه الى ثلث الليل، وانا معتزل عنهما ثم انصرف. فاستدعاني وقال «اين انت؟» قلت «عند الطاقة اقرأ القرآن. فاني اليوم ما تفرّغت اقرأ». فابتدأ يفاتحني شيء مما كان فيه ليبصر ما عندي في ذلك، ويريد بي اقوّي عزمه على سوء ما قد حمله عليه الظافر. فقلت «يامولاي، لا يستزلّك الشيطان وتنخدع لمن يغرّك. فما قتل والدك مثل قتل العادل. فلا تفعل شيئاً تُلعَن عليه الى يوم القيامة». فاطرق، وقاطعني الحديث. ونما

فاطلع والده على الامر، فلاطفه، واستماله، وقرر معه قتل الظافر

الوزير يغتال الخليفة

وكانا يخرجان في الليل متنكرين، وهما اتراب، وبينهما واحد. فدعاه الى داره، وكانت في سوق السيوفيين(٦٣)، ورتّب من اصحابه نفراً في جانب الدار. فلمّا استقرّ به المجلس خرجوا عليه فقتلوه. وذلك ليلة الخميس سلخ المحرّم سنة تسع واربعين وخمسمائة(٦٤). ورماه في جبّ في داره. وكان معه خادم له اسود لا يفارقه يقال له سعيد الدولة، فقتلوه

واصبح عبّاس جاء الى القصر كالعادة للسلام يوم الخميس. فجلس في جانبه في مجلس الوزارة كأنه ينتظر جلوس الظافر للسلام. فلمّا جاوز وقت جلوسه استدعى زمام القصر وقال «ما لمولانا ما جلس للسلام؟» فتبلّد الزمام في الجواب. فصاح عليه وقال «مالك لا تجاوبني؟» قال «يامولاي مولانا ما ندري اين هو». قال «مثل مولانا يضيع؟ ارجع فاكشف الحال». فمضى ورجع وقال «ما وجدنا مولانا». فقال عبّاس «ما

(٦٣) «السيُوفين» في الاصل

(٦٤) ١٥ نيسان سنة ١١٥٤

يبقى الناس بلا خليفة•ادخل الى الموالي اخوته يخرج منهم واحد نبايعه»• فمضى وعاد وقال «الموالي يقولون لك : نحن ما لنا في الامر شيء• والده عزله عنا وجعله في الظافر• والامر لولده بعده»• قال «اخرجوه حتى نبايعه»

مبايعة ابن الظافر

وعبَّاس قد قتل الظافر وعزم على [٦ ق] ان يقول «اخوتُه قتلوه» ويقتلهم به •فخرج ولد الظافر، وهو صبيّ محمول على كتف استاد من استاديِ القصر• فاخذه عبَّاس، فحمله، وبكى الناس• ثم دخل به، وهو حامله، الى مجلس ابيه، وفيه اولاد الحافظ الامير يوسف، والامير جبريل، وابن اخيهم الامير ابو البقى(٦٥)

الاجهاز على أسرة الخليفة

ونحن في الرواق جلوس، وفي القصر اكثر من الف رجل من المصريين فما راعنا الا فوج قد خرج من المجلس الى القاعة، وصوت السيوف على انسان• فقلت لغلام لي ارمني «انظر من هذا المقتول»• فمضى ثم عاد وقال «ما هاولاء مسلمون! هذا مولاي ابو الامانة (يعني الامير جبريل) قد قتلوه، وواحد قد شقّ بطنه يخرج مصارينه»• ثم خرج عبَّاس، وقد اخذ رأس الامير يوسف تحت ابطه ورأسه مكسوف، وقد ضربه سيف والدّم يفور منه وابو البقى ابن اخيه مع نصر بن عبَّاس• فادخلوهما(٦٦) في خزانة في القصر وقتلوهما، وفي القصر الف سيف مجرّدة(٦٧)

وكان ذلك اليوم من اشدّ الايَّام التي مرّت بي، لما جرى فيه من البغي القبيح الذي ينكره الله تعالى وجميع الخلق

(٦٥) «ابو البقاء» ابو شامه ١ ٩٨

(٦٦) «فادخلاهما» في الاصل

(٦٧) «مُجرّد» ابو شامه ١ ٩٨

بوّاب يموت جوعاً

وكان من طريف ما جرى ذلك اليوم ان عبّاساً لمّا اراد الدخول الى المجلس وجد بابه قد قُفل من داخل. وكان يتولّى فتح المجلس وغلقه استاذ شيخ يقال له امين الملك. فاحتالوا في الباب حتى فتحوه. ودخلوا فوجدوا ذلك الاستاذ خلف الباب، وهو ميت، وفي يده المفتاح

عبّاس يقمع الثورة

وامّا الفتنة التي جرت بمصر ونُصر فيها عبّاس على جند مصر فانه لمّا فعل باولاد الحافظ، رحمه الله، ما فعل حمت عليه قلوب الناس واضمروا فيها العداوة والبغضاء. وكاتب من في القصر من بنات الحافظ فارس المسلمين ابا الغارات طلائع بن رُزّيك، رحمه الله، يستصرخون [١] به. وحشد وخرج من ولايته(٦٨) يريد القاهرة. فامر عبّاس فعُمرت المراكب، وحُمل فيها الزاد والسلاح والخزانة. وتقدّم الى العسكر بالركوب والمسير معه. وذلك يوم الخميس العاشر من صفر سنة تسع واربعين(٦٩). وامر ابنه ناصر الدين بالمقام في القاهرة. وقال لي «تقيم معه»

فلمّا خرج من داره متوجهاً الى لقاء ابن رزّيك جامر عليه الجند وغلقوا ابواب القاهرة. ووقع القتال بيننا وبينهم في الشوارع والازقّة خيّالتهم تقاتلنا في الطريق، ورجّالتهم يرموننا [٧ و] بالنشّاب والحجارة من على السطوحات، والنساء والصبيان يرموننا بالحجارة من الطاقات. ودام بيننا وبينهم القتال من ضحى نهار الى العصر. فاستظهر عليهم عبّاس. وفتحوا ابواب القاهرة وانهزموا. ولحقهم عبّاس الى ارض مصر فقتل منهم من قتل وعاد الى داره وامره ونهيه

(٦٨) منيه بني الخصيب في صعيد مصر
(٦٩) وخميسا به ٢٦ نيسان سنه ١١٥٤

وامر باحراق الرقيّة(٧٠) لانها مجمع دور الاجناد. فلطّفت الامر معه وقلت «يامولاي، اذا وقعت النار احرقت ما تريد وما لا تريد. وعلت عن ان تطفئها». ورددت رأيه عن ذلك

واخذت الامان للامير المؤتمن بن ابي رمّاده، بعد ان امر بتلافه، واعتذرت عنه. فصفح عن جرمه

عبّاس يفرّ الى الشام

ثم سكنت تلك الفتنة، وقد ارتاع منها عبّاس، وتحقّق عداوة الجند والامراء، وانه لا مقام له بينهم. وثبت في نفسه الخروج من مصر وقصد الشأم الى الملك العادل نور الدين، رحمه الله، يستنجد به. والرسل بين من في القصور(٧١) وبين ابن رزّيك متردّدة. وكان بيني وبينه، رحمه الله، مودّة ومخالطة من حين(٧٢) دخلت ديار مصر. فنفّذ اليّ رسولا يقول لي «عبّاس ما يقدر على المقام بمصر، بل هو يخرج منها الى الشأم، وانا املك البلاد. وانت تعرف ما بيني وبينك، فلا تخرج معه. فهو محتاج اليك في الشأم يرغبك ويُخرجك معه. فالله الله لا تصحبه. فانت شريكي في كلّ خير انا له». فكأنّ الشياطين وسوست لعبّاس بذلك، او توهّمه لما يعلمه بيني وبين ابن رزّيك من المودّة

فامّا الفتنة التي خرج فيها عبّاس من مصر وقتله الافرنج فانه لمّا توهّم من امري وامر ابن رزّيك ما توهّمه، او بلغه، احضرني واستحلفني بالأيمان المغلّظة اني لا مخرج(٧٣) منها اني اخرج معه واصحبه. ولم يقنعه ذلك حتى نفّذ في الليل استاد داره الذي يدخل على حرمه اخذ اهلي ووالدتي واولادي الى داره، وقال لي «انا احمل كلفتهم عنك في الطريق، واحملهم مع والدة ناصر الدين»

(٧٠) حيّ في شرقيّ القاهرة بقيم فيه فرقة أصل انصارها من برقه

(٧١) اي بين ابناء الخليفة

(٧٢) «حين» طبعة درنبورغ ص١٧

(٧٣) «مخرج» طبعة درنبورغ ص١٧

واهم بامر سفره بحيله وحماله و بعاله· فكان له مائتا حصان وحجرة محبو بة على ايدي الرحَّالة، كعادتهم بمصر، ومائتا بغل رحل، وار بع مائة حمل تحمل ا ثقاله

وكان كثير اللهج بالنجوم، وهو معوّل على المسير بالطالع يَوم الست الخامس عشر من ر بيع الاول من السنة(٧٤)· فحضرته وقد دخل عليه غلام يقال له عنتر(٧٥) الكبير، وهو متولّي اموره كبيرهًا وصغيرها، فقال لـه «يامولاي، ايّ شيء مرجو من مسير نا الى الشأم؟ خـذ خزائنك واهلك وغلمانك ومـن [٧ ق] تبعك وسر بنا الـى الاسكندرية، نحشد من هناك و نجمع، و نرجع الى ابن رزّيك ومـن معه فان نصر نا عدتَّ الى دارك والى ملكك· وان عجز نا عنه عدنا الـى الاسكندريَّة الى بلد نحتمي فيه و ينمنع على عدوّ نا»· فبهره وخطّأ رأيه، وكان الصوابُ معه

ثم اصبح يـوم الجمعة استدعانـي مـن بكرة· فلمَّا حضرت عنده قلت «يامولاي، اذا كنت عندك مـن الفجر الـى الليل فمتى اعمل شغل سفري؟» قال «عندنا رسل من دمشق، تسيّرهم و تمضي تعمل شغلك»

المكيدة ضد عبَّاس

وكان قبل ذلك احضر قوماً من الامراء واستحلفهم انهم لا يخونو نه ولا يخامرون عليه· واحضر جماعة مـن مقدّمي العرب مـن دِرمـاء وزُريق وجُدام وسِنبس وطلحة وجعفر ولَواتة واستحلفهم بالمصحف والطلاق على مثل ذلك· فما راعنا، وانا عنده بكرة الجمعة، الا والناس قـد لبسوا السلاح وركبوا الينـا ورؤوسُهم الامراء الذين استحلفهم بالامس· فامر بشدّ دوابّه فشُدّت وأُوقفت على باب داره· فكانت بيننا وبين المصريّين كالسدّ لا يصلون الينا لازدحام الدوابّ دوننا

فخرج اليهم غلامه عنتر الكبير الذي كان اشار عليه بذلك الرأي، وهو

(٧٤) ١٣ ايار سنه ١١٥٤م

(٧٥) أو «عنبر» كما ورد في «ديوان» أسامه وفي ابي شامه ١ ٩٨

رمامهم، صاح عليم وشتمهم وقال «روحوا الـى بيوتكم»٠ فسيّبوا الدوابّ ومضى الركابيّة والمكـارية(٧٦) والحمّالـون(٧٧)، وبقيت الدوابّ مهملة٠ ووقع فيها النهب

فقال لـي عبّاس «اخرج احصر الاتراك، وهـم عند بـاب النصر(٧٨)، والكتّاب يفقون فيهم»٠ فلمّا جئتهم واستدعيتهم ركبوا كلّهم، وهم فـي ثمانين(٧٩) مائة فارس، وخرجوا من باب القاهرة منهزمين مـن القتال٠ وركب المماليك، وهم اكثر من الاتراك، وخرجوا ايضاً مـن باب النصر٠ ورجعت اليه عرّفته، ثم اشتغلت باخراج اهلي الذين كـان حملهم الـى داره٠ فاخرجتهـم واخرجت حرم عبّاس٠ فلمّا خلت الطريق ونُهبت تلك الدوابّ باجمعها وصل المصريّون الينا فاخرجونا، ونحن فـي قلّة، وهم في خلق كثير

فلمّا خرجنا من باب النصر وصلوا الـى الابواب اغلقوها وعادوا الـى دورنـا نهبوها٠ فاخذوا مـن قاعـة داري اربعين غرارة حُمَّـالية(٨٠) مخاطة فيها من الفضّة والذهب والكسوات شيء كثير٠ واخذوا من اصطبلي ستّة وثلثين حصاناً او بغلة سروجيّة بسروجها وعدّتها كاملة وخمسة وعشرين جملاً٠ واخذوا مـن اقطاعي مـن كُوم اشفين مـائتي رأس بقر للسّانين والف شِيَة(٨١) واهراء غلّة

ولمّا سرنا عـن باب النصر تجمّعت قبائـلُ العرب الذيـن استحلفهم عبّاس وقاتلونـا مـن يوم الجمعة [٨ و] ضحى نهار الـى يوم الخميس

(٧٦) عامة فصحها «المكارُون»

(٧٧) «والحمالن» في الاصل

(٧٨) ذكره المقريزي في «الخطط» ٢ ٩٢ و١٧٤

(٧٩) «ثمان» في اصل

(٨٠) الحُماليه من السوق العظيمة

(٨١) «للسّانين والف شيه» طبعه درنبورغ ص١٩ «للساتين والوسيّة» لاندبرغ ص١٨ والكلمات غير واضحة في الاصل

العشرين مـن ربيع الاوّل(٨٢)٠ فكانوا يقاتلونا النهار كلّه٠ فاذا جنّ الليل ونزلنا اعملونا الى ان نام، ثم يركبون في مائة فارس ويدفعون خيلهم في بعض جوانبنا ويرفعون اصواتهم بالصياح٠ فما نفر مـن خيلنا وخرج اليهم اخذوه

أسامة جريح

وانقطعتُ يوماً عن اصحابي وتحتي حصان ابيض، هو اردى(٨٣) خيلي، شدّه الركابي ولا يدري ما يجري، وما معي من السلاح غير سيفي٠ فحمل عليّ العرب فلم أجد ما ادفعهم به، ولا ينجيني منهم حصاني، وقد وصلتني رماحهم٠ قلت «أثب عن الحصان واجذب سيفي، ادفعهم»٠ فجمعت نفسي لاثب، فتتعتع الحصان٠ فوقعت على حجاره وارض خشنة، فانقطعتْ قطعة من جلدة رأسي ودختُ حتى ما بقيت ادري بما انا فيه٠ فوقف عليّ منهم قوم، وانـا جالس مكشوف الرأس، غائب الذهن، وسيفي مرميٌّ بحجاره٠ فضربني واحد منهم ضربتين بالسيف وقال «هـات الورن» وانا لا ادري مـا يقول٠ ثم اخذوا حصاني وسيفي

ورآني الاتراك فعادوا الي ٠ ونفّذ لي ناصر الدين بن عبّاس حصانـاً وسيفاً وسرتُ وانا لا اقدر على عصابـة اشدّ بها جراحي٠ فسبحان مـن لا يزول ملكه

وسرنا وما مع احد ما كفُّ زاد٠ واذا اردت اشرب ماء ترجّلت شربت بيدي، وقبل ان اخرج بليلة جلستُ فـي بعض دهاليز داري على كرسيّ وعرضوا علـيّ ستّة عشر جمل(٨٤) روايا وما شاء الله سبحانه مـن القرب والسطائح

وعجزت عن حمل اهلي٠ فرددتهم من بلبيس الى عبد الملك الصالح ابي الغارات طلائع بن رزّيك، رحمه الله، فاحسن اليهم وانزلهم فـي دار

(٨٢) ٢٩ ايار ــ ٤حزيران سنه ١١٥٤

(٨٣) عاميه فصحها «اردا»

(٨٤) «جَمله»؟

واحرى لهم ما يحتاجو نه. ولمّا اراد العرب الدين يقاتلونا الرجوع عنا جاؤونا يطلبون حسنًا اذا عدنا(٨٥)

عبّاس يقتله الافرنج

وسرنا الى يوم الاحد ثالث وعشرين ربيع الاوّل فصبّحنا(٨٦) الافرنج في جمعهم على المُوَيلح(٨٧) فقتلوا عبّاساً وابنه حُسام الملك واسروا ابنه ناصر الدين(٨٨) واخذوا حراثه وحُرمَه. وقتلوا من ظفروا به. واخذوا اخي نجم الدولة ابا عبد الله محمداً(٨٩)، رحمه الله، اسيراً. وعادوا عنا ونحن قد تخلّصنا عنهم في الجبال

مخاطر وادي موسى

فسرنا في اشدّ من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف للخيل الى ان وصلنا [٨ ق] جبال بني فُهيد، لعنهم الله، في وادي موسى. وطلعنا في طرقات ضيّقة وعرة الى ارض فسيحة ورجال وشياطين رجيمة من ظفروا به منّا منفرداً قتلوه

وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الأمراء الطائيين. فسألت «من هاهنا من الامراء بني ربيعة؟» قالوا «منصور بن عبد فَضل»(٩٠). وهو صديقي. فدفعت لواحد دينارين وقلت «امضِ الى منصور قل له ‹صديقك ابن منقذ يسلّم عليك ويقول لك صل اليه بكره›». وبتنا في مبيت سوء من خوفهم

فلمّا اضاء الصبح اخذوا عدّتهم ووقفوا على العين وقالوا «ما ندعكم

(٨٥) «ثم جاؤا اليه واخذوا منه حسناً على اموالهم وانفسهم وبنو بهم طمعاً منهم ان له عودة اليهم» ابو شامه ١ ٩٨

(٨٦) «فصبحونا» في الاصل وذلك في ٥ حزيران سنه ١١٥٤

(٨٧) محطه في الصحراء على طريق مصر ـ فلسطين

(٨٨) كيفيه قتله والتمثيل به وصفها «تاريخ» ابن خلكان (القاهره) ٢ ١٢٣

(٨٩) «محمد» في الاصل

(٩٠) «عدفل» في الاصل

تسريون ماءسا و يهلك بحن بالعطش» وتلك العين تكفي ربيعة ومصر، وكم في ارضهم مثلها، وانما قصدهم ان يشتوا السرّ بينا و بينهم و يأخذونا . فنحن فيما نحن فيه ومنصور بن عدفل وصل . فصاح عليهم وسبّهم . فتفرّقوا . وقال «اركب» . فركبنا و نزلنا في طريق اضيق من الطريق التي طلعت فيها واوعر فنزلنا الى الوطا سالمين، وماكدنا نسلم . فجمعت للامير منصور الف دينار مصريّة ودفعتُها اليه، وعاد

في دمشق

وسرنا حتى وصلنا بلد دمشق بمن سلم من الافرنج و بني فهيد يوم الجمعه خامس ربيع الاخر من السنة(٩١) وكانت السلامة من تلك الطريق من دلائل قدرة الله عزّ وجلّ وحسن دفاعه

قصّة السرج

ومن عجيب ما جرى لي في تلك الوقعة ان الظافر كان ارسل الى ابن عبّاس رهوارًا صغيرًا مليحًا افريحيًا . وكنتُ قد خرجت الى قرية لي، وابني ابو الفوارس مرهف عند ابن عبّاس، فقال «كنّا نريد لهذا الرهوار سرجًا مليحًا من السروج العربيّة(٩٢)» . فقال له ابني «قد وجدته، يامولاي، وهو فوق العرض(٩٣)» . قال «اين هو؟» قال «في دار خادمك والدي . له سرج عربيّ مليح» . قال «ابعد احضره» . فارسل رسولا الى داري احد السرج، فاخذه، وشدّ به على الرهوار . وكان السرج طلع معي من الشأم على بعض الجنائب وهو مسّت مُجرى سواد في غاية الحسن وزنه مائة مثقال و نلثون مثقالا(٩٤)

(٩١) ١٩ حزيران سنه ١١٥٤

(٩٢) اشتهرت غزّة لذلك العهد بصناعة السروج

(٩٣) «العرض» طبعه درنبورغ ص٢١ والعرض الحاجة والبغيه

(٩٤) لعلّ المقصود ان هذا وزن الذهب عليه

ووصلت انا مـن الاقطاع٠ فقال لـي ناصر الدين «ادللنا(٩٥) عليك واحدنا هذا السرج من دارك»٠ فقلت «يامولاي، ما اسعدني بخدمتك!»

فلمّا خرج علينا الافرنج بالمويلح كان معي من مماليكي خمسة رجال على الجمال احدث العرب خيلهم٠ فلمّا وقع الافرنج(٩٦) بقيت الخيل سائبة٠ فنزل الغلمان عن [٩ و] الجمال واعترضوا الخيل واخذوا منهـا ما ركبوه٠ فكان على بعض الخيل التي اخذوها ذلك السرج الذهب الذي اخذه ابن عبّاس

وكان حسام الملك ابن عمّ عبّاس، واخو عبّاس ابن العادل(٩٧) قد سلما فيمن سلم منّا٠ وقد سمع حسام الملك خبر السرج فقال وانـا اسمع «كلّ ما كان لهذا المسكين (يعني ابن عبّاس) نُهب٠ فمنه ما نهبه الافرنج، ومنه مـا نهبه اصحابه»٠ قلت «لعلّك تعني السرج الذهب»٠ قال «نعم» فامرت باحضاره وقلت «اقرأ مـا عليه٠ اسم عبّاس عليه واسم ابنـه او اسمي؟ ومن كان في مصر يقدر يركب سرج ذهب في ايّام الحافظ غيري؟» وكان اسمي مكتوباً علـى دائر السرج بالسواد، ووسطه مبَت٠ فلمّا قرأ ما عليه اعتذر وسكت

عدم الاتعاظ بنكبة رضوان

ولولا نفاذ المشيئة فـي عبّاس وابنه وعواقب البغي وكفر النعمة كـان اتّعظ بمـا جرى قبله للافضل رِضوان بن الولَخشي، رحمه الله٠ كان وزيرًا فقام الجند عليه بامر الحافظ كما قاموا على عبّاس٠ فخرج مـن مصر يريد الشأم ونُهبت داره وحُرمه حتى ان رجلاً يُعرف بالقائد مقبل رأى مع السودان جارية فاشتراها منهم وبعثها الى داره وكانت له امرأة صالحة٠ فاطلعت الجارية الى حجرة في عُلـو الدار فسمعتها تقول «لعل

(٩٥) «ادللنا» في الاصل والمقصود احدنا السرج نوع الدالّة التي لنا عندك
(٩٦) عن خيولهم
(٩٧) هذا العادل هو الوزير ابن السلّار

الله يطفر بـا بمن بغى علينا وكفر بعمنا». فسألتها «من انت ؟» فقالت «انا قطر الندى(٩٨) بنت رضوان». فقصدت المرأة التي زوجها القائد(٩٩) فقبل احضرته وهو على باب القصر في خدمته. فعرّفه حال البنت. فكتب الى الحافظ مطالعة، فعرّفه بذلك. فقصد من خُدّام القصر من اخذها من دار فقبل ورفعها الى القصر

أسامة بمهمّة ساسية تجاه رضوان

ثم ان رضوان وصل الى صلخد، وفيها امين الدولة طغدكين(١٠٠) اتابك، رحمه الله. فاكرمه وانزله وخدمه. وملكُ الامراء اتابك زنكي ابن آقسُنقُر، رحمه الله، على بعلبك يحاصرها. فراسل رضوان واستقرّ انه يمضي اليه. وكان رجلاً كاملاً كريماً شجاعاً كاتباً عارفا، وللجند اليه ميل عظيم لكرمه. فقال لي الامير معين الدين(١٠١)، رضي الله عنه، «هذا الرجل ان انضاف الى اتابك دخل علينا منه ضرر كبير». قلت «فايّ شيء ترى؟» قال «تسير اليه لعلّك تردّ رأيه عن قصد اتابك. ويكون وصوله الى دمشق. وانت ترى فيما تفعله في هذا رأيك». فسرت اليه الى صلخد واجتمعت به وبابنه الأوحد وتحدّثت معهما. فقال لي الافضل رضوان «فرط الأمر مني ورهنت قولي عند [٩ ق] هذا السلطان بوصولي اليه، ولزمني الوفاء بقولي». قلت «اقدمك الله على خير! وانا اعود الى صاحبي، فانه ما يسعني عنّي، بعد ان اخرج اليك بما في نفسي». قال «قل». قلتُ «اذا وصلت الى اتابك، معه من العسكر ما يقدر بصفه معك الى مصر وبقي بصفه يحاصر بابه؟» قال «لا». قلت «فاذا هو نزل على دمشق وحاصرها واخذها بعد المدّة الطويلة بقدر، وقد ضعف عسكره

(٩٨) «الندا» في الاصل «الندا» طبعه درنبورغ ص٢٢

(٩٩) القائد من كان تحت إمرته ابنه الطبرى «تاريخ» (لندن ١٨٨٣ ــ ٨٤) ٣ ١٧٩٩

(١٠٠) ربما كان المراد «كُمُشتكين» لان طُغدكين كان قد توفي قبل الان

(١٠١) معين الدين انر، وزير دمشق

وفَرعَت ىمماتُهم وطالت سفرتهم، يسير معك الى مصر قبل ان يحدّد بركه ويقوّي عسكره؟» قال «لا»٠ قلت «دلك الوقت يقول لك ‹سير الى حلب نحدّد آلة سفرنا›٠ فادا وصلتم الى حلب قال ‹ىمصي الى الفرات(١٠٢) نحمع التركمان›٠ فادا نزلتم على الفرات قال ‹ان لـم نعدّ الفرات مـا يحتمع لنا التركمان›٠ فادا عدّيتم تشوّف بك وافتحر على سلاطين الشرق وقال ‹هدا عرير مصر(١٠٣) في حدمتي›٠ وتتمنّى دلك الوقت ان ترى حجرًا مـن حجارة الشأم فلا تقدر عليهـا وتدكر حيئذٍ كلامـي وتقول ‹ىصحني ما قلتُ›»٠ فاطرق ممكرًا لا يدري مـا يقول٠ ثم التفت اليّ وقال «مادا اعمل؟ وانت تريد ترجع»٠ قلت «ان كان فـي مقامي مصلحة اقمت»٠ قال «نعم»٠ فاقمت

وتكرّر الحديث بيني وبيه حتى استقرّ وصوله الـى دمسق، وان يكون له ثلاثون الف دينار نصفها نقد ونصفها إقطاع، ويكون لـه دار العَقيقيّ، ويحرج لاصحابـه ديوان٠ وكتب لـي خطّه بدلك، وكان كاتبـاً حسناً٠ وقال «ان شئت سرتُ معك»٠ قلت «لا، انا اسير ومعي الحمام مـن هاهنا٠ فادا وصلتُ واخليتُ الدار ورتبتُ الامر، طيَرت اليك الحمام وسرت انا فـي الوقت الماك فـي نصف الطريق وادحل بين يديك»٠ فتقرّر دلك٠ وودّعتُه وسرت

رضوان في حبس مصر

وكان امين الدولة يسهي مصيره الى مصر لما قد وعده به واطمعه فيه٠ فحمع له من قدر عليه وسيّره بعد مفارقتي له٠ فلمّا دخل حدود مصر(١٠٤) غدر به الدين كانوا معه من الاتراك ونهبوا ثقلَه. والتجأ هو الى حيّ من احياء العرب٠ وراسل الحافظ وطلب منه الامان، وعاد الى مصر٠ فساعة وصوله الى مصر امر به الحافظ فحُبس هو وولده

(١٠٢) «القراه» في الاصل

(١٠٣) لقب لحكام مصر بعد الخليفه الفاطمي العزيز (٩٧٥ ـ ٩٩٦)

(١٠٤) ايلول سنه ١١٣٩

واتّفق طلوعي الى مصر(١٠٥) وهو في الحبس في دار في حاب القصر. فقب بمسمار حديد اربعة عشر ذراعاً وخرج ليلة الخميس، وله من الامراء نسيب قد عرف امره فهو عند القصر ينتظره ومصطنع له من لوائه، ومشوا الى النيل عَدوا الى الجيزه. واختبطت القاهرة لهروبه. [١ و] واصبح في مَنظَرَة في الجيزه والناس يجتمعون اليه وعسكر مصر قد تأهَّب لقتاله. ثم اصبح بكرة الجمعه عدى الى القاهره والعسكر المصري مع قَيمار(١٠٦) صاحب الباب مدرّعين للّقاء. فلمّا وصلهم هزمهم ودخل القاهرة

رضوان يقتله الحرس الفاطمي

وكنت قد ركبت انا واصحابي الى باب القصر، قبل دخوله البلد، فوجدت ابواب القصر معلَّقة وما عندها احد. فرجعت نزلت في داري. ونزل رضوان في الجامع الاقمر(١٠٧). واجتمع اليه الامراء وحملوا اليه الطعام والنفقة. وقد جمع الحافظ قوماً من السودان في القصر شربوا وسكروا. وفتح لهم باب القصر فخرجوا يريدون رضواناً(١٠٨). فلمّا وقع الصياح ركب الامراء كلّهم من عند رضوان وتفرّقوا وخرج هو من الجامع وجد حصانه قد اخذه الركابي وراح. فرآه رجل من صبيان الخاصّ واقفاً على باب الجامع فقال «يامولاي، ما تركب حصاني؟» قال «بلى». فجاء اليه يركض وسيفه في يده. فاوما كانه يميل للنزول وضربه بالسيف، فوقع. ووصله السودان قتلوه. وتقاسم اهل مصر لحمه يأكلونه ليكونوا شجعاناً. فقد كان فيه معسر(١٠٩) وواعظ لولا نفاد المتيئه

(١٠٥) شرس النابي سنة ١١٤٤

(١٠٦) تاج الملوك قيمار ولقبه «صاحب الباب» كان يُطلق على الوزير الثاني القلقشندي ٣ ٤٨٣

(١٠٧) بناه الخليفة الآمر سنة ١١٢٥

(١٠٨) «رضوان» في الاصل

(١٠٩) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»

بالفصاد ينجو جريح

واصاب ذلك اليوم رجلاً من اصحابنا الشاميّين جراح كثيرة. فجاءني اخوه وقال «اخي تالف». قد وقع فيه كذا وكذا جرح سيوف وغيرها، وهو مغمور ما يفيق». قلت «ارجع افصده». قال «قد خرج منه عشرون رطل دم». قلت «إرجع إفصده، فانا اخبر منك بالجراح. وليس له دواء غير الفصاد». فمضى غاب عنّي ساعتين ثم عاد وهو مستبشر، قال «انا فصدته، وهو افاق وجلس واكل وشرب وذهب عنه البؤس». قلت «الحمد لله! ولولا اني جرّبت هذا في نفسي عدّة مرار ما وصفته لك»

٤ ـ ريارة أسامة التابية لدمشق
١١٥٤ ـ ١١٦٤م

ثم اتّصلت بحدمة الملك العادل بور الدين، رحمه الله. وكاتب الملك الصالح(١) في تسيير اهلي واولادي الدين تحلّفوا بمصر، وكان محسناً اليهم. فردّ الرسول واعتدر بانه يحاف عليهم من الافرنج. وكتب اليّ يقول «ترجع الى مصر وانت تعرف ما بيني وبينك. وان كنت مستوحشاً من اهل القصر فصل الى مكّة وأنفذ لك كتاباً بتسليم مدينة أسوان(٢) اليك، وامدّك بما تتقوّى به على محاربة الحبشة (فاسوان ثغر من ثغور المسلمين)، واسيّر اليك اهلك واولادك»

فشاورت الملك العادل واستطلعت امره فقال «يافلان، ما صدقتَ متى تخلص من مصر وفتنها، تعود اليها! العمرُ اقصرُ من ذلك. انا [١٠ ق] انفذ آخذ لاهلك الامان من ملك الافرنج(٣) واسيّر من يُحضرهم».

فانفذ، رحمه الله، اخذ امان الملك وصليبه في البر والبحر

أسرة أسامة بيد الافرنج

وسيَّرتُ الامان مع غلام لي وكتاب الملك العادل وكتابي الى الملك الصالح. فسيَّرهم في عُشاريّ من الخاصّ الى دمياط. وحمل لهم كلّ ما يحتاجون به من النفقات والزاد، ووصى بهم واقلعوا من دمياط في بُطسة(٤) من بطس الافرنج. فلمّا دنوا من عكّا والملك، لا رحمه

(١) ابن رُزّيك
(٢) «أصوان» اليوم
(٣) بالدوين الثالث ملك اورسليم ١١٤٢ ــ ٦٢
(٤) «بُطسه» في Dozy, *Supplement aux dictionnaires Arabes* «بَطسه» في «المحيط» وهي المركب

الله، فيها ىىّدقوماً في مركب صعير كسروا الىطسة ىالموعوس(٥)، واصحابي يرونهم. وركب ووقف على الساحل ىهب كلّ ما فيه

فحرح اليه علام لـي ساحة، والامان معه وقال له «ىامولاي الملك، مـا هدا امانك؟» قال «ىلى. ولكن هدا رسم المسلمىں ادا انكسر لهم مركب على ىلد ىهىه اهـل دلك الىلد». فال «فتسىا؟» قال «لا». واىرلهم، لعىه الله، في دار وفتَس الىسـاء حتى احد كل ما معهم. وقد كان فـي المركب حلى اودعه الىساء وكسوات وحوهر وسيوف وسلاح ودهب وفصّة ىحو مں ثلاىں الف دينار. فـاحد الحميع ونقّد لهـم حمىں مائـة دينار وقـال «توصلوا ىهده الى ىلادكم» ـ وكانوا رحالا ونساء في حمسين ىسمة

وكىت اد داك مـع الملك العادل فـي ىلاد الملك مسعود(٦) رَعىـاں وكَـيسُون(٧). فهوّن عليّ سلامة اولادي واولاد احي. وحرمىا دهاب ما دهب مـں المال، الا ما دهب لي مـں الكىب، فانهـا كانت ارىعة آلاف(٨) محلّد من الكىب الفاحرة. فاں دهاىها حرارة في قلبي ما عىست

فهده ىكىـات ترعرع الحـال وتُفىي الأموال. والله سىحانـه ىعوّض ىرحمته ويحتم ىلطفه ومعفرته. وىلك وقعـات كىار شاهدىها مصافة الـى ىكىات ىُكِـىىُها سَلِـمت فيهـا الىفس لتوقىت الآحال، وأُححفتُ ىهلاك المال

(٥) «ىالفوس» في الاصل فاىل ادىاه ص ٢١ ح٥٩
(٦) سلطان قوىيه
(٧) اي في رعىاں وكىسوں
(٨) «الف» في الاصل

٥ ـ معارك مع الافرنج ومع المسلمين

وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكفّار والمسلمين ما لا احصيها. وساورد من عجائب ما شاهدته ومارسه في الحروب ما يحصر في ذكره. وما النسيان بمستكر لمن طال عليه ممر الاعوام، وهو وراثه بني آدم من ابيهم عليه الصلاه والسلام

شرف الفارس جُمعة

فمن ذلك ما شاهدته من انفة الفرسان وحملهم نفوسهم على الاخطار. انا كنا التقينا نحن وشهاب الدين محمود بن قَراجا، صاحب حماه ذلك الوقت(١)، وكانت الحرب بيننا وبينه [ا ا و] ما تعبّ(٢)، والمواكب واقفة والطراد بين المتسرّعة(٣). فجاءني رجل من اجنادنا وفرساننا المعدودين يقال له جُمعة من بني نُمير، وهو يبكي فقلت له «ما لك يا ابا محمود؟ هذا وقت بكاء؟» قال «طعنني سَرهَنك(٤) بن ابي منصور». قلت «واذا طعنك سرهنك اي شيء يكون؟» قال «ما يكون شيء الا يطعنني مثل سرهنك! والله ان الموت اسهل عليّ من ان يطعنني. لكنّه استغفلني واغتالني». فجعلت أُسكّنه واهوّن الامر عليه. فردّ رأس فرسه راجعاً. فقلت «الى اين يا ابا محمود؟» قال «الى سرهنك. والله لأطعنّه او لأموتنّ دونه»

فغاب ساعة واشتغلت انا بمن مقابلي ثم عاد وهو يضحك فقلت «ما

(١) حوالى ١١٢٣
(٢) «تعب» في الاصل
(٣) «المسرعه» في الاصل
(٤) «سَرهَنك» فارسيه معناها الزعيم

عملت؟» فقال «طعنته والله. ولو لم اطعنه لماطت روحي». فحمل عليه في جمع اصحابه فطعنه وعاد. فكأنّ هذا الشعر على سرهنك وجُمعة بقوله

لله درُّك ما نَظُنُّ بسائر حرّانَ ليس عن التراب براقد
أ فَطِنْتَه وردتَ [عنه](٥) ولم تُنم حقا عليك وكيف نوم الحاهد
إن تُمكن الاتّام منك وعلّها يوما تُكلّل لك بالصوّاع الرائد

وقد كان سرهنك هذا من الفرسان المذكورين مقدّماً في الأكراد، الا انه كان شاباً وجُمعة رجل كهل له ميزة بالسن والتقدّميّة في الشجاعة

برار في صدر الاسلام

وذكرتُ بفعلة سرهنك ما فعله مالك بن الحارث(٦) الاشتر، رحمه الله، بابي مُسَيكة الايادي

وذلك انه لمّا ارتدّت العرب في ايام ابي بكر الصدّيق، رضوان الله عليه، وعزم الله سبحانه له على قتالهم، جهّز العساكر الى قبائل العرب المرتدين. فكان ابو مُسَيكة الإيادي مع بني حنيفة وكانوا اشدّ العرب شوكة. وكان مالك الاشتر في جيش(٧) ابي بكر، رحمه الله. فلمّا تواقفوا برز مالك بين الصفّين وصاح «يا ابا مُسَيكة!» فبرز له. فقال «ويحك! يا ابا مُسَيكة، بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت الى الكفر؟» فقال «اليك عني يامالك! انهم يحرمون الخمر، ولاصبر عنها». قال «فهل لك في المبارزة؟» قال «نعم» فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيوف. فضربه ابو مُسَيكه فشقّ رأسه وشتر عينه [١١ ق] وبتلك الضربة سُمّي الاشتر

فرجع وهو معتنق رقبة فرسه الى رحله. واجتمع له قوم من اهله واصدقائه يبكون. فقال لاحدهم «ادخلْ يدك في فمي». فادخل اصبعه

(٥) ناقصة في الاصل
(٦) «ملك بن حرب» في الاصل
(٧) «حسن» في الاصل «حسن» طبعه درنبورغ ص٢٧

في فمه. فعصها مالك فالتوى الرحل من الوجع. فقال مالك «لا بأس على صاحبكم. يقال اذا سلمت الاضراس سلم الرأس. احشوها (يعني الضربة) سَويقاً وشدّوها بعمامة» فلمّا حشوها وسدّوها قال «هاتوا فرسي» قالوا «الى اين؟» قال «الى ابي مُسيكة»
. فمرّ بين الصفين وصاح «ياابا مُسَيكه!» فخرج اليه مثل السهم. فضربه مالك بالسيف على كمه فقطّها الى سرجه فقتله. ورجع مالك الى رحله فبقي اربعين يوماً لا يستطيع الحراك ثم ابلّ وعوفي من جرحه ذلك

سلامه المطعون ابن رمام

ومن ذلك ما شاهدته من سلامة المطعون، وقد ظُن انه قد هلك، انا التقينا بوادرَ خيل شهاب الدين محمود بن قَراجا(٨) وقد جاء الى ارضنا وكمن لنا كميناً. فلمّا بوافقنا نحن وهو انتشرت خيلنا فجاءني فارس من جندنا يقال له علي بن سلام نُميري وقال «اصحابنا قد انسروا. ان حملوا عليهم اهلكوهم» قلت «احبس عني اخوتي وبني عمّي حتى اردهم» فقال «ياامراء، دعوا هذا يردّ الناس ولا تتبعوه، والا حملوا عليهم قلعوهم». قالُوا «يمضي». فخرجت أُناقلُ(٩) حصاني حتى رددتهم، وكانوا ممسكين عنهم ليستجرّوهم ويتمكّنوا منهم

فلمَا رأَوني قد رددتهم حملوا علينا. وخرج كمينهم وانا على فسحة من اصحابي. فرجعت ما رأيتهم اريد احمي اعقاب اصحابي. فوجدت ابن عمّي ليث الدولة يحيى، رحمه الله، قد حذب(١٠) من وراء اصحابي من قبليّ الطريق وانا في شماليّه. فجئناهم. فتسرّع فارس من خيلهم يقال له فارس بن رمام، رجل عربي فارس مشهور، وجارنا يريد الطعن

(٨) امير حماه
(٩) «اناقل» في الاصل
(١٠) «حذُب» في الاصل «حدب» طبعه درنبورغ ص٢٨

في اصحابنا. فسبقني اليه ابن عمّي. فطعنه. فوقع هو وحصانه ووقع الرمح فقعة سمعتها انا واولئك

وكان الوالد، رحمه الله، ارسل رسولاً الى شهاب الدين، فاخذه معه لمّا جاء لقتالنا. فلمّا طُعن فارس بن رمام ولم يبلغ منا ما اراد بعد الرسول من مكانه بجواب ما سار(١١) فيه، ورجع الى حماة. فسألت الرسول «هل مات فارس بن رمام؟» قال «لا، والله، ولا فيه جرح». قال «ليث الدولة طعنه، وانا اراه، فرماه ورمى حصانه. وسمعت قعقعة كسر الرمح. لمّا عَنّيه ليث الدولة من يساره مال(١١) على جانبه الايمن وفي يده قُنطاريته(١٢). فوقع حصانه [١٢ و] على قُنطاريته وهي على وهدة، فانكسرت وتدنّى ليث الدولة برمحه، فوقع من يده. والذي سمعتَ قعقعة قُنطارية فارس بن رمام. ورمح ليث الدولة احضروه بين يدي شهاب الدين، وانا حاضر، وهو صحيح ما فيه كسر، ولا في فارس جرح». فعجبتُ من سلامته. وكانت تلك الطعنة طعنة فصل كما قال عنتره

الخيلُ تعلم والفوارسُ انّني فرّقتُ جَمْعَهُمُ بطعنةِ فيصلِ

ورجع جميعهم وكسبهم ما نالوا منه ما ارادوه

والبيت المقدّم من ابيات لعنتره بن شدّاد يقول فيها

إني امرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنصِبا شَطري واحمي سائري بالمُنصُلِ (١٣)
واذا الكتيبةُ احجمَت وتلاحظَت أُلفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخوَلِ
ان المنيّةَ لو تُمثَّلُ مُثّلَت مثلي اذا نزلوا بضَنْكِ المنزلِ
والخيلُ تعلم والفوارسُ أنّني فرّقتُ جمعَهم بطعنةِ فيصلِ
ودعَوا نزالِ فكنتُ اوّلَ نازلٍ وعَلامَ اركبُه اذا لم انزلِ

(١١) غير واضحة في الاصل
(١٢) بمثابة معناها فاه الرمح وتطلق على الرمح كله
(١٣) كان والد عنترة عربياً ووالدته جارية سوداء

فاذا عنده رجل من الافرنج. فقال «هذا الفارس قد جاء من افامية يريد
بصر الفارس الذي طعن فليب(٢٠) الفارس. فان الافرنج تعجبوا [١٣ و]
من تلك الطعنة وانها خرقت الزردية من طاقين وسلم الفارس». قلت
«كيف سلم؟» قال ذلك الفارس الافرنجي «جاءت الطعنه في جلدة
خاصرته». قلت «نعم الاجل حصن حصين». وما ظننته يسلم من تلك الطعنة

قلت يجب على من وصل الى الطعن ان يشد يده وذراعه على الرمح
الى جانبه ويدع الفرس يعمل ما يعمله في الطعنه. فانه متى حرّك يده
بالرمح او مدّها به لم يكن لطعنته تأثير ولا نكاية

يسلم بعد ان قُطع شريان قلبه

وشاهدتُ فارساً من رجالنا يقال له يدي(٢١) بن تَليل القُشيري،
وكان من شجعانها، وقد التقينا نحن والافرنج وهو مُعرى ما عليه غير ثوبين.
فطعنه فارس من الافرنج في صدره فقطع هذه العصفورة التي في الصدر
وخرج الرمح من جانبه. فرجع وما ظننه يصل منزله حياً فقدّر الله
سبحانه ان سلم وبرأ جرحه. لكنه لبث سنة اذا نام على ظهره لا يقدر
يجلس ان لم يجلسه انسان باكتافه(٢٢). ثم زال عنه ما كان يشكوه وعاد
الى تصرّفه وركوبه كما كان

قلت فسبحان من نفذت مشيئتُه في خلقه يُحيي ويميت وهو حيّ لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير(٢٣)

وآخر يموت من ابرة

كان عندنا رجل من المصطنعة، يقال له عنّاب، اجسم ما يكون من
الرجال واطولهم. دخل بيته فاعتمد على يده عند جلوسه على ثوب بين

(٢) Philip

(٢١) «يدى» فى الاصل ولعلها «يَدِي» «يَدّي» الخ

(٢٢) كذا فى الاصل بصيغة الجمع بدل المثنى

(٢٣) قابل القرآن ٣ ٢٥

يديه، كانت فيه ابرة، دخلت في راحته فمات منها. وبالله لقد كان يش(٢٤) في المدينة فيُسمع انينه من الحصن لعظم حلقه وجهاره صوته. يموت من ابرة وهذا القُشيري يدخل في صدره قُنطارية تخرج من جنبه لا يصيبه شيء

حوادث الرَّمرَّكل

نزل علينا صاحب انطاكية(٢٥)، لعنه الله، بفارسه وراجله وخيامه في عقص السين(٢٦). فركبنا ولقيناهم نظن انهم يقاتلونا. فجاؤا نزلوا منزلا كانوا ينزلونه، وهجموا في خيامهم. فرجعنا نحن الى آخر النهار. ثم ركبنا، ونحن نظن انهم يقاتلونا، فما ركبوا من خيامهم

وكان لابن عمّي ليث الدولة يحيى غلَّة قد نحرت وهي بالقرب من الافرنج فجمع دوابَّ(٢٧) يريد يمضي الى الغلَّة يحملها. فسرنا معه في عشرين فارساً معدّين، وقفنا بينه وبين الفرنج، الى ان حمل الغلَّة ومضى. فعدلت انا ورجل من مولَّدينا يقال له حسام الدوله مسافر، رحمه الله، الى كرم رأينا فيه [١٣ ق] شخوصاً، وهم على شط النهر(٢٨) فلمَّا وصلنا الشخوص التي رأيناها، والشمس على عينيها، فاذا شيخ عليه مَعرفه(٢٩) امرأةومعهآخر. فقال له حسامالدولة وكان، رحمهالله، رجلاً جيداً كثير المزاح «ياشيخ، اي شيء تعمل هاهنا؟» قال «انتظر الظلام واسترزق الله تعالى من خيل هاؤلاء الكفّار». قال «ياشيخ، باسنانك تقطع عن خيلهم؟» قال «لا، بهذه السكين» وجذب سكيناً من وسطه مشدوده بخيط مثل شعلة النار، وهو بغير سراويل. فتركناه وانصرفنا

واصبحت من بكرة ركبت انظر ما يكون من الافرنج، واذا الشيخ

(٢٤) «بارِشْ» في الاصل
(٢٥) لعله بالدون الثالث
(٢٦) حوالى سنه ١١٢٢
(٢٧) «دوابا» في الاصل (٢٨) العاصي
(٢٩) غطاء للرأس مثل «عَرقيَّه» في اللغه العاميه

حالس فــي طريقي على حجر والدم على ساقه وقدمه وقد جمد. قلت «يهنئك السلامة، اي شيء عملت؟» قال «احدت منهم حصاناً وترساً ورمحاً. ولحقني راحل، وانا حارج من عسكرهم، طعني بعد القنطارية في جحدي. وسقت بالحصان والترس والرمح» ـ وهو مستقل(٣٠) بالطعنة التي فيه كأنها في سواه. وهذا الرجل يقال له الزمركل(٣١) من شياطين اللصوص

حدثني عنه الامير معين الدين(٣٢)، رحمه الله، قال «اغرت رمان مقامي بحمص على شيرز وعدت آخر النهار نزلت على ضيعة من بلد حماة، وانا عدوّ لصاحب حماة (قال) فجاءني قوم معهم شيخ قد انكروه فقصدوه وجاؤني به فقلت «ياشيخ ايش انت؟» قــال «يامولاي، انــا رجــل صعلوك شيخ زمِن (واخرج يده وهي زمِنة) قد اخذ لــي العسكر عنزين جئت خلفهم لعلّ ان يصدّقوا علي بهما(٣٣)». فقلت لقوم من الجندارية «احفظوه الى غد(٣٤)». فاجلسوه بينهم وجلسوا على اكمام فروة عليه. فاستغفلهم في الليل وخرج من الفروه وتركها تحتهم وطار. فعدوا في اثره، سبقهم ومضى. (قال) وكنت قد نفّذت بعض اصحابي في شغل فلمّا عادوا وفيهم جندار يقال له سوماں(٣٥) قد كان يسكن بشيرز. فحدّثته حديث الشيخ قال «واحسرتي عليه! لــو كنت لحقته كنت شربت دمه. هذا الزمركل» قلت «فاي شيء بينك وبينه؟» قال «نزل عسكر الفرنج على شيرز فخرجت ادور به لعلّ اسرق حصاناً منهم. فلمّا اظلم الظلام مشيت الى طوالة خيل بين يديّ واذا هذا جالس بين يديّ. فقال لــي

(٣٠) من استقل الشيء اي عدّه قليلا
(٣١) صعب ضبط الحركات في هذه الكلمة
(٣٢) انُر
(٣٣) «بها» في الاصل
(٣٤) «غدا» في الاصل «غداء» طبعه در نبورغ ص٣٣
(٣٥) «سوماں»؟

الى اين؟ قلت آخذ حصاناً(٣٦) من هذه الطوالة. قال [١٤ و] واتنا من العشاء انطرها حتى تأخذ ذات الحصان! قلت لا تهذ (٣٧) قال لا تغترّ. والله، ما ادعك تأخذ شيئاً. فما التفتُ الى قوله ويمّمت الى الطوالة. فقام وصاح باعلى صوته وافقري! واخيبة تعبي وسهري! وصيّح حتى خرج علي الافرنج. فاما هو فطار. فطردوني حتى رميت نفسي في النهر، وما ظننت اني اسلم منهم. ولو لحقته كنت شربت دمه. وهو لص عظيم. وما تبع العسكر الا يسرق منه.»

فكان هذا الرجل يقول من يراه «ما في(٣٨) هذا يسرق رغيف خبز من بيته»

سرقة الخيل

ومن عجيب ما اتفق في السرقة ان رجلاً كان يخدمني يقال له عليّ بن الدُودَوَيه من اهل متكير(٣٩). نزل يوماً(٤٠) الافرنج، لعنهم الله، على كفرطاب، وهي اذ ذاك لصلاح الدين محمّد بن ايّوب العـسيانى(٤١)، رحمه الله. فخرج هذا عليّ بن الدُودَوَيه دار بهم واخذ حصاناً ركبه وخرج به من العسكر يركض، وهو يسمع الحس خلفه ويعتقد ان بعضهم قد ركب في طلبه، وهو مجدّ في الركض والحس خلفه حتى ركض قدر فرسخين والحس معه. فالتفت يبصر ما خلفه في الظلام، واذا بغلة كانت تألف الحصان قد قطعت مِقوَدها وتبعته. فوقف حتى شدّ فوطه في رأسها واخذها واصبح عندي فـي حماه بالحصان والبغلة. وكان الحصان من اجود الخيل واحسنها واسبقها

(٣٦) «حصان» في الاصل

(٣٧) «بهذى» في الاصل

(٣٨) عامه

(٣٩) «مسكن»؟ «تنكر» طبعه درنبورغ ص٣٣ حيث هـي اسم نكـرة لا علـم "Muthakīr" في ترجمة Shumann ص٧٥

(٤٠) بين سنة ١١٣٥ و١١٣٨

(٤١) اختصار «الياغـسيـانى» *Recueil* ١ ٨٦٣

اتابك يستولي على حصان أسامة

كنت يوماً عند اتابك وهو يحاصر رفَنِيَة(٤٢) وقد استدعاني فقال لي «يافلان، اي شيء من حصانك الذي حَنَّيته(٤٣)؟» وكان قد بلغه خبر الحصان. قلت «لا، والله يامولاي، ما لي حصان محنّى. حصني كلها في العسكر». قال «فالحصان الاشقر بحي؟» قلت «حاضر». قال «ابعد احضره». انفذت احضرته وقلت للغلام «امض به الى الاصطبل». قال اتابك «اتركه الساعة عندك». ثم اصبح سوى، فسق، وردّه الى اصطبلي. وعاد استدعاه من البلد وسوى به فسق. فحملته الى اصطبله

سهم في حلق

وشاهدتُ في الحرب عند انتهاء المدة كان عندنا رجل من الجند يقال له رافع الكلابيّ، وهو فارس مشهور. اقتتلنا نحن وبنو قَراجا وقد جمعوا لنا من التركمان وغيرهم وحشدوا وناصفناهم على فسحة من البلد. ثم تكاثروا علينا فرجعنا وبعضنا يحمي بعضاً. وهذا رافع في من يحمي الاعقاب، وهو لابس كُزاغند(٤٤) وعلى راسه خودة بلا لثام. فالتفت لعلّه يرى فيهم فرصة [١٤ ق] فينحرف عليهم، فضربه سهم كشما(٤٥) في حلقه ذبحه. ووقع مكانه ميتاً

طعنة في فرس

وكذلك شاهدتُ شهاب الدين محمود بن قَراجا، وقد اصطلح ما بيننا وبينه، وقد نفذ الى عمّي يقول له «تأمر أسامة يلقاني هو وفارس واحدً

(٤٢) بين حمص وحماة راجع R Ḍussaud, *Topographie historique de la Syrie antique et medievale* (باريز ١٩٢٧) ٩٨ — ١٠١

(٤٣) عامية فصحها «حنّاه»

(٤٤) فارسية «گزآغند» «كزاكند» — سترة سميكة تقوم مقام الدرع في القتال

(٤٥) «كسما» في الاصل وهي غير واضحة ولقد وردت ادناه ص١٩٦ س٨

الــى كرعة [؟] لنمضي نصر موضعاً نكمن فيه لأفامية و نقاتلهــا»٠ فأمر ني عمّي بذلك٠ فركبت ولقيته وا نصر نا المواضع

ثم اجتمع عسكر نا وعسكره(٤٦)، وانا على عسكر سيرر وهوفي عسكره، وسر نا الى افامية٠ فلقينا فارسهم وراجلهم في الخراب الذي لها وهو مكان لا يتصرّف فيه الخيل مـن الحجارة والأعمدة واصول الحيطـان الخراب٠ فعجزنا عن قلعهم من ذلك المكان٠ فقال لي رجل من جندنا «تريد تكسرهــم؟» قلت «نعم»٠ قال «اقصد بـنا باب الحصن» قلت «سيروا» ٠و ندم القائل وعلم انهم يدوسونا ويجوزون الى حصنهم٠ فاراد ان يردني عن ذلك، فابيتُ وقصدت الباب

فساعة مــا رآ نا(٤٧) الفرنج قاصدين الباب عـاد الينا فارسهم وراجلهم فداسونا وجاروا٠ ترجـل الفرسان داخل باب الحصن واطلعوا خيلهم الى الحصن وصفّوا عوالي قنطاريّا تهم في الباب، وانا وصاحب لي من مولـدي ابــي، رحمه الله، اسمه رافع بــن سُوتَكين [؟] وقوف تحت السور مقابل الباب وعلينا شيء كثير من الحجارة والنشّاب٠ وشهاب الدين واقف فــي موكب بعيد منهم على خوف الاكراد٠ فقد طُعن صاحب لنا يقال له حارثه النُميريّ نسيب(٤٨) جُمعة في صدر فرسه طعنة معترضه٠ و برلت(٤٩) القنطار ية فــي الفرس فتحـطّت حتى(٥٠) وقعت القنطارية منهــا ووقعت جلدة صدرها جميعها، فبقيت مسلة على اعضادها

في زند

وشهاب الدين منعزل عن القتال٠ فجاء سهم من الحصن فضربه في جانب عظم زنده فما دخل فيجانب عظم زنده مقدار طول شعرة٠ فجاءني

(٤٦) سنة ١١٢٤
(٤٧) «راونا» في الاصل عامه
(٤٨) «النُمرى نسب» طبعه درنبورغ ص٣٥
(٤٩) «و برل» في الاصل
(٥) مكرّره في الاصل

رسوله يقول «لا تز ُل(٥١) مكانك حتى نجمع الناس الذين تفرّقوا في البلد، فانا قد جُرحت وكأني احسّ الجرح في قلبي. وانا راجع، فاحفظ الناس». ومضى ورجعت انا بالناس نزلت على برج حرية(٥٢). وكان الافرنج لهم عليه ديدبان يكشفنا اذا اردنا الغارة على افامية

ووصلت العصر الى شيزر وشهاب الدين في دار والدي يريد يَحُلّ جرحه ويداويه، وعمّي قد معه وقال «والله، ما تحلّ جرحك الا في دارك». قال «انا في دار والدي» ـ يعني الوالد، رحمه الله. قال «اذا(٥٣) [١٥ و] وصلت دارك وبرأ جرحك دار والدك تحكمك»

فركب المعرب وسار الى حماه. فاقام العد وبعد العد ثم اسودّت يده وغاب عنه رشده ومات. وما كان به الا فراغ الاجل

طعنة تقطع عدّة اضلاع

وشاهدت من الطعنات العظيمة طعنة طعنها فارس من الافرنج، خذلهم الله، فارساً من اجنادنا يقال له سابه(٥٤) بن قُنيب كلابيّ قطع له ثلاثة اضلاع من جانبه اليسار وثلاثة اضلاع من جانبه الايمن وضرب مسمار الحربة مرفقه ففصله كما يفصل الجزّار المفصل. ومات لساعته

واخرى تقطع الزرد

وطعن رجل من اجنادنا كرديّ يقال له ميّاح فارساً من الافرنج ادخل قطعة من الزرد في جوفه وقتله. ثم ان الافرنج غاروا علينا بعد ايام، وميّاح قد تزوّج وجرح، وهو لابس وفوق درعه ثوب احمر من ثياب

(٥١) «نزول» في الاصل

(٥٢) غير واضحة في الاصل حيث وردت «مسمار» أو «مسمان» قبل «حرنه» (او «حرنه») وفوق «مسمار» علامة كالسم اما نقصد منها شطب الكلمة او تأخيرها قابل «حصن الحربة» ادناه ص٧٨ س١٥

(٥٣) «قال اذا» مكرّرة

(٥٤) ؟«سابه» في الاصل

العروس(٥٥)، قد تشهَّر به• فطعنه فارس من الافرنج فقتله، رحمه الله• «ياقرب مأتمه من العرس!»

فذكرت به الخبر عن النبيّ، صلَّى الله عليه وسلَّم، وقد أُنشد قول قيس بن الخَطيم

أُجالِدُهم يومَ الحديقة حاسراً كأنّ يدي بالسيف مِخْراقُ لاعبِ(٥٦)

فقال النبيّ صلّى الله عليه للحاضرين من الانصار، رضي الله عنهم «هل حضر احد منكم يوم الحديقة؟»(٥٧) فقال رجل منهم «انا حضرته، يارسول الله، صلَّى الله عليك وسلَّم، وحضره قيس بن الخطيم وهو قريب عهد بالعرس وعليه ملاءة حمراء• فوالذي بعثك بالحقّ لقد عمل في قتاله كما قال عن نفسه»

وثالثه تنفذ في صدر الافرنجي

ومن عجائب الطعن ان رجلاً من الاكراد يقال له حَمَدات كان قديم الصحبة قد سافر مع والدي، رحمه الله، الى اصبهان الى دركاه(٥٨) السلطان ملكشاه(٥٩)• فكبر وضعف بصره وساء له اولاد• فقال له عمّي عزّ الدين، رحمه الله، «ياحَمَدات، قد كبرت وضعفت• ولك علينا حقّ وخدمة• فلو لزمت مسجدك (وكان له مسجد على باب داره) واثبتنا اولادك في الديوان ويكون لك انت كل شهر ديناران وحمل دقيق وانت في مسجدك»• قال «افعل ياامير»• فأُجري له ذلك مُديدة

ثم جاء الى عمّي وقال «ياامير، والله، ما تطاوعني نفسي على القعود

(٥٥) بمعنى العروس
(٥٦) الاصفهاني «كتاب الاغاني» (بولاق ١٢٨٥ هـ) ٢ ١٦٢
(٥٧) بجوار المدينة والبوم هذا من ايام العرب وقع جواد بين الأوس والخزرج ياقوت «معجم البلدان» ٢ ٢٢٦
(٥٨) فارسية «دَرگاه» ـ بلاط، ديوان وكان ذلك سنة ٨٥ ١
(٥٩) السلجوقي المتوفى سنة ٩٢ ١

في البيت· وقتلي على فرسي اشهى الي من موتي على فراشي»· قال «الامر لك»· وامر(٦٠) [١٥ ق] برد ديوانه عليه كما كان

فما مضى الا الايام القلائل(٦١) حتى غار علينا السّرداني(٦٢) صاحب طرابلس· ففزع الناس اليهم، وحمدات في جملة الرَوع، فوقف على رفعه من الارض مستقبل القبلة· فحمل عليه فارس من الافرنج من غربيّه· فصاح اليه بعض اصحابنا «ياحمدات!» فالتفت رأى الفارس قاصده· فرد رأس فرسه شمالا(٦٣) ومسك رمحه بيده وسدّده الى صدر الافرنجي، فطعنه نفذ الرمح منه· فرجع الافرنجي متعلقاً برقبة حصانه في آخر رمقه· فلمّا انقضى القتال قال حمدات لعمّي «ياامير، لو ان حمدات في المسجد من كان طعن هذه الطعنة؟»

فاذكرني قول الفِنْد الزِّمّاني(٦٤)

أيَـا طَعنةَ مـا شَيخٍ كَبيرٍ يَفَنٍ بالـي
تَفتَّتُ بهـا اذ كَـرِهَ الشِّكّةَ أمثـالـي

وكان الفند قد كبر وحضر القتال فطعن فارسين مقترنين فرماهما جميعاً

طعنة تودي بفارسين وفرسين

وقد كان جرى لنا مثل ذلك وهو ان فلاحاً من العَلاة جاء يركض الى ابي وعمّي، رحمهما الله، قال «شاهدت سرية افرنج تائهين قد جاءوا من الرَيّة· لو خرجتم اليهم اخذتموهم» فركب ابي وعمّاي وخرجوا بالعسكر الى السرية التائهة واذا به السّرداني صاحب طرابلس في

(٦٠) مكرّره
(٦١) سنه ٥٠٨ ١١
(٦٢) William Jourdain هو كونت Cerdagne
(٦٣) «شمال» في الاصل
(٦٤) سهل بن شيبان شاعر جاهلي

ثلاثمائة فارس ومائتي تُركبولي(٦٥)، وهم رماة الافرنج. فلمّا رأوا اصحابنا ركبوا خيلهم واطلقوا على اصحابنا هزموهم، وتمّوا(٦٦) يطردونهم. فانحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له ياقوت الطويل، وابي وعمّي، رحمهما الله، يريانه. فطعن فارساً منهم الى جانبه فارس آخر، وهما يتبعان اصحابنا. فرمى الفارسين والفرسين.

وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها. فكلّما همّ والدي به وبتأديبه يقول عمّي «ياأخي، بحياتك هب لي ذنبه ولا تنس(٦٧) له تلك الطعنة». فيصفح عنه لكلام اخيه.

وكان حمدات الذي تقدّم ذكره ظريف الحديث. حدّثني والدي، رحمه الله، قال «قلتُ لحَمَدات ونحن سائرون في طريق اصبهان سحراً ‹امير حمدات، اكلت اليوم شيئاً؟› قال ‹نعم ياامير. اكلت ثريدة›. قلت ‹ركبنا في الليل وما [١٦ و] نزلنا ولا اوقدنا ناراً. من اين لك الثريدة؟› قال ‹ياامير عملتها في فمي. اخلط في فمي الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريدة›».

والد أُسامة مقاتلاً

وكان الوالد، رحمه الله، كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح هائلة. ومات على فراشه. وحضر يوماً القتال وهو لابس وعليه خودة اسلاميّة بانف فزرقه رجل بحربة ـ وكان معظم قتالهم مع العرب ذلك الزمان ـ فوقعت الحربة في انف الخوده فانطوى وادمى انفه ولم يؤذه. ولو كان قدّر الله سبحانه ان يميل المزراق عن انف الخودة كان اهلكه.

(٦٥) تعريب Turcopole جند في خدمة الافرنج آباؤهم اتراك (او عرب) وامهاتهم يونان ذكرهم عماد الدين الكاتب «الفتح القسّي» (لندن ١٨٨٨) ص٤٢٥ وغيره من مورخي الافرنج راجع Hitti, *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades* (نيو يورك ١٩٢٩) ص٧٩ حاشية ٤٢

(٦٦) «وتموا» في الاصل عامية بمعنى «وما زالوا»

(٦٧) «تنسى» في الاصل

وضُرب مرّة احرى بسنّابة فـي ساقه، وفي حفّه دُشيّ(٦٨)، فوقع السهم في الدس فانكسر فيه ولم نحرحه· هذا لحسن دفاع الله تعالى

وشهد، رحمه الله، الحرب بوم الاحد ىاسع وعسرين شوّال سنة سبع وتسعين واربعمائة(٦٩) مع سيف الدولة خلَف بن مُلاعب الاشهبي(٧٠) صاحب افاميه بارص كفرطاب· فلبس حوشنه، وعجَّل الغلام عن طرح كلّاب الحوش من الحانب· فجاءه حـبـسـت(٧١) فضربه في ذلك الموضع الذي احلّ الغلام بشده فوق برّة الايسر حرح الحبست من فوق برّه الايمن فكانت اسباب السلامة لما حرت بها المشيئة من العجب، والحرج لِما قدّره الله سبحانه من العجب

فطعن، رحمه الله، في ذلك اليوم فارساً واحرف حصانه وبى يده برمحه وحدبه من المطعون· فحدّثني قال «حسست شيئاً قد لدغ يدي، فطنته من حرارة صفائح الحوس الا ان رمحي سقط من يدي، فرددتها فاذا قد طُعنت في يدي وقد استرحت لقطع شيء مـن الاعصاب»· فحضر به، رحمه الله، وزيد الجرائحيّ يداوي حرحه، وعلى راسه غلام واقف، فقال «يا زيد، احرج هذه الحصاه من الحرح»· فما كلّمه الجرائحيّ· فعاد فقال «يا زيد ما تبصر هـذه الحصاة؟ مـا(٧٢) تزيلها مـن الحرح!» فلمّا اضجره قال «اين الحصاه؟ هـذا راس عصب قد انقطع»· وكان بالحقيقة ابيض كانه حصاه من حصا الفرات

واصابه ذلك اليوم طعنه احرى وسلّم الله حتى مات على فراشه، رحمه

(٦٨) او «دس» فارسيه «دَسـتَه» ــ حجر

(٦٩) ٢٥ نوفمبر سنه ١١٠٤

(٧٠) ذكره ابن تغرى بردي «النجوم الزاهره» (جامعه كليفورنيا) جلد٢ جزء ٢ ص٢٨٤ و٢٨٧

(٧١) فارسيه معناها حربه

(٧٢) يظهر ان استعمال « ما» هنا وفي غير مواضع هو للامر (كما في اللغه العاميه اليوم) وليس للاستفهام

الله، يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة احدى و ثلاثين وخمس مائة(٧٣)

والد أسامة ناسخاً

وكان يكتب خطّاً مليحاً، فما غيّرت تلك الطعنة من خطّه. وكان لا ينسخ سوى القرآن. فسالته يوما فقلت «يامولاي كم كتبت ختمة؟» قال «الساعة تعلمون». فلمّا حضر به الوفاة قال «في ذلك الصندوق مساطر كتبتُ على كلّ مسطرة ختمة صفوها [١٦ ق](يعني المساطر) تحت خدّي في القبر». فعددناها فكانت ثلاثاً واربعين مسطرة

فكان كتب عدّتها ختمات منها ختمة كبيرة كتبها بالذهب وكتب فيها علوم القرآن قراآته وغريبه وعربيّه وناسخه ومنسوخه وتفسيره وسبب نزوله وفقهه، بالحبر والحمرة والزرقة، وترجمه بالتفسير الكبير. وكتب ختمة اخرى بالذهب مجرّدة من التفسير. وباقي الختمات بالحبر مذهّبة الاعشار والاخماس والآيات ورؤوس السور ورؤوس الاجزاء

وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وانما ذكرته لاستدعي له الرحمه ممن وقف عليه

غلام يفدي مولاه

اعود الى ما تقدّم

وفي ذلك اليوم(٧٤) اصاب غلاماً كان لعمّي عزّ الدولة ابي المرهف نصر، رحمه الله، يقال له موفّق الدولة شمعون طعنة عظيمة التقاها دون عمّي عزّ الدين ابي العساكر سلطان، رحمه الله واتفق ان عمّي ارسله رسولا الى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش الى حلب فلمّا حضر بين يديه قال لغلمانه «مثل هذا تكون الغلمان واولاد الحلال في حق مواليهم». وقال لشمعون «حدّثهم حديثك ايّام والدي وما فعلته مع مولاك». فقال «يامولانا، بالامس حضرت القتال مع مولاي فحمل عليه

(٧٣) ١٣ آذار سنة ١١٣٧

(٧٤) ٢٥ تموز سنة ١١٠٤

فارس يطعنه. فدخلت بينه وبين مولاي لافديه بنفسي فطعنّي قطع من اضلاعي ضلعين وهي(٧٥) ـ ونعمتك ـ عندي في قمطرة». فقال له الملك رضوان «والله، ما اعطيك الجواب حتى تنفّذ تحضر القمطرة والاضلاع». فاقام عنده وارسل من احضر القمطرة وفيها عظمان من اضلاعه. فعجب رضوان من ذلك وقال لاصحابه «كذا اعملوا في خدمتي»

فامَا الامر الذي سأله عنه ايام والده تاج الدولة فان جدي سديد الملك ابا الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ، رحمه الله، سيَّر ولده عزّ الدوله نصراً(٧٦)، رحمه الله، الى خدمة تاج الدولة وهو معسكر بظاهر حلب. فغضب عليه واعتقله ووكّل به من يحفظه. وكان لا يدخل اليه سوى مملوكه هذا شمعون والموكّلون حول الخيمة. فكتب عمّي الى ابيه، رحمهما الله، يقول «نفّذ لـي فـي الليله الفلانية (وعيّنها) قوماً من اصحابه (ذكرهم) وخيلاً اركبها الى الموضع الفلاني» فلمَّا كانت تلك الليلة دخل شمعون خلع ثيابه فلبسها مولاه وخرج على الموكّلين في الليل، فما انكروه ومضى الى اصحابه وركب وسار. ونام شمعون في فراشه

وجرت العادة ان يجيئه شمعون في السحر بوضوئه فكان، رحمه الله، من الزهّاد القائمين [١٧ و] ليلهم يتلون كتاب الله تعالى. فلمّا اصبحوا ولم يروا شمعون دخل كعادته دخلوا الخيمة فوجدوا شمعون وعزّ الدولة قد راح فانهوا ذلك الى تاج الدوله. فامر باحضاره. فلمّا حضر بين يديه قال «كيف عملت؟» قال «اعطيت مولاي ثيابي لبسها وراح، ونمت انا في فراشه». قال «وما خشيتَ ان اضرب رقبتك؟» قال «يامولاي، اذا ضربت رقبتي وسلم مولاي وعاد الى بيته فانا السعيد بذلك. ما اشتراني وربّاني الا لافديه بنفسي»

فقال تاج الدولة، رحمه الله، لحاجبه «سلّم الى هذا الغلام خيل مولاه

(٧٥) هكذا في الاصل والاصح «وهما»
(٧٦) «نصر» في الاصل

ودوابّه وخيامه وجميع بركه، وسيّره يتبع صاحبه» . وما انكر عليه وما احنقه ما فعل في خدمة مولاه . فهذا الذي قال له رضوان «حدّث اصحابي ما عملتَه ايّام والدي مع مولاك»

اعود الى حديث الحرب المقدّم ذكرها مع ابن مُلاعب

عم أُسامة يُطعن في جفن عينه

وجُرح عمّي عزّ الدولة، رحمه الله، في ذلك اليوم عدّة جراح منها طعنة طُعنها في جفن عينه السلابيّ من ناحية المأق . ونشب الرمح في المأق عند موءخر العين فسقط الجفن جميعه وبقي معلقاً بجلده من موءخر العين، والعين تلعب لا تستقر . وانما الجفون التي تمسك العين . فخاطها الجرائحيّ وداواها فعادت كحالها الاوّلة(٧٧) لا تُعرَف العين المطعون به من الاخرى

شجاعة عم أُسامة ووالده

وكانا، رحمهما الله، من اشجع قومهما . ولقد شهدتهما يوماً وقد خرجا الى الصيد بالبراه نحو تلّ ملح(٧٨) وهناك طير ماء كثير . فما شعرنا الا وعسكر طرابلس قد اغار(٧٩) على البلد ووقفوا عليه . فرجعنا وكان الوالد من ابن مرض . فامّا عمّي فجفّ بمن معه من العسكر وسار حتى عبر من المخاص الى الافرنج، وهم يرونه . وامّا الوالد فسار والحصان يجبّ به، وانا معه صبيّ(٨٠) وفي يده سفرجلة يمتص منها . فلمّا دنونا من الافرنج قال لي «امضِ انت ادخل من السّكر» وعبر هو من ناحية الافرنج

(٧٧) كذا في الاصل وقد تكرّرت ادناه ص٨٨ وص٤ ١ س٢١

(٧٨) "Meleh" أو "Mellah" في Dussaud ص٨ ٢

(٧٩) «عار» في الاصل عاميه وهذه جمله الكونت برتراند Bertrand سنه ١١١

(٨٠) كان عمر أُسامه ١٥ سنه

ومرّة اخرى ساهدته وقد اعارت(٨١) علينا خيل محمود(٨٢) بن قراجا، ونحن على فسحة من البلد(٨٣)، وخيل محمود اقرب اليه منا. وانا قد حضرت القتال ومارست الحرب فلبست كزاغندي وركبت حصاني واخذت رمحي، وهو، رحمه الله، على بغلة. فقلت «يامولاي ما تركب حصانك!» قال «بلى» وسار كما هو غير مزعج ولا مستعجل، وانا لخوفي عليه الح عليه في ركوبه حصانه، الى ان وصلنا الى البلد، وهو على بغلته فلمّا عاد اولئك وامّا قلت «يامولاي، ترى العدوّ قد حال بيننا وبين البلد وانت لا تركب بعض جنائبك [١٧ ق] وانا احاطبك فلا تسمع!» قال «ياولدي، في طالعي انني لا ارتاع»

وكان، رحمه الله، انه البد الطولى في النجوم مع ورعه ودينه وصومه الدهر وتلاوة القرآن. وكان يحرّضني على معرفة علم النجوم فآبَى وامتنعُ. فيقول «فاعرف اسماء النجوم ما يطلع منها ويغرب». فكان يريني النجوم ويعرّفني اسماءها

مكيدة افرنجية على شيزر

ورأيت من إقدام الرجال ونخواتهم في الحرب انّا اصبحنا وقت صلاة الصبح(٨٤) رأينا سرية من الافرنج، نحواً من عشرة فوارس، جاءوا الى باب المدينة(٨٥) قبل [ان] يُفتح. فقالوا للبوّاب «ايّ شيء اسم هذا البلد؟» والباب خشب بينهما [؟] عوارض، وهو داخل الباب. قال «شيزر». فرموه بنشّاب من خلل الباب ورجعوا وخيلهم تخبّ بهم فركبنا فكان

(٨١) «عارب» في الاصل

(٨٢) سهاب الدين امير حماه وذلك سنة ١١٢

(٨٣) ذلك القسم من شيزر الواقع ضمن القلعه اما القسم الواقع على النهر قرب الجسر فهو «المدينة» والافرنج اطلقوا على «البلد» اسم praesidium او oppidum وعلى «المدينة» suburbium وعلى حصن الجسر Gistrum

(٨٤) من سنة ١١٢٢ في الراجح

(٨٥) ذلك القسم من شيزر الواقع على النهر قرب الجسر

عمّي، رحمه الله، اوّل راكب وانا معه، والافريح رائحون غير مرعجين يلحصنا(٨٦) مس الحد نهر. فقلت لعمّي «على امرك آحد اصحابنا واتبعهم اقلعهم وهم غير بعيدين». قال «لا، (وكان احر مني بالحرب) في الشام افرنحيّ لا يعرف شيرز؟ هده مكيده»

ودعا فارسين من الحد على فرسين سوابق [١] وقال امضيا اكسفا تلّ ملح» وكان مكمناً للافرنح. فلمّا شارفاه حرح عليهما عسكر انطاكية حميعه فاستقبلنا متسرّعيهم نريد الفرصة فيهم قبل ركود الحرب، ومعنا حُمعه النُّمريّ وابنه محمود، وحُمعة فارسنا وشيحنا. فوقع ابنه محمود في وسطهم فصاح حُمعة «يافرسان الحيل! ولدي!» فرحعنا معه في ستة عشر فارساً طعنّا ستة عشر فارساً من الفرنح واحدنا صاحبنا من بينهم، واحتلطنا نحن وهم حتى احد واحد رأس [ا ن] حُمعه تحت ابطه، فخلص بعض تلك الطعنات

أسامه وحُمعة يهزمان ثمانية فرسان

ومع هذا فلا نثق انسان بشجاعته ولا يُعجب باقدامه. فوالله لقد سرت مع عمّي، رحمه الله، اعربا(٨٧) على افامية. واتّفق ان رجالها حرجوا ليسيّروا قافله فسيَّروها، وعادوا، ونحن لقياهم فقتلنا منهم قدر عشرين رجلاً وراىت حُمعة النُّميري، رحمه الله، وفيه نصف قنطارية قد طُعن بها في لبد السرج وحرح الرمح من الدّاد الى فخده، ونفذ الى خلفه، فانكسرت القنطارية فيه. فراعني ذلك. فقال «لا بأس، انا سالم» ومسك سنان القنطارية وجذبها منه، وهو وفرسه سالمان

فقلت «يا ابا محمود، اشتهي اتقرّب [١٨ و] من الحصن انظره». قال «سر». فرحت انا وهو نُخبّ فرسنا فلمّا اشرفنا على الحصن اذا من الافرنح ثمانية من الفرسان وقوف على الطريق وهي مشرفة على الميدان

(٨٦) ولعلها «فلحقنا»

(٨٧) «عربا» في الاصل وذلك حوالى سنة ١١٢٤

من ارتفاع لا يُنزَل منه الا من تلك الطريق. فقال لي جُمعة «قف حتى اريك ما اصنع فيهم». قلت «ما هذا انصاف. بل نحمل عليهم انا وانت». قال «سر». فحملنا عليهم فهزمناهم ورجعنا نحن نرى انّا قد فعلنا شيئاً ما يقدر يفعله غيرنا — نحن اثنان قد هزمنا ثمانية فرسان من الافرنج

ثم يهزمهما رُوَيجلٌ

فوقفنا على ذلك الشرف نطر الحصن، فما راعنا الا رُوَيجلٌ قد طلع علينا من ذلك السد الصعب معه قوس ونشّاب، فرمانا، ولا سبيل لنا اليه فهزمنا، والله ما صدقنا نتخلّص منه وخيلنا سالمة. ورجعنا دخلنا مرج افامية فسقنا منه غنيمة كبيرة(٨٨) من الجواميس والبقر والغنم. وانصرفنا وفي قلبي من ذلك الراجل الذي هزمنا حسرة الذي(٨٩) ما كان لنا اليه سبيل، وكيف هزمنا راجل واحد وقد هزمنا ثمانية فرسان من الافرنج

المداواة بالعلل

وشهدت يوماً وقد أغارت(٩٠) علينا خيل كفرطاب في قلّة فزعنا(٩١) الينهم طامعين فيهم لقلّتهم، وقد كمنوا لنا كميناً في جماعة منهم. وانهزم الذين اغاروا(٩٢) فتبعناهم حتى ابعدنا عن البلد. فخرج الينا الكمين ورجع الينا الذين كنّا نطردهم. فراينا اننا ان انهزمنا قلعونا كلنا. فالتقيناهم مستقلين(٩٣). فنصر الله عليهم. فقلعنا منهم ثمانية عشر فارساً منهم من طُعن فمات، ومنهم من طُعن فوقع وهو سالم، ومنهم من طُعن حصانه فهو راجل

فحدث الذين في الارض منهم سالمون سيوفهم ووقفوا كل من اختار

(٨٨) «كبرة» في الاصل
(٨٩) في العامه «إللّي» هنا واد ناه ص٦٣ س٧
(٩٠) «عارب» في الاصل هنا واد ناه ص٦٢ س٩
(٩١) «ففرعنا» في الاصل
(٩٢) «عاروا» في الاصل
(٩٣) «مستقلس» طبعه درنبورغ ص٤٣

بهم ضربوه. فاختار جُمعة النُميري، رحمه الله، بواحد منهم فحطا اليه وضربه على رأسه، وعلى رأسه قلنسوة، فقطعها وشق جبهته وجرى منها الدم حتى برح. وبقيت مثل فم السمكة مفتوحة. فلقيته ونحن في ما نحن فيه من الافرنج فقلت له «يا ابا محمود، ما تعصب جرحك!» فقال «ما هذا وقت العصائب وشد الجراح». وكان لا يزال على وجهه خرقة سوداء وهو رمد وفي عينيه عروق حمر. فلمّا اصابه ذلك الجرح وخرج منه الدم الكثير زال ما كان يشكوه من عينيه ولم يعد يناله منهما رمد ولا الم «فربما صحّت الاجسام بالعللِ (٩٤)»

استخلاص ابن عم أسامة من ايدي الافرنج

[١٨ ق] واما الافرنج فانهم اجتمعوا بعد ما قتلنا منهم من قتلنا ووقفوا مقابلنا. فجاءني ابن عمّي ذخيرة الدولة ابو القنا خطام، رحمه الله، فقال «يا ابن عمّي، معك جنيبتان وانا على هذا الفرس الحَطِم». قلت للغلام «قدّم له الحصان الاحمر». فقدّمه له. فساعة ما استوى في سرجه حمل على الافرنج وحده فافرجوا له حتى توسّطهم وطعنوه رموه، وطعنوا الحصان واقلبوا قنطاريّاتهم وصاروا يركسونه بها، وعليه زردية حصينة ما تعمل رماحهم فيها. فصايحنا «صاحبكم! صاحبكم!» وحملنا عليهم فهزمناهم عنه واستخلصناه وهو سالم. واما الحصان فمات في يومه. فسبحان المسلّم القادر

وتلك الوقعة انما كانت لسعادة جُمعة وشفاء عينيه. فسبحان القائل «وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم(٩٥)»

ضربة سكين تشفي من الاستسقاء

وقد جرى لي مثل ذلك. كنت بالجزيرة في عسكر اتابك(٩٦) فدعاني

(٩٤) «لعلّ عتبك محمود عواقبه فربما صحت الاجسام بالعللِ» ــ للمتنبي
(٩٥) القرآن ٢ ٢١٣
(٩٦) زنكي

صديق لي الى داره ومعي ركابيّ اسمه عُنيم قد استسقى ودقّت رقبته وكبر جوفه وقد تعرّب معي، فانا ارعى له ذلك. فدخل بالبغلة الى اصطبل ذلك الصديق هو وغلمان الحاضرين. وعندنا شاب تركي سكر وغلب عليه السكر، فخرج الى الاصطبل جذب سكّينه وهجم على الغلمان. فانهزموا وخرجوا. وعُنيم لضعفه ومرضه قد طرح السرج تحت راسه ونام. فما قام حتى خرج كل من في الاصطبل. فضربه ذلك السكران بالسكين تحت سُرّته فشقّ من جوفه قدر اربع اصابع. فوقع موضعه. فحمله الذي دعانا، وهو صاحب قلعة باشمرا [؟](٩٧)، الى داري، وحمل الذي جرحه وهو مكتوف معه الى داري. فاطلقته. وتردّد اليه الجرائحيّ فصلح ومشى وتصرّف. الا ان الجرح ما ختم. وما زال يخرج منه مثل القشور وماء اصفر مدّة شهرين. ثم ختم وضمر جوفه وعاد الى الصحّة. فكان ذلك الجرح سبباً لعافيته

شوكة تنتفي عين نمر

ورأيت يوماً البازدار قد وقف بين يدي والدي، رحمه الله، وقال «يامولاي، هذا النمر قد لحقه حصرّ(٩٨) وهو يموت. وعينه الواحده قد تلفت. فتصيَّد به. فهو [١٩ و] نمر ساطر وهو تالف». فخرجنا الى الصيد وكان معهم، رحمه الله، عدّة نمور. فرمى ذلك النمر على درّاجه وكان يهجم في الشجر. فشجت(٩٩) الدرّاجة في اجمه(١٠٠) علفاء. ودخل النمر معها. وقد صار على عينه كالنقطة الكبيره فضربته شوكه

(٩٧) «باسهرا» في الاصل وموضع باشمرا في جبل سمعان في شمالي سوريه راجعها في Dussaud ٢٢٤

(٩٨) مرض يفقد الطائر ريشه

(٩٩) او «شجت» اجتازت وتأتي بمعنى صاحت او خرجت من جُحرها وقد وردت مراراً اذ نأته ص٢١١ س٤ فما بعد

(١٠٠) «جمه» في الاصل «العلفاء» الارض لم تُزرعَ

من العلماء في تلك النقطة فقلعها(١٠١). فجاء به البازدار، وعينه قد سالت وهي مطوقة، فقال «يامولاي، تلفت عين البازي». فقال «كله بالف». ثم من الغد فتح عينه وهي سالمة. وسلم ذلك البازي عندنا حتى قرنص قرناصين فكان من اسطر البزاة

ذكرته بما جرى لجمعة وغنيم وان لم يكن موضع ذكر البزاة

ورأيت من استسقى وفصدوا جوفه فمات، وغنيم شق ذلك السكران جوفه سلم وعوفي. فسبحان القادر

الهزيمة امام افرنج انطاكية

واغار (١٠٢) علينا عسكر انطاكية واصحابنا قد التقوا اوائلهم وجاءوا قدامهم. وانا واقف في طريقهم انتظر وصولهم الي لعلي انال منهم فرصة، واصحابنا يعبرون علي منهزمين. فعبر علي في من عبر محمود بن جمعة. فقلت «قف يامحمود». فوقف لحظة ثم دفع فرسه ومضى عني. ووصلني اوائل خيلهم. فاندفعت بين ايديهم وانا رادّ رمحي اليهم ملتفت انظرهم لا(١٠٣) تسرّع الي منهم فارس يطعنّي. وبين يدي جماعة من اصحابنا. ونحن بين بساتين لها حيطان طول قعدة الرجل فدس فرسي بصدرها رجلاً من اصحابنا. فرددت(١٠٤) رأس فرسي على يساري وضربتها بالمهامير فمرّت الحائط. فسطتُ حتى صرت انا والافرنج مصطفين وبيننا الحائط. فتسرّع منهم فارس عليه تسهيم حرير احمر واصفر. فظننت ان ما تحته درع. فتركته حتى تجاوزني وضربت الفرس بالمهامير، فمرّت(١٠٥) الحائط وطعنه، فمال الى ان وصل رأسه ركابه ووقع ترسه والرمح من يده والخوذة عن رأسه، ونحن قد وصلنا

(١ ١) «فقعدها» في الاصل عامه

(٢ ١) «وغار» في الاصل ودلك حوالى سنة ١١٢٧

(٣ ١) بمعنى «لئلا»

(٤ ١) «فردت» في الاصل

(٥ ١) «فمرت» طبعه درنبورغ ص٥٠ هنا وايضاً س١٧

الى رجّالنا، ثم عاد انتصب في سرجه وكان عليه زردية تحت التشهير فما جرحته الطعنة، وادركه اصحابه ثم عادوا، واخذ الرجّالة الفرس والرمح والخوذه

حُمعة نفسه يهرب

فلمّا انقضى القتال ورجع الافرنج جاءني جُمعة، رحمه الله، يعتذر عن ابنه محمود وقال «هذا الكلب انهزم عنك»، قلت «واي شيء يكون؟» قال «ينهزم عنك ولا يكون شيء؟» قلت «وحياتك [١٩ ق] يا ابا محمود وانت تنهزم عنّي ايضاً». قال «ماشَين! والله ان موتي اسهل عليّ من ان انهزم عنك». ولم يمضِ الا ايام قلائل حتى اغارت علينا خيل حماه فاخذوا لنا باقورة وحبسوها في جزيره(١٠٦) تحت الطاحون الحلاليّ. وطلع الرماة على الطاحون يحمون الباقوره. فوصلتُهم انا وجُمعة وشجاع الدولة ماضي مولَّد لنا وكان رجلاً شجاعاً. فقلت لهما «نعبر الماء ونأخذ الدوابّ». فعبرنا. فامّا ماضي فضربت فرسه نشّابة فقتلتها واوصلته الى اصحابه. واما انا فضربت فرسي نشّابة في اصل رقبتها فحارت فيها قدر شبر، فوالله ما رمحت ولا قلقت ولا كأنها احسَّت بالجرح. وامّا جُمعة فرجع خوفاً على فرسه. فلمّا عدنا قلت «يا ابا محمود، ما قلت لك انك تنهزم عنّي وانت تلوم ابنك محموداً؟» قال «والله ما خفت الا على الفرس. فانها تعزّ عليّ» واعتذر

أسامة يطعن رفيقه خطأً

وقد كنا ذلك اليوم التقينا نحن وخيل حماة وقد سبقهم بعضهم بالباقورة الى الجزيرة. فاقتتلنا نحن وهم، وفيهم فرسان عسكر حماه سرهنك وغازي التلّي ومحمود بن بَلداجي وحَضر الطّوط واسفسلار

(١٠٦) في الاصل فرب شرر

حُطلح(١٠٧)، وهم اكثر عددا منّا. فحملنا عليهم. فهزمناهم وقصدت فارساً منهم اريد اطعنه واذا هـو حصر الطُّوط. فقال «الصيعة، يافلان!» فعدلت عنه الى آخر فطعنته فوقع الرمح تحت ابطه. فلو تركه ما كان وقع. فتدّ عضده عليه يريد يأخذ الرمح والفرس مُسَدرة(١٠٨) بي فطار في السرج على رقبة الحصان، فوقع. ثم قام وهو على سفير الوادي المنحدر الـى الحلاليّ(١٠٩). فضرب حصانـه وساقه بين يديه و نزل. وحمدت الله سبحانه الذي مـا ناله ضررٌ مـن تلك الطعنة لانه كان عاري التَلّي. وكان رحمه الله، رجلاً جيّداً

حُمعة يستخلص اسيراً

و نزل علينا عسكر انطاكية في بعض الايام(١١٠) منزلاً كان ينزله كلّما نزل علينا. و نحن ركّاب مقابلهم و بيننا النهر(١١١). فلم يقصدنا منهم احد. وضربوا خيامهم و نزلوا فيها. فرجعنا نحن نزلنا في دورنا، و نحن نراهم من الحصن(١١٢) فخرج من جندنا نحو مـن عشرين فارساً الـى بدرقس(١١٣) قرية بالقرب من البلد يرعون خيلهم، وقد تركوا رماحهم في دورهم. فخرج من الافرنج فارسان سارا الى قريب من اولئك الجند الذين يرعون خيلهم. فصادفا(١١٤) رجلاً [٢٠ و] على الطريق يسوق بهيمه فاحداه(١١٥) و بهيمه و نحن نراهم من الحصن. وركب اولئك

(١٠٧) إسباسلار او إسفهسلار فارسيه (سه سالارى ــ قائد جيش) حطلخ تركيه (قلع) ذكره كمال الدين في *Recueil* ٣ ٥٩٥

(١٠٨) مسرعه

(١٠٩) نهر يصبّ في العاصى

(١١٠) حوالى سنه ١١٢٩

(١١١) العاصى

(١١٢) شيزر

(١١٣) «فس» في الاصل

(١١٤) «فصادفوا» في الاصل عاميه

(١١٥) «فاحدوه» في الاصل عاميه

الحد ووقفوا ما معهم رماح. فقال عمّي «هاولاء عشرون لا يخلّصون اسيرًا مع فارسين! لو حصرهم جُمعه رأيتم ما نعمل». هو يقول ذلك وجُمعه لا بس يركض اليهم. فقال عمّي «انصروا الساعة ما نعمل». فلمّا دنا من الفارسين وهو يركض كفّ راس فرسه وسار خلفهم سترة. فلمّا رأى عمّي توقُفه عنهما، وهو على روس له في الحصن يراه، دخل من الروس مغصاً وقال «هذا خذلان!» وكان توقُف جُمعة خوفاً من خوره كانت بين يدي الفارسين لا(١١٦) يكون لهم فيها كمين. فلمّا وصل تلك الخوره وما فيها احد حمل على الفارسين خلّص الرجل والبهيمة وطردهما الى الخيام

وكان ابن ميمون(١١٧) صاحب انطاكية يرى ما جرى فلمّا وصل الفارسان انفذ احد ترسهما جعلهما معالف(١١٨) للدوابّ ورمى خيمهما وطردهما وقال «فارس واحد من المسلمين يطرد فارسين من الافرنج! ما انتم رجال انتم نساء»

وامّا جُمعة فوبّخه وحرد عليه لوقوفه عنهما اوّل ما وصلهما. فقال «يامولاي، خفت لا(١١٩) يكون لهم في خوره راسة القرامطه كمين يخرج عليّ. فلمّا كشفتها وما رأيت فيها احدا استخلصت الرجل والبهيمة وطردتهما حتى دخلا عسكرهما». فلا والله ما قبل عذره ولا رضي عنه

منزله الفارس عند الافرنج

والافرنج، خذلهم الله، ما فيهم فضيله من فضائل الناس سوى الشجاعة، ولاعندهم تقدمة ولامنزلة عالية الا للفُرسان، ولاعندهم ناس الا الفرسان — فهم اصحاب الرأي وهم اصحاب القضاء والحكم. وقد حاكمتُهم

(١١٦) بمعنى «لئلا»
(١١٧) Bohemond II
(١١٨) «معالفا» في الاصل
(١١٩) بمعنى «لئلا»

مرّة(١٢٠) على قُطعان غنم احدها صاحب بانياس(١٢١) من الشّعراء وبينا وبينهم صلح، وانا اذ ذاك بدمشق. فقلت للملك فلك بن فلك(١٢٢) «هذا تعدّى علينا واخذ دوابّنا، وهو وقتُ ولاد الغنم. فولدت وماتت اولادها وردّها علينا بعد ان اتلفها». فقال الملك لستة سبعة من الفرسان «قوموا اعملوا له حكماً». فخرجوا من مجلسه واعتزلوا وتشاوروا حتى اتّفق رأيهم كلّهم على شيء واحد وعادوا الى مجلس الملك. فقالوا «قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم». فامره الملك بالغرامة. فتوسّل الي وثقل(١٢٣) علي وسألني حتى اخذت منه اربع مائة دينار. وهذا الحكم بعد ان تعقده الفرسان [٢٠ ق] ما يقدر الملك ولا احد من مقدّمي الافرنج يغيّرهُ ولا ينقصه. فالفارس امر عظيم عندهم

ولقد قال لي الملك «يافلان، وحق ديني لقد فرحتُ البارحة فرحاً عظيماً» قلت «الله يفرّح الملك بماذا فرحتَ؟» قال «قالوا لي انك فارس عظيم. وما كنت اعتقد انك فارس». قلت «يامولاي، انا فارس من جنسي وقومي» واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان اعجب لهم(١٢٤)

أمان تنكرد لا قيمة له

وكان نزل علينا(١٢٥) دنكري(١٢٦) وهو اوّل اصحاب انطاكية بعد ميمون(١٢٧)، فقاتلنا ثم اصطلحنا. فنفّذ يطلب حصاناً لغلام لعمّي

---

(١٢) سنه ١١٤

(١٢١) واسمه رنيه Renier

(١٢٢) Fulk V توّج ملكاً على اورشلم سنه ١١٣١

(١٢٣) «ولعل» في الاصل

(١٢٤) الضمير يعود للافرنج ولكن درنبورغ في ترجمته الافرنسية *Autobiographie d'Ousāma Ibn Mounkidh* (باريز ١٨٩٥) ص٦٦ ترجمه لِ «قومي» بمعنى العبارة الاخيرة كلها في كلام أسامه المقتبس

(١٢٥) ٢٧ تشرين الثاني سنه ٨ ١١

(١٢٦) Tancred (١٢٧) Bohemond I وخلفه تنكرد سنه ٤ ١١

عزّ الدين، رحمه الله، وكان فرساً جواداً. فمدّه له عمّي تحت رجل من اصحابنا كرديّ يقال له حَسَنون، وكان من الفرسان الشجعان وهو شابّ مقبول الصورة دقيق، ليسابق بالحصان بين يدي دنكري. فسابق به فسبق الخيل المجراة كلها. وحضر بين يدي دنكري فصار الفرسان يكشفون سواعده ويتعجبون من دقّته وشبابه، وقد عرفوا انه فارس شجاع. فخلع عليه دنكري. فقال له حَسَنون «يامولاي، اريدك تعطيني امانك انك ان ظفرتَ بي في القتال تطلقني وتطلقني». فاعطاه امانه ـ على ما توهّم حَسَنون، فانهم لا يتكلّمون الا بالافرنجي ما ندري ما يقولون

ومضى على هذا سنة او اكثر(١٢٨) وانقضت مدّة الصلح. وجاءنا دنكري في عسكر انطاكية، فقاتلنا عند سور المدينة. وكانت خيلنا لقيت اوائلهم. فطعن فيهم رجل يقال له كامل المشطوب من اصحابنا كرديّ، وهو وحَسَنون نظراء في الشجاعة، وحسنون واقف مع والدي، رحمه الله، على حجرة له ينتظر حصانه يأتيه به غلامه من عند البيطار ويأتيه كزاغنده فابطأ عليه واقلقه طعن كامل المشطوب فقال لوالدي «يامولاي، أمُر(١٢٩) لي بلباس خفيف». فقال «هذه البغال عليها السلاح واقفة مهما صلح لك البسه». وانا اذ ذاك واقف خلف والدي، وانا صبيّ(١٣٠)، وهو اوّل يوم رأيت فيه القتال فنظر الكزاغندات في عيبها على البغال فما وافقه، وهو يغلي يريد يتقدّم يعمل كما عمل كامل المشطوب فتقدّم على حجرته، وهو معرّى، فاعترضه فارس منهم فطعن الفرس في قطاتها فعضّت على فاس اللجام وحملت به حتى رمته في وسط موكب الافرنج. فاخذوه اسيرا وعذّبوه انواع العذاب وارادوا قلع عينه [٢١ و] اليسرى. فقال لهم دنكري، لعنه الله، «اقلعوا عينه اليمين، حتى اذا حمل الترس استترت عينه اليسار فلا يبقى يبصر شيئاً». فقلعوا

(١٢٨) ربيع ١١١

(١٢٩) «آمُر» في الاصل

(١٣٠) كان عمر أسامه ١٥ سنه

عنه السنين كما امرهم وطلبوا منه الف دينار وحصاناً ادهم كان لوالدي من خيل خَفَاجة(١٣١) جواداً من احسن الخيل. فاشتراه بالحصان، رحمه الله

وكان خرج من شيزر في ذلك اليوم راجل كثير. فحمل عليهم الفرنج فما زعزعوهم من مكانهم. فحرد دنكري وقال «انتم فرساني، وكل واحد منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم. وهاولاء سرجند(١٣٢) (يعني رجّالة) ما تقدرون(١٣٣) تقلعونهم من موضعهم!» قالوا «انما خوفنا على الخيل، والا دسناهم وطعنّاهم». قال «الخيل لي، من قُتل حصانه اخلفه عليه». فحملوا على الناس عدّة حملات، فقُتل منهم سبعون حصاناً وما قدروا يزحزحونهم من مواقفهم

فارس افرنجي يهزم اربعة مسلمين

وكان بافامية فارس من كبار فرسانهم يقال له بدرهوا(١٣٤) فكان ابدا يقول «ترى ما ألتقي جُمعه في القتال؟» وجمعة يقول «ترى ما التقي بدرهوا في القتال؟»

فنزل علينا عسكر انطاكية وضرب خيامه في الموضع الذي كان ينزله، وبيننا وبينهم الماء(١٣٥)، ولنا موكب واقف على شرف مقابلهم. فركب فارس من الخيام وسار حتى وقف تحت موكبنا، والماء بينه وبينهم، وصاح بهم «فيكم جُمعة؟» قالوا «لا». والله ما كان حاضراً فيهم. وكان ذلك الفارس بدرهوا. فالتفت فرأى اربعة فوارس منّا من ناحيته يحيى بن صافي الاعسر وسهل بن ابي غانم الكرديّ وحارثة النُّميريّ وفارس آخر

(١٣١) قبيلة عربية اشتهرت خيلها بالجودة

(١٣٢) sergeant

(١٣٣) «تقدروا» في الاصل عامية

(١٣٤) لعله Pedrovant راجع درنبورغ *Vie d' Ousāma* (باريز ١٨٨٩) ص٥٧ حاشية ٢

(١٣٥) العاصي

فحمل عليهم فهزمهم. ولحق واحدا منهم طعنه طعنةً فشلّه ما الحقه حصانه ليمكن الطعن. وعاد الى الخيام

ودخل اولئك النفر الى البلد فافتضحوا واستحمقهم الناس ولاموهم وازروا بهم وقالوا «اربعة فوارس يهزمهم فارس واحد! كنتم افترقتم له فكان طعن واحدا منكم وكان الثلاثة قتلوه، ولا قد افتضحتم». وكان اشدّ الناس عليهم جُمعة النُّميري

فكأن تلك الهزيمة فتحتهم قلوباً غير قلوبهم وشجاعة ما كانوا يطمعون فيها. فانجحوا وقاتلوا واشتهروا في الحرب وصاروا من الفرسان المعدودين بعد تلك الهزيمة

وامّا بدرهوا فانه سار بعد ذلك من افامية في بعض شغله يريد انطاكية فخرج عليه الاسد من غاب في الرُّوج(١٣٦) في طريقه فحطفه عن بغله ودخل به الى الغاب اكله — لا رحمه الله

وآخر يحمل على عسكر

ومن إقدام الرجل الواحد على الجمع الكثير فمن ذلك [٢١ ق] ان اسافلار مَودُود(١٣٧)، رحمه الله، نزل بظاهر شيزر يوم الخميس تاسع ربيع الاوّل سنة خمس وخمس مائة(١٣٨)، وقد قصده دنكري صاحب انطاكية في جمع كثير. فخرج اليه عمّي ووالدي، رحمهما الله، وقالا «الصواب ان ترحل (وكان نازلا شرقيّ البلد على النهر) وتنزل في البلد، ويضرب العسكر خيامهم على السطوحات في المدينة(١٣٩)». وبلقى

(١٣٦) بين حلب والمعرّة. ياقوت ٢ ٨٢٨

(١٣٧) شرف الدين مودود بن ألتونتكين حاكم الموصل باسم السلطان السلجوقي محمد شاه في اصبهان. وهو قائد الجيش الذي بعثه السلطان لمحاربة الفرنج بناء على طلب الخليفة العباسي. ابن تغري بردي جلد ٢ جزء ٢ ص٣٥٤

(١٣٨) ١٥ ايلول سنة ١١١١

(١٣٩) البلد هو القسم من شيزر الواقع ضمن القلعة. «المدينة» هو القسم من شيزر الواقع على النهر قرب الجسر

الافرنج بعد ان نحرّر خيامنا واثقالنا». فرحل ونزل كما قالا له. واصبحنا خرجنا اليه وخرج من شيزر خمسة آلاف(١٤٠) راجل معدّين. ففرح بهم اتابك وقويت نفسه

وكان معه، رحمه الله، رجال جياد. فصفّوا من قبليّ الماء والافرنج نزول شماليّه، فمنعوهم من الشرب والورود نهارهم. فلمّا كان الليل رحلوا راجعين الى بلادهم والناس حولهم. فنزلوا على تلّ التُرْمُسي(١٤١) فمنعوهم الورود كما عملوا بالامس. فرحلوا في الليل ونزلوا على تلّ التلول(١٤٢) والعسكر قد ضايقهم ومنعهم من المسير. فاحاطوا بالماء ومنعوهم من الورود. ورحلوا في الليل متوجّهين الى افامية. فزع اليهم العسكر واحتاطوا بهم، وهم سائرون فخرج منهم فارس واحد فحمل على الناس حتى توسّطهم، فقتلوا حصانه واثخنوه بالجراح. فقاتل وهو راجل حتى وصل الى اصحابه

ودخل الافرنج ارضهم، وعاد المسلمون عنهم

ومضى اتابك مودود، رحمه الله، الى دمشق. فجاءنا بعد اشهر كتاب دنكري صاحب انطاكية مع فارس معه غلمان واصحاب يقول «هذا فارس محتشم من الافرنج، وصل حجّ ويريد الرجوع الى بلاده. وسألني ان اسيّره اليكم يبصر فرسانكم. وقد نفّذته، فاستوصوا به». وكان شاباً حسن الصورة حسن اللباس، الا ان فيه اثار جراح كثيرة وفي وجهه ضربة سيف قد قدّت من مفرقه الى حَنَكَه. فسألت عنه فقالوا «هذا الذي حمل على عسكر اتابك مودود، وقتلوا حصانه، وقاتل حتى رجع الى اصحابه». فتعالى الله القادر على ما يشاء كيف شاء لا يؤخّر الاجل الاحجام ولا يقدّمه الاقدام

(١٤٠) «الف» في الاصل

(١٤١) يسر يسي في Dussaud ٨ ٢

(١٤٢) «تل التلول» في الاصل Dussaud جعلها "Tawil" (الطويل) ص٨ ٢ حاشية ٧

واحد يعرو ثمانية

ومن دلك ما حكاه لي العُفاب الساعر، رحل من احادنا من المعرب، قال «حرح ابي من تدمر يريد سوق دمسق ومعه اربعة فوارس واربعة رحَّالة وهم يسوقون ثمانية حمال ليبيعوها· [۲۲ و] (قال) بينا نحن سير ادا فارس مقبل من صدر البريَه· فحاء سير حتى صار بالقرب منَّا· فقال حلُوا عن الحمال! فصحنا عليه وستمناه فاطلق حصانه علينا· فطعن منَّا فارساً رماه عن فرسه وحرحه· فطردناه فسبق، ثم عاد الينا وقال حلُّوا عن الحمال! فصحنا عليه وشمناه· فحمل علينا، فطعن راحلاً منَّا اونعه بالحرح· وتبعناه فسبقنا، ثم عاد وقد نطل منَّا رحلان فاطلق علينا فاستقبله رحل منَّا· فطعنه صاحبنا فوقعت الطعنة في قربوس سرحه فانكسر رمح صاحبنا· وطعنه الفارس فحرحه· ثم حمل علينا فطعن رحلاً منَا فصرعه· وقال حلُّوا عن الحمال! والا افنيتكم قلنا تعال خد نصفها· قال لا· احبسوا منها اربعة اتركوها وقوفاً وخدوا اربعة وامضوا ففعلنا وما صدقنا نحلص بما سلم معنا· وساق هو تلك الاربعة ونحن نراه ما لنا فيه حيلة ولا طمع· وعاد بالغنيمة وهو وحده ونحن ثمانية رحال»

افرنحي ستولي على معار

ومن دلك ان دنكري صاحب انطاكية اغار على شيزر فاساق دواب (١٤٣) كثيره وقتل وسبى (١٤٤)· ونزل على قرية يقال لها زلين (١٤٥) فيها معار معلَقة [كدا] لا يوصل اليها في وسط الجبل ما اليها من فوق منزل ولا اليها من اسفل مطلع· انما ينزل اليها من يحتمي فيها بالحبال ودلك يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين

(١٤٣) «دوانا» في الاصل

(١٤٤) «سا» في الاصل

(١٤٥) «رلس» في الاصل

وخمس مائه(١٤٦)٠ فجاء شيطان من فرسانهم الى ذنكري فقال «اعمل لي صندوقاً من خشب، وانا اقعد فيه، ودلّوني من الجبل اليهم بسلاسل او نقوها في الصندوق حتى لا يقطعوها بالسيوف، فاسقط»٠ فعملوا له صندوقاً ودلّوه بالسلاسل المعلّقات الى المغار، فاخذها وانزل كل من كان فيها الى ذنكري٠ وذلك ان المغار بهو ما فيه مكان يستتر الناس فيه ـ وذلك برميهم بالنشّاب فلا ينفع نشّابة الا في انسان لضيق الموضع وكثرة الناس فيه

عم أسامة يفك اسر مسلمة

وكان ممن أُسر في جملة من أُسر في ذلك اليوم امرأة كانت من اصل جيّد من العرب ُوصفت لعمّي عزّ الدين ابي العساكر سلطان، رحمه الله، قبل ذلك وهي في بيت ابيها٠ فارسل عمّي عجوزاً من اصحابه تبصرها فعادت تصفها [٢٢ ق]وجمالها وعقلها امّا لرغبة بَدلّوها لها وامّا اثروها غيرها٠ فخطبها عمّي وتزوّجها٠ فلمّا دخلت عليه رأى غير ما وُصف له منها٠ ثم هي خرساء٠ فوفاها مهرها وردّها الى قومها٠ فأُسرت من بيوت قومها ذلك اليوم٠ فقال عمّي «ما ادع امرأة تزوّجتُها وانكشفت عليّ في اسر الافرنج»٠ فاستراها، رحمه الله، بخمس مائة دينار وسلّمها الى اهلها

فطنة فتاة تركية

ومن ذلك ما حدّثني به المؤيّد الشاعر البغدادي بالموصل سنة خمس وستين وخمس مائة(١٤٧) قال «اقطع الخليفة والذي ضيعة وهو يتردّد اليها٠ وبها جماعة من العيّارين يقطعون الطريق والذي يصانعهم لخوفه منهم ولا تنفعه شيء ممّا يأخذونه٠ فنحن يوماً جلوس بها اقبل غلام تركيّ على حصانه ومعه بغل رحل عليه خرج وجارية راكبة فوق الخرج٠ فنزل وانزل الجارية فقال ‹يافتيان، اسعدوني على حطّ الخرج›٠ فجئنا

(١٤٦) ٢٧ تشرين الثاني سنة ١١٠٨

(١٤٧) ٢٥ ايلول سنة ١١٦٩ ـ ١٣ ايلول ١١٧٠

حططناه(١٤٨) معه، واذا به كلّه دنانير ذهب ومصاغ. فجلس هو والجارية اكلا(١٤٩) شيئاً ثم قال «اسعدوني على رفع الخرج». فرفعناه معه. فقال لنا «كيف طريق الأنبار؟» فقال له والدي «الطريق هاهنا (واشار الى الطريق) ولكن في الطريق سون عيّارًا اخاف عليك منهم». فصرط له وقال «انا أخاف من العيّارين!»

فتركه والدي ومضى الى العيّارين اخبرهم خبره وما معه. فخرجوا حتى عارضوه في الطريق. فلمّا رآهم اخرج قوسه وترك فيه سهماً واستوفاه يريد يرميهم، فانقطع الوتر. فهجم عليه العيّارون، فانهزم. واخذوا البغل والجارية والخرج. فقالت لهم الجارية «ياشباب، بالله لاتهتكوني. ويعوني نفسي والبغل ايضاً بعقد جوهر مع التركيّ قيمته خمس مائة دينار، وخذوا الخرج وما فيه». قالوا «قد فعلنا». قالت(١٥٠) «ابعثوا معي بعضكم حتى اخذ مع التركيّ وآخذ العقد». فبعثوا معها من يحفظها حتى دنت من التركيّ وقالت له «قد اشتريت نفسي والبغل بالعقد الذي في ساق موزك(١٥١) حفّك اليسار. فادفعه لي». قال «نعم». وانفسح عنهم واخرج الساق موزا واذا فيه وتر قوس. فركّبه على قوسه ورجع اليهم فما زالوا يقاتلونه وهو يقتل منهم واحدًا واحدًا حتى قتل منهم ثلاثة واربعين رجلاً ونظر فاذا والدي في [٢٣ و] الجماعة الباقين من العيارين فقال «وانت فيهم! فسهيّ اعطك نصيبك من الشباب!» قال «لا». قال «خذ هاولاء التسعة عشر الباقين امض بهم الى شحنة البلد يسفّهم(١٥٢)». واولئك قد زهروا ورموا سلاحهم. وساق بغله بما

(١٤٨) «حطناه» في الاصل

(١٤٩) «اكلوا» في الاصل عامية

(١٥٠) «قال» في الاصل

(١٥١) «مُورا» معرب «مُوره» الفارسية — الخف ويظهر ان ناسخ المخطوطة اضاف «حفّك» لزيادة الايضاح

(١٥٢) «يسفهم» طبعة درسورغ ص٥٤ «يسفيهم» لاندبرغ ص٢٦

عليه ومضى. وقد ارسل الله تعالى على العيّارين منه مصيبة وسخطة عظيمة»

معامرات احرى

ومن ذلك ما حضرته في سنة سبع وخمس مائة(١٥٣) وقد خرج والدي، رحمه الله، بالعسكر الى اسباسلار بُرسق بن برسق، رحمه الله، وقد وصل بامر السلطان(١٥٤) الى العراة، وهو في خلق عظيم وجماعة من الامراء منهم امير الجيوش اوزبه(١٥٥) صاحب الموصل، وسُنقُر دِرار صاحب الرحبة، والامير كُنْدُغدي، والحاجب الكبير بَكمُر، وزنكي بن برسق وكان من الابطال، وتَميرك، واسمعيل البكجي(١٥٦)، وغيرهم من الامراء. فنزلوا على كفرطاب وفيها اخوا بيوفل والافرنج. فقاتلوها. ودخلوا الخراسانيّة في الخندق ينقبون، والافرنج قد ايسوا بالهلاك. فطرحوا النار في الحصن فاحرقوا السقوف ووقعت على الخيل والدوابّ والغنم والخنازير والأسارى. فاحترق الجميع. وبقي الافرنج معلّقين في اعلاه على الحيطان

فوقع لي ان ادخل في النقب ابصره فنزلت في الخندق، والنشّاب والحجار مثل المطر علينا، ودخلت النقب. فرأيت حكمة عظيمة قد نقبوا من الخندق الى الباشوره واقاموا في جوانب النقب قائمين وعليهما عرصة تمنع من تهدُم ما فوقها وبطنوا النقب بالاخشاب كذلك الى اساس الباشوره ثم نقبوا حائط(١٥٧) الباشوره وعلّقوه. وبلغوا اساس البرج. والنقب ضيّق، انما هو طريق الى البرج. فلمّا وصلوه

(١٥٣) ٢٧ ايار سنه ١١١٥ — ١٥ ايار سنه ١١١٦

(١٥٤) محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي في اصبهان

(١٥٥) او «أُزبك» سر به — قائد حبس ولعد دكره ابو الفدا وابن الاثير بلقب «امير الجيوش بك» راجع *Recueil* ١ ١٣١ و ٣

(١٥٦) «البلخي» في الاصل قابل ابن الاثير (لندن ١٨٦٤) ١ ٤٦٦ و *Recueil* جلد٢ جزء٢ ص٤٥ حاشيه٣

(١٥٧) «حبط» في الاصل عامه

وسّعوا النقب في حائط البرج وحمّلوه على الاخشاب، و نحرجون نُقارة الاحجار اوّلا فاوّلا(١٥٨)٠ وارض النقب من النقش قد صارت طيناً٠ فرأيته وخرجت ولم يعرفني الخراسانيّة٠ ولو عرفوني ما تركوني اخرج الا بغرامة كبيرة لهم

وشرعوا في قطع الخشب الساس وحشوا النقب بذلك الخشب٠ واصبحوا طرحوا فيه النار٠ وقد لبسنا ورحنا الى الخندق [٢٣ ق] لنهجم الحصن اذا وقع البرج، وعلينا من الحجارة والنشّاب بلاءٌ عظيم فاوّل ما عملت النار صار يسقط ما بين الاحجار من تكحل الكلس ثم انشقّ واتّسع الشقّ ووقع البرج، ونحن نظن انه اذا وقع تمكّنّا من الدخول عليهم٠ فوقع الوجه البرّاني وبقي الحائط(١٥٩) الجوانى كما هو٠ فوقفنا الى ان حميت علينا الشمس ورجعنا الى خيامنا، وقد نالنا من الحجارة اذىً كثير(١٦٠)

فمكثنا الى الظهر واذا قد خرج من العسكر راجل واحد معه سيفه وترسه فمضى الى حائط(١٦١) البرج الذي قد وقع، وقد صارت جوانبه كدرج السلّم، فتوقّل فيه حتى صعد الى اعلاه٠ فلمّا رآه رجال العسكر تبعه منهم قدر عشرة رجال تسرّعوا بعدّتهم فصعدوا واحدًا وراء واحد حتى صاروا على البرج والافرنج لا يشعرون بهم ولبسنا نحن من الخيام ورحنا٠ فكثروا على البرج قبل ان يتكامل الناس عندهم

فخرج اليهم الافرنج فرموهم بالنشاب، فجرحوا الذي طلع في الاوّل، فنزل٠ وتتابع الناس في الطلوع، وصاروا مع الافرنج على بدن من حيطان البرج، وبين يديهم برج في بابه فارس لابس ومعه ترسه وقنطاريته يحمي من دخول البرج٠ وعلى البرج جماعه من الافرنج يقاتلون الناس

(١٥٨) «فاول» في الاصل
(١٥٩) «حنط» في الاصل
(١٦٠) او «كسر» «كسر» في الاصل
(١٦١) «حنط» في الأصل

بالسَاب والحجارة. فصعد رجل من الاتراك، ونحن نراه، ومشى والبلاء بأخذه الى ان دنا من البرج وضرب الذي عليه بقارورة نفط. فرأيته كالسهاب على تلك الحجارة اليهم(١٦٢) وقد رموا نفوسهم الى الارض خوفاً من الحريق. ثم عاد

وطلع آخر يمشي على البدن ومعه سيف وترس. فخرج عليه من البرج الذي في بابه الفارس رجل منهم عليه زردتَّان وبيده قنطارية وما معه ترس. فلقيه التركيّ وفي يده سيفه. فطعنه الافرنجيّ. فدفع سنان القنطارية عنه بالترس ومشى الى الافرنجيّ وقد دخل، على الرمح، اليه. فولَّى عنه وادار ظهره وامال ظهره كالراكع خوفاً على رأسه. فضربه التركي ضربات ما عملت فيه شيئاً. ومشى حتى دخل البرج وقوي عليهم الناس وتكاثروا. فسلَّموا الحصن ونزل الأسارى الى خيام برسق ابن برسق

فشاهدتُ ذلك الذي جرح بقنطاريَّته على التركيّ وقد جمعوهم في سرادق برسق بن برسق ليقطعوا على نفوسهم ثمناً يخلصون به. فوقف وكان سرجندياً(١٦٣) وقال «كم تأخذون منّي؟» قالوا «نريد ستمائة دينار». فضرط لهم وقال «انا سرجنديّ نديوا بي كلّ شهر ديناران(١٦٤). من اين لي ستّمائة دينار؟» وعاد جلس بين اصحابه. وكان خِلقة عظيمه. فقال الامير السيّد الشريف(١٦٥)، وكان من كبار الامراء، لوالدي، رحمهما الله، «ياأخي، ترى هاولاء القوم؟ نعوذ بالله منهم»

فقضى الله سبحانه ان العسكر رحل عن كفر طاب الى دانيت(١٦٦). وصبّحهم عسكر انطاكية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر(١٦٧).

(١٦٢) «البهم» في الاصل ولعلها «النهم»
(١٦٣) «سرجندى» في الاصل معرب sergeant
(١٦٤) «دينارين» في الاصل عامة
(١٦٥) قابل ابن الاثير في *Recueil* ١ ٢٨٢
(١٦٦) من اعمال حلب وموقعها بين حلب وكفرطاب ياقوت ٢ ٥٤
(١٦٧) ١٥ ايلول سنه ١١١٥

وكان تسلم كفرطاب يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر(١٦٨). وقتل الامير السيّد، رحمه الله، وخلق كثير من المسلمين

وعاد الوالد، رحمه الله، وكنتُ فارقته من كفرطاب وقد كُسر العسكر. ونحن في كفرطاب نحرّرها نريد نعمّرها، وكان افاسلار سلّمها الينا. ونحن نخرج الأسارى كلّ اثنين في قيد من اهل شيزر وقد احترق نصف ذا وقد بقيت قدمُه، وذا قد مات في النار. فرأيت منهم عبرة(١٦٩) عظيمة. فتركناها وعدنا الى شيزر مع الوالد، رحمه الله. وقد اخذ كل ما كان معه من الخيام والجمال والبغال والبرك والتجمّل(١٧٠). وتفرّق العسكر

مكيدة لؤلؤ

وكان ما جرى عليهم بمكيدة من لؤلؤ الخادم(١٧١) صاحب حلب ذلك الوقت. قرّر مع صاحب انطاكية ان يحتال عليهم ويفرّقهم ويخرج ذلك من انطاكيه بعسكره يكسرهم. فارسل الى افاسلار برسق، رحمه الله، يقول «تنفّذ لي بعض الامراء ومعه جماعة من العسكر اسلّم اليه حلب فاني اخاف من اهل البلد ان لا يطاوعوني على التسليم. فاريد ان يكون مع الامير جماعة اقوى بهم على الحلبيين». فنفّذ اليه امير الجيوش اوزبة(١٧٢) ومعه ثلاثةآلاف(١٧٣) فارس. وصبّحهم روجار(١٧٤)، لعنه الله، كسرهم لنفاذ المشيئة

وعاد الافرنج، لعنهم الله، الى كفرطاب عمّروها وسكنوها

(١٦٨) ٥ ايلول سنه ١١١٥ مقابله هذين التاريخين ويومَي وقوعهما تدل على وجود خطأ فيهما او في احدهما
(١٦٩) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»
(١٧٠) «والتحمل» في الاصل
(١٧١) بدر الدين لولؤ الذي خلف رضوان بن تتش في إماره حلب سنه ١١١٧
(١٧٢) «اوربه» في الاصل
(١٧٣) «الف» في الاصل
(١٧٤) Roger صاحب انطاكيه كانون الاول ١١١٢ — حزيران ١١١٩

وقدّر الله تعالـى ان خلص الأسرى مـن الفرنـج الذين أُخذوا من كفرطاب. فان الأمراء اقتسموهم وابقوهم معهم ليشتروا انفسهم الا ما كان من امير الجيوش فانه تقدّم الذين طلعوا في سهمه ضرب رقاب جميعهم قبل [ان] يتوجّه الى حلب. وافترق العسكر ـ من سلم منهم من دابيث ـ وتوجّهوا الى بلادهم. فذلك الرجل الذي طلع وحده الى برج كفرطاب كان سبب اخذها

نُمير يستولي على مغارة للافرنج

ومن ذلك كان فـي خدمتي رجل يقال لـه نُمير العلاّرُوري، راجل شجاع أيّد، نهض هو وقوم من رجال شيزر الى الرُوج الى الافرنج فعثروا في البلد على قافلة من الافرنج فـي مغاره. فقال بعضهم لبعض «مـن يدخل عليهم؟» قال نُمير «انا». فدفع اليهم سيفه وترسه وجذب سكّينه ودخل [٢٤ ق] عليهم. فاستقبله رجـل منهم. فضربه بالسكّين رماه وبرك عليه يقتله، وخلفه افرنجيّ معه سيف فضربه. وعلـى ظهر نُمير مزود فيه خبز، فهو يردّ عنه. فلمّا قتل الرجل الذي تحته التفت الى صاحب السيف يريده. فضربه بالسيف في جانب وجهه فقطع حاجبه وجفن عينه وخدّه وانفه وشفته العليا فتدلّى جانب وجهه على صدره فخرج من المغارة الـى اصحابه فسدّوا جرحه ورجعوا به فـي ليلة بارده ماطرة. فوصل شيزر وهو على تلك الحاله فخيّط وجهه وداوى جراحه فبرأ وعاد الى ما كان عليه. الا ان عينه تلفت وهو احد الثلاثة الذين رماهم(١٧٥) الاسماعيليّة من حصن شيزر وقد تقدّم ذكرهم(١٧٦)

(١٧٥) «رموهم» فى الاصل

(١٧٦) فى الجزء الاول المخروم من المخطوطه ـ على ما يظهر ولقد اشار ابو الفدا وابن الاثير الـى هذه الحمله الاسماعيليه علـى شيزر تاريخ ابو الفداء تحت سنه ٥٠٢ في *Recueil* ١ : ١٠ و٢٧٢ وسبط ابـن الجوزى تاريخ تحـت سنه ٥٠٢ في *Recueil* ٣ : ٥٤٨

واحد يهزم قوماً في رفنيّة

وحدّثني الرئيس سهري(١٧٧)، وكان في خدمة الامير شمس الخواصّ آلتوناش(١٧٨) صاحب رفَنيَّة وكان بينه وبين علم الدين عليّ كُرد صاحب حماه عداوة وخلف، قال «امرني شمس الخواصّ ان اخرج افدّر بلد رفَنيَّة وابصر زرعه. فخرجت ومعي قوم من الجند قدّرت البلد. ونزلت ليلة عند المساء بقرية من قرى رفَنيّة لها برج صعدنا الى سطحه تعشّينا وجلسنا وخيلنا على باب البرج. فما شعرنا الا برجل قد اشرف علينا من بين شراريف البرج فصاح علينا ورمى نفسه الينا وفي يده سكّينه فانهزمنا ونزلنا في السلّم الاوّل وهو خلفنا، ونزلنا في السلّم الثاني، وهو خلفنا، حتى وصلنا الباب. فخرجنا واذا قد رتّب لنا رجالاً على الباب فمسكونا جميعنا واوثقونا رباطاً ودخلوا بنا الى حماة الى عليّ كرد فما سلمنا من ضرب الرقبة الا بفسحة الأجل. فحُبسنا وغُرّمنا. وكان الذي فعل بنا ذلك كلّه رجل واحد»

ابن المرجيّ يستولي على حصن

ومثل ذلك جرى في حصن الخرنبة(١٧٩) كانت لصلاح الدين محمّد ابن ايّوب الغِسيانيّ، رحمه الله، وفيها الحاجب عيسى واليها. وهو حصن منيع على صخرة مرتفعة من جميع جوانبه يُطلَع اليه بسلّم خشب ثم يرفع السلّم فلا يبقى اليها طريق. وليس مع الوالي في الحصن سوى ابنه وغلامه وبوّاب الحصن وله صاحب يقال له ابن المَرجيّ(١٨٠) يطلع اليه في الوقت بعد الوقت في اشغاله. فتحدّث مع الاسماعيليّه وقرّر له

(١٧٧) «سهرى» في الاصل والرئيس هنا رئيس المقدّمين
(١٧٨) «التوناس» في الاصل
(١٧٩) «الخرنبه» في الاصل Dussaud ص١٤٥ حاشية٦ بحسب هذا الحصن هو «الخَرنبه» الذي تقدّم ذكره ص٤٨ س٤ وبين اسمائه «الحصن الشرقي» Dussaud ص١٤٦
(١٨) «المرجى» في الاصل

معهم قرارًا ارضاه من مال واقطاع وسلّم اليهم حصن الجربة ثم جاء الى الحصن فاستأذن وطلع. فبدأ بالنواب قتله، ولقيه العلام فقتله، ودخل على الوالي قتله، وعاد الى ابن الوالي قتله. وسلّمه الى [٢٥ و] الاسماعيليّه. ووفاموا له بما كانوا قرّروه له

والرجال اذا قوّوا نفوسهم على شيء فعلوه

مروءة مكارٍ نصراني

ومن ذلك تفاضل الرجال في هممهم ونخوتهم. وكان الوالد، رحمه الله، يقول لي «كلٌ جيّد من سائر الاجناس من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته. مثل حصان جيّد يسوى مائه دينار، خمس حصن ردئة تسوى مائة دينار. وكذلك الجمال. وكذلك انواع الملبوس. الا ابن آدم فان الف رجل ارديناء لا يساوون رجلاً واحدًا جيّدًا». وصدق، رحمه الله

كنت(١٨١) قد نفذت مملوكاً لي في شغل مهمّ الى دمشق واتّفق ان اتابك زنكي، رحمه الله، اخذ حماه ونزل على حمص. فانسدّ الطريق على صاحبي. فتوجّه الى بعلبك ومنها الى طرابلس واكترى بغل رجل نصرانيّ يقال له يونان(١٨٢). فحمله الى حيث اكتراه وودّعه. ورجع وخرج صاحبي في قافلة يريد يتوصّل الى شيزر من حصون(١٨٣) الجبل. فلقيهم انسان فقال لارباب الدوابّ «لا تمضوا. فان في طريقكم في الموضع الفلانيّ عشر حراميّة في ستين سبعين رجلاً يأخذونكم» قال «فوقفنا لا ندري ما نعمل ما تطيب نفوسنا بالرجوع ولا نجسر على المسير من الخوف فنحن كذلك اذا الريّس يونان قد اقبل مسرعاً. فقلنا «ما لك يا ريّس؟» قال «سمعت ان في طريقكم حرامية جئت لأسيّركم. سيروا» فسرنا معه الى ذلك الموضع. واذا قد نزل من الجبل خلقٌ عظيم من

(١٨١) سنه ١١٢٩ او ١١٣
(١٨٢) «بونان» في الاصل
(١٨٣) «حصون» في الاصل ولعلها «حُصُون»

الحراميّة يريدون احدنا. فلقيهم يونان وقال «يافتيان، موضعكم! انا يونان، وهاؤلاء في حمارتي. والله ما فيكم من يتعرّض منهم؟» فردّهم والله جميعهم عنّا وما اكلوا من عندنا رغيف خبز. ومشى معنا يونان حتى امنّا ثم ودّعنا وانصرف»

وفاء بدوي

وحكى لي صاحبي هذا عن ابن صاحب الطور وكان طلع معي من مصر في سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة(١٨٤) قال حدّثني ابن والي الطور(١٨٥) (وهي ولايه لمصر بعيده كان الحافظ لدين الله، رحمه الله، اذا اراد ابعاد بعض الامراء ولاه الطور. وهو قريب من بلاد الافرنج) قال «وليها والدي وخرجت انا معه الى الولاية وكنت مُغرىً بالصيد. فخرجت اتصيّد. فوقع بي قوم من الافرنج فاخذوني ومضوا بي الى بيت جبريل فحبسوني فيه في جبّ وحدي. وقطع عليّ صاحب بيت جبريل الفي دينار. فبقيت في الجبّ سنة لا يسأل(١٨٦) عنّي احد. فانا في بعض الايّام في الجبّ واذا قد رُفع عنه الغطاء [٢٥ ق] ودُلّي اليّ رجل بدويّ. فقلت «من اين اخذوك؟» قال «من الطريق». فاقام عندي ايّامات وقطعوا عليه خمسين دينارا. فقال لي يوماً من الايّام «تريد تعلم ان ما يخلّصك من هذا الجبّ الا انا؟ فخلّصني حتى اخلّصك». فقلت في نفسي «رجل قد وقع في شدة يريد لروحه الخلاص». فما جاوبته. ثم بعد ايّام اعاد عليّ ذلك القول فقلت في نفسي «والله لاسعين»(١٨٧) في خلاصه لعلّ الله يخلّصني بثوابه». فصحت بالسجّان فقلت له «قل للصاحب اشتهي انحدّث معك». فعاد واطلعني من الجبّ واحضرني عند الصاحب. فقلت له «لي في حبسك سنة ما سأل احد عنّي ولا يدرى

(١٨٤) ابتدأ هذه السنة في ٣ يونيو سنة ١١٤٤
(١٨٥) جنوب سيناء
(١٨٦) «بسل» في الاصل
(١٨٧) «لاسعن» في الاصل

انا حيّ او ميت. وقد حسنت عندي هذا البدويّ وقطعت عليه خمسين ديناراً اجعلها زيادة على قطيعتي ودعني اسيّره الى ابي حتى يفكّني، . قال «افعل» . فرجعتُ عرّفت البدويّ وخرج ودّعني ومضى

فانتظرت ما يكون منه شهرين فما رأيت له اثراً ولا سمعت له خبراً . فيئست منه . فما راعني ليلة من الليالي الا وهو قدخرج عليّ من نقب في حائط الجبّ وقال «قم والله لي خمسة(١٨٨) اشهر احفر هذا السرب من قرية خربة حتى وصلت اليك» . فقمت معه وخرجنا من ذلك السرب وكسر قيدي واوصلني الى بيتي . فما ادري ممّ اعجب من حسن وفائه او من هدايته حتى طلع نقبُه من حائط الجبّ»

واذا قضى الله سبحانه بالفرج فما اسهل اسبابه

أسامة يفتدي الاسرى

كنت اتردّد الى ملك الافرنج(١٨٩) في الصلح بينه وبين جمال الدين محمّد بن تاج الملوك(١٩٠)، رحمه الله، ليد كانت للوالد، رحمه الله، على بغدوين(١٩١) الملك والد الملكة امرأة الملك فلك بن فلك . فكان الافرنج يسوقون اساراهم اليّ لاشتريهم . فكنت اشتري منهم من سهّل الله تعالى خلاصه . فخرج شيطان منهم يقال له كليام جيبا [؟](١٩٢) في مركب له يغزي فأخذ مركباً فيه حجّاج من المغاربة نحو اربع مائة نفس رجال ونساء . فكان يجيء اقوام مع مالكهم فاشتري منهم من قدرت على شراه . وفيهم رجل شابّ يسلّم ويقعد لا يتكلّم . فسألت عنه فقيل

(١٨٨) فاتلها مع «سهر س» اعلاه الظاهر ان بعو م البدوي عبر مضبوط

(١٨٩) فُـلك الخامس ملك اورسلم Fulk of Anjou

(١٩٠) تاج الملوك بُوري بن طُغتكين امير دمشق (٢٠ حزيران ١١٣٩ – ٢٩ آذار ١١٤) وهو اخو شهاب الدين محمود

(١٩١) Baldwin الثاني ملك اورسلم والد Melisende التي تزوجت Fulk الخامس سنة ١١٢٩

(١٩٢) «كليام جبا» في الاصل «كليام» – William

لي هو رجل زاهد صاحبه دبَّاغ • فقلت له «بكم سيعني هذا؟» قال «وحق ديني ما ابيعه الا هو وهذا الشيخ جمله كما اشتريتهما ثلاثة واربعين دينارًا» • فاشتريتهما واشتريت لي منهم نفرًا • واشتريت للامير معين الدين(١٩٣)، رحمه الله، منهم نفرًا بمائة وعشرين دينارًا ووزنت [٢٦ و] ما كان معي وضمنت عليّ بالباقي

وجئت الى دمشق فقلت للأمير معين الدين، رحمه الله، «قد اشتريت لك اساري اخصّك بهم • وما كان معي ثمنهم • والآن قد وصلت الى بيتي • ان اردتَهم وزنتَ ثمنهم، والا وزنته انا» قال «لا بل انا ازن والله، ثمنهم وانا ارغب الناس في ثوابهم» • وكان، رحمه الله، اسرع الناس الى فعل خير وكسب مثوبة • ووزن ثمنهم وعدت بعد ايّام الى عكّا

وقد بقي من الأسرى عند كليام جبا(١٩٤) ثمانية وثلاثون اسيرًا، وفيهم امرأة لبعض الذين خلّصهم الله تعالى على يدي • فاشتريتها منه، وما وزنت ثمنها • فركبت الى داره، لعنه الله، وقلت «تبيعني منهم عشرة؟» قال «وحق ديني ما ابيع الا الجميع» • قلت «ما معي ثمن الجميع وانا اشتري بعضهم والنوبة الاخرى اشتري الباقي» • قال «ما ابيعك الا الجميع» فانصرفت وقدّر الله سبحانه انهم هربوا في تلك الليلة جميعهم وسكان ضياع عكّا كلّهم من المسلمين اذا وصل اليهم الاسير اخفوه واوصلوه الى بلاد الاسلام

وتطلّبهم ذلك الملعون فما ظفر منهم باحد • واحسن الله سبحانه خلاصهم • واصبح يطالبني بثمن المرأة التي كنت اشتريتها وما وزنتُ ثمنها وقد هربت في من هرب • فقلتُ «سلّمها اليّ وخذ ثمنها» قال «ثمنها لي من امس قبل ان تهرب» • والزمني بوزن ثمنها • فوزنته وهان ذلك عليّ لمسرّتي بخلاص اولئك المساكين

(١٩٣) أثر

(١٩٤) كذا في الاصل

عجائب السلامة في آمد

ومن عجائب السلامه اذا جرى بها القدر وسقت بها المسيئة ان الأمير فخر الدين قرا ارسلان بن سقمان بن أرتق(١٩٥)، رحمه الله، عمل على مدينه آمد(١٩٦) عدّه مرار، وانا في خدمه، ولا بلغ منها مقصوده. وكان آخر ما عمل عليها(١٩٧) ان امرًا من الاكراد كان مُدَّيو ناً بآمد راسله ومعه جماعة من اصحابه وقرّر الامر ان يصله العساكر في ليلة تواعدوا اليها و يطلعهم بالحبال و يملك آمد. فعوّل فخر الدين في ذلك المهمّ على خادم له افرنجيّ يقال له ياروق(١٩٨) والعسكر كلّه يمقته و يكرهه لسؤ اخلاقه. فركب في بعض العسكر و تقدّم. وركب باقي الامراء فتبعوه. و توانى هو في السير فسبقه الأمراء الى آمد فاشرف عليهم ذلك الامير الكردي واصحابه من برج ودلُّوا اليهم الحبال وقالوا «اطلعوا» ـ ما طلع منهم احد. فنزلوا كسروا اقفال [٢٦ ق] باب المدينه وقالوا «ادخلوا» ـ ما دخلوا كلُّ ذلك لاعتماد فخر الدين على صبيّ جاهل في هذا المهمّ العظيم دون الامراء الكبار

وعلم بذلك الامير كمال الدين عليّ بن نيسان(١٩٩) والبلدية والجند فخرجوا اليهم. فقتلوا بعضهم، ورمى بعضهم نفسه، وقبضوا بعضهم ومدّ بعض الدين رموا نفوسهم وهو نازل في الهواء، يده كأنه يريد شيئاً يمسك به فوقع في يده حبل من تلك الحبال التي دلّوها اوّل الليل وما طلعوا فيها فعلق به و نجا دون اصحابه. الا ان كفّيه انسلخا(٢٠٠) من الحبل. هذا وانا حاضر

(١٩٥) صاحب حصن كيفا في ديار بكر
(١٩٦) عاصمه مقاطعه ديار بكر اما اليوم فديار بكر يطلق على المدينه آمد
(١٩٧) قابل ايامه ٢ ٤
(١٩٨) «ياروق» في الاصل
(١٩٩) «نيسان» في الاصل وهو وزير صاحب آمد
(٢٠٠) «انسلخا» في الاصل

واصبح صاحب آمد يتبع الذين عملوا عليه فقتلهم· وسلم ذلك من دونهم· فسبحان من اذا قدّر السلامة انقذ الانسان من لهاء الاسد فذلك حقّ لا مثل

الانقاذ من لهاة الاسد

كان في حصن الجسر(٢٠١) رجل من اصحابنا من بني كنانة يُعرف بابن الاحمر ركب فرسه من حصن الجسر يريد كفرطاب لشغل له· فاختار بكفر نبودا(٢٠٢) وقافلة عابرة على الطريق· فرأوا الاسد ومع ابن الاحمر حربة تلمع· فصاح اليه اهل القافلة «ياصاحب الحصان البرّاق! دونك الاسد!» فحمله الحياء من صياحهم ان حمل على الاسد فحاصت به الفرس، فوقع· وجاء فبرك عليه· وكان لِما يريد الله من سلامته، الاسد شبعان· فالتقم وجهه وجبهته· فجرح(٢٠٣) وجهه وصار يلحس الدم، وهو بارك عليه لا يؤذيه· قال «ففتحت عيني فابصرت لهاة الاسد· ثم جذبت نفسي من تحته، ورفعت فخذه عنّي، وخرجت تعلّقت بشجرة بالقرب منه، وصعدت فيها· فرآني وجاء خلفي· فسبقت وطلعت في الشجرة· فنام الاسد تحت الشجرة وعلاني من الذرّ شيء عظيم على تلك الجراح (والذّر يطلب جريح الاسد كما يطلب الفأر جريح النمر)· (قال) فرأيت الاسد قد قعد وانصب آذانه كأنه يسمّع· ثم قام يهرول· فاذا قافلة قد اقبلت على الطريق، كأنه سمع حسّها» فعرفوه وحملوه الى بيته· وكان اثر انياب السبع في جبهته وخدّه كوسم النار فسبحان المسلّم

(٢٠١) الحصن القائم على جسر شيزر والجسر هو المَوصل الوحيد من شيزر وصفه العاصي اليمنى ولقد ذكره مؤرخو الافرنج باسم Gistrum

(٢٠٢) «كَفَر نَبُو» في ياقوت ٤ ٢٩١ «كفر نبودي» انظر Dussaud ص١٨٦ حاشيه ٧

(٢٠٣) «فجرح» في الاصل «فخرج» طبعه درنبورغ ص٦٣

العقل والقتال

قلت تفاوضنا يوماً في ذكر القتال وموءدّبي الشيخ العالم ابو عبد الله محمّد بن يوسف المعروف بابن المُنيرة(٢٠٤)، رحمه الله، يسمع. فقلت له «يااستاذ، لو ركبتَ حصاناً ولبست كزاغندا وخودة وتقلّدت سيفاً وحملت رمحاً وترساً ووقفت عند مشهد(٢٠٥) [٢٧ و] العاصي (موضع ضيّق كان الافرنج، لعنهم الله، يجتازون به) ما كان يجوزك احد منهم». قال «بلى والله، كلّهم». قلت «كانوا يهابونك، ولا يعرفونك». قال «سبحان الله! فانا ما اعرف نفسي!» ثم قال لي «يافلان، ما يقاتل عاقل». قلت «يااستاذ، تحكم على فلان وفلان (وعددتُ له رجالا من اصحابنا من شجعان الفرسان) انهم مجانين!» قال «ما ذا قصدت. انما قصدي ان العقل لا يحضر وقت القتال. ولو حضر ما كان الانسان يلقى بوجهه السيوف وبصدره الرماح والسهام. ما هذا شيء يقضي به العقل»

وكان، رحمه الله، بالعلم اخبر ممّا هو بالحرب. فان العقل هو الذي يحمل على الاِقدام على السيوف والرماح والسهام انفة من موقف الجبان وسوء الاحدوثة. ودليل ذلك ان الشجاع يلحقه الرمع والرعدة وتغيُّر اللون قبل دخوله في الحرب لِما يفكّر(٢٠٦) فيه وتحدّث به نفسه مما يريد يعمله ويباشره من الخطر. والنفس ترتاع لذلك وتكرهه. فاذا دخل في الحرب وخاض غمارها ذهب عنه ذلك الرمع والرعده وتغيُّر اللون. وكلُّ امر لا يحضره العقل يظهر فيه الخطأُ والزلل

الذهول وعواقبه

ومن ذلك ان الفرنج(٢٠٧) نزلوا مرّة على حماه في اروارها،

(٢٠٤) وُلد في كفرطاب وتوفي عام ٥١١ ذكره حاجي خليفه «كشف الظنون» (لسرغ ١٨٣٥ ــ ٥٨) ٢ ٢٢ و٤ ٣٣١ و٦ ٣٧٨

(٢٠٥) مخاضه

(٢٠٦) «لمّا يفكّر» طبعه درنبورغ ص٦٤

(٢٠٧) من طرابلس وذلك سنه ١١١٧ ابن الاثير في *Recueil* ١ ٩ ٣

وفيها زرع محصب، فضربوا خيامهم في ذلك الزرع. وخرج من شيزر جماعة من الحراميّة يدورون بعسكر الافرنج يسرقون منه، فرأوا الخيام في الزرع. فاصبح بعضهم حضر صاحب حماة(٢٠٨) وقال «الليلة احرق عسكر الافرنج كلَّه». قال «ان فعلتَ خلعتُ عليك». فلمّا امسى خرج ومعه نفر على رأيه طرحوا النار عربيّ الخيام في الزرع لسوقها الرياح الى خيامهم. فصار الليل بضوء النار كالنهار. فرآهم الافرنج فقصدوهم فقتلوا اكثرهم. وما نجا منهم الا من رمى نفسه في الماء وسبح الى الجانب الآخر. فهذه آثار الجهل وعواقبه

ورأيت مثل ذلك، وان لم يكن في الحرب، وقد عسكر الافرنج على باياس في جمع كبير، ومعه البطرك(٢٠٩)، وقد ضرب خيمة كبيرة جعلها كنيسة يصلّون فيها يتولّى خدمتها شيخ شمّاس منهم وقد فرش ارضها بالحلفاء والحشيش. فكثرت البراغيث فوقع لذلك الشمّاس ان يحرق الحلفاء والحشيش ليحترق البراغيث. فطرح فيه النار، وقد يبس، فارتفعت السنتها وعلقت بالخيمة فتركتها رماداً فهذا لم يحضره العقل

حاضر الذهن تحت الاسد

وصدّه انا ركبنا في بعض الايّام من شيزر الى الصيد [٢٧ ق] وعمّي، رحمه الله، معنا وجماعة من العسكر. فخرج علينا السبع من قصباء دخلناها لصيد الدرّاج فحمل عليه رجل من الجند كرديّ يقال له زهر الدولة بختيار القُبرصيّ(٢١٠) سُمّي بذلك للطف خلقه وكان، رحمه الله، من فرسان المسلمين. فاستقبله السبع فحاص به الحصان، فرماه وجاءه السبع وهو ملقىً. فرفع رجله، فتلقّمها السبع. وبادرناه فقتلنا السبع

(٢٠٨) شهاب الدين محمود بن قَراجا

(٢٠٩) بطريرك اورشليم واسمه وليم William راجع R. Röhricht, *Geschichte des Königreichs Jerusalem* (انسبروك ١٨٩٨) ٢٢١

(٢١٠) «القُرصي» طبعة درنبورغ ص٦٤ والنا منقّطه في الاصل

واستخلصاه وهو سالم. فقلنا له «تاره الدولة، لمَ رفعت رحلك الى فم السبع؟» قال «جسمي كما ترونه ضعيف نحيف. وعليّ ثوب وغلالة. وما فيّ اكسى(٢١١) من رجلي فيها الراناب والخف والساق مورًا. فقلت «اشغله بها عن اضلاعي او يدي او رأسي الى ان يفرّج الله تعالى». فهذا حضره العقل في موضع تزول فيه العقول واولئك ما حضرهم العقل. فالانسان احوج الى العقل من كلّ ما سواه وهو محمود عند العاقل والجاهل

عم أُسامة وحسن ادارته

ومن ذلك ان روجار(٢١٢) صاحب انطاكية كتب الى عمّي يقول «قد نفّذتُ فارساً من فرساني في شغل مهمّ الى القدس. اسأل(٢١٣) ان تنفّذ خيلك تأخذه من افامية ويوصلونه الى رفنيّه». فركب وارسل اليه من احضره. فلمّا لقيه قال «قد نفذني صاحبي في شغل وسرٍ له. لكنّي رأيتك رجلاً عاقلاً. فانا احدّثك به» فقال له عمّي «من اين عرفت اني عاقل وما رأيتني قبل الساعة؟» قال «لاني رأيت البلاد التي مشيت فيها خربة وبلدك عامر. فعرفت انك ما عمرته الا بعقلك وسياستك» وحدّثه ما جاء فيه

تعقّل صاحب ديار بكر

وحدّثني الامير فضل بن ابي الهيجاء صاحب اربل(٢١٤) قال «حدّثني ابو الهيجاء قال (يعني السلطان ملكشاه(٢١٥) لمّا وصل الى الشام التي الامير ابن مروان صاحب ديار بكر يقول اريد ثلاثين الف دينار. فاجتمعت

(٢١١) «اكسا» في الاصل

(٢١٢) Roger

(٢١٣) «اسل» في الاصل

(٢١٤) حوبي الموصل زاد ذكر ابن خلكان «تاريخ» ١ ١١ زيارة أسامه لهذه المدينه راجع ياقوت ١ ١٨٦ — ٨٩

(٢١٥) ابن آلب ارسلان السلجوقي وخليفه في امارة اصفهان

ـه واعدت عليه الرسالة٠ فقال تستريح وتتحدّث٠ واصبح امر ان يدخلوني الحمّام وبعث آلة الحمّام جميعها فضّة وبعث لي بدلة ثياب٠ وقالوا للفرّاشي كلُّ آله الحمّام لكم٠ فلمّا خرجت لبست ثيابي ورددت جميع الحوائج٠ فتركني اياماً ثم امر لي بالحمّام وما انكر ردّ الحوائج٠ وحملوا معي آلة الحمّام افضل من الآلة الاولة وبدلة ثياب افضل من البدلة الاوّلة٠ وقال الفرّاش لفرّاشي كمـا قال اوّلا٠ فلمّا خرجت لبست ثيابي ورددت الحوائج والثياب٠ فتركني ثلاثة اربعة ايّام ثم عاد ادخلني الى [٢٨ و] الحمّام وحملوا معي آلات فضّة افضل من الاولة وبدلة ثياب افضل من الاوّلة٠ فلمّا خرجت لبست ثيابي ورددت الجميع٠ فلمّا حضرتُ عند الامير قال لي ياولدي، بعثتُ اليك ثياباً ما لبستها، وآلة الحمّام ما قبلتها، ورددتها٠ ايّ شيء سبب هذا؟ قلت يامولاي، جئت برسالة السلطان في شغل ما انقضى٠ اقبل ما بعثت به وارجع وما انقضى شغل السلطان فكأني ما جئت الا في حاجتي؟ قال ياولدي، ما رأيت عمارة بلادي وكثرة خيرها وبساتينها وكثره فلّاحيها وعمارة ضياعها؟ أترأني كنت اتلف هذا كلّه من اجل ثلاثين الف دينار؟ والله ان الذهب قد كيّستُه من يوم وصولك٠ وانما انتظرت ان يتجاوز السلطان بلادي ويلحقه بالمال خوفاً من ان استقبله بالذي طلب فطلب منّي اذا دنا من بلادي اضعافه٠ فلا تشغل قلبك٠ فشغلك قد انقضى٠ ثم بعث لي الثلاث بدلات، التي كان بعثها لي ورددتها، مع جميع حوائج الحمّام التي بعثها لي في الثلاث دخلات، فقبلتها٠ ولمّا تجاوز السلطان ديار بكر اعطاني المال فحملته ولحقتُ به السلطان،»

حسن سياسة صاحب بدليس

وفي حسن السياسة ربح كبير من عماره البلاد٠ فمن ذلك ان اتابك زنكي، رحمه الله، خطب بنت صاحب خلاط(٢١٦) وقد مات

(٢١٦) قاعده ارمينيه وذلك سنه ١١٣٤

ابوها(٢١٧) وامتُهامد نّرة البلد، و بعَّد حسام الدولة بن د لماح(٢١٨) حطبها لابنه، وهو صاحب بَدليس(٢١٩)، فسار اتابك بعسكر حسن الى حلاط على غير الطريق المسلوك لاحل درب(٢٢٠) بَدليس، فسلك فيها الحال، فكنّا ننزل بغير حيام، وكلُّ واحد في موضعه من الطريق، حتى وصلنا حلاط، فخيَّم اتابك عليها ودخلنا قلعتها وكسا المهر

فلما انقضى الشغل(٢٢١) امر اتابك ان يأخذ صلاح الدين(٢٢٢) معظم العسكر ويسري الى بَدليس يقاتلها(٢٢٣)، فركبنا اوّل الليل وسرنا واصبحنا على بَدليس، فخرج الينا حسام الدوله صاحبها، فلقينا على فسحة من البلد، وانزل صلاح الدين في الميدان، وحمل اليه الضيافه الحسنة، وخدمه وشرب عنده في الميدان وقال «يامولاي، اي شيء ترسم؟ قد تعبت(٢٢٤) وتعبت في مجيئك»، قال «اتابك اخذه حطبتك للبنت التي كان خطبها، وانت بذلت لهم عشره الف دينار نريدها منك»، قال «السمع والطاعة»، فعجّل له بعض المال واستمهله باقيه اياماً عيّنها، ورجعنا و بلده بحسن سياسه عامر ما دخل عليه خلل

وصاحب قلعة جعبر

⟦٢٨ ق⟧ وهذا قريب مما جرى لنجم الدوله مالك(٢٢٥) بن سالم

(٢١٧) سكمان او سُقمان القطبي موسس دوله أرمن شاه توفي سنة ٦ ٥ (١١١٢ ـ ١٣) ابو الفدا «تاريخ» (الاستانه ١٢٨٦) ٢ ٢٣٧
(٢١٨) ولعله طُغان أرسلان بن آلبكس ابن الاثير ١ ٣٨٩ و٤٣٦ وفي Recueil ١ ٣٢٥ و٣٥٤
(٢١٩) وبالتركيه «بيدلس» او «بيتلس» قاعده كردستان
(٢٢) ووقوعها في الاصل «دربند» وهي فارسيه بمعنى درب
(٢٢١) قابل كمال الدين في Recueil ٣ ٦٦٦ ـ ٦٧
(٢٢٢) ابن ايوب العساني
(٢٢٣) «يقاتلها» في الاصل «يعاملها» طبعه درنبورغ ص٦٦
(٢٢٤) «تعبت» في الاصل «بعث» طبعه درنبورغ ص٦٧
(٢٢٥) «ملك» في الاصل هنا وفيما يلي وهو صاحب قلعه جعبر على الفرات بقرب الرقّه

رحمه الله٠ ودلك ان حوسلين(٢٢٦) اغار(٢٢٧) على الرقة والقلعة فأخذ كلّ ما عليها وسبى وساق غنائم(٢٢٨) كثيرة و نزل مقابل القلعة وبينهم الفرات فركب نجم الدولة مالك في زورق ومعه ثلاثة اربعة من غلمانه وعبر الفرات الى حوسلين و بينهما معرفة قديمة، ولمالك عليه جميل٠ وظنّ حوسلين ان في الزورق رسولا من مالك٠ فجاءه واحد من الافرنج وقال «هذا مالك في الزورق»٠ قال «ما هو صحيح»٠ فاتاه آخر قال «قد نزل مالك(٢٢٩) من الزورق وهو جاءني يمشي»٠ فقام حوسلين والتقاه واكرمه وردّ عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم والسبي٠ ولولا سياسة نجم الدولة كان خرب بلده

شدّة ابن سرايا لا تنفعه

اذا انقضت المدّة لم تنفع الشجاعه ولا الشدّة

شاهدتُ يوماً وقد زحف الينا عسكر الافرنج(٢٣٠) نقاتلنا٠ ومضى بعضهم مع طُغدَكين(٢٣١) اتابك الى حصن الجسر يقاتله٠ وكان اتابك اجتمع هو و إيلغازي(٢٣٢) بن أُرتُق والافرنج في اقامة لمحاربة عساكر السلطان(٢٣٣) وكان وصل بها الى الشأم إسفهسلار بُرسق ابن بُرسُق وقد نزل حماه يوم الاحد تاسع عشر محرّم سنه تسع وخمس

(٢٢٦) Joscelin الاول صاحب تلّ باشر

(٢٢٧) «غار» في الاصل

(٢٢٨) «غنايماً» في الاصل

(٢٢٩) كذا في الاصل

(٢٣٠) اشترك في هذه الزحفه بالدوين الاول ملك اورشليم وروجار (Roger) صاحب انطاكيه و بنس (Pontius) صاحب طرابلس

(٢٣١) وفي الغالب «طُغتكين» بركبه معناهــا «البازل المقاتل» وهو وزير دُقاق و بلقب فيما بعد «سيف الدوله» ومؤرخو الافرنج يسمونه Doldequin

(٢٣٢) «والغازى» في الاصل هنا وفيما يلي فكان الناسخ حسب المقطع الاول اداة التعريف

(٢٣٣) محمدشاه سلطان اصبهان

مائة(٢٣٤) فامّا نحن فقاتلونا بالقرب من سور المدينة. فاستظهرنا عليهم ودفعناهم وانبسطنا معهم. فشاهدت رجلاً من اصحابنا يقال له محمّد ابن سرايا(٢٣٥)، وهو شاب شديد ايد، قد حمل عليه فارس من الافرنج، لعنه الله، فطعنه في فخذه فنفّذ القنطارية فيها فمسكها محمّد وهي في فخذه، وجعل الافرنجيّ يجذبها ليأخذها ومحمّد يجذبها ليأخذها فترجع في فخذه حتى قوّرت فخذه. واسلب القنطاريّة بعد ان اتلف فخذه. ومات بعد يومين، رحمه الله

أُسامة ينقذ ابن عمه

ورأيت في ذلك اليوم، وانا في جانب الناس في القتال، فارساً قد حمل على فارس منّا طعن حصانه قتله، وصاحبنا راجل في الارض ولا ادري من هو لبعد ما بيننا فدفعت حصاني اليه خوفاً عليه من الافرنجيّ الذي طعنه، وقد ثبت(٢٣٦) القنطاريَة في الحصان وهو ميت قد خرجت مصارينه، والافرنجي قد اعتزل عنه غير بعيد وجذب سيفه ووقف مستقبله فلمّا وصلته وجدته ابن عمّي ناصر الدولة كامل بن مقلّد، رحمه الله فوقفت عليه واخليت [٢٩ و] له ركابي وقلت «اركب». فلمّا ركب رددت رأس حصاني الى المغرب، والمدينة من شرقيّنا قال لي «الى اين تروح؟» قلت «الى هذا الذي طعن حصانك، فهو فرصة». فمد يده وقبض على عنان الحصان وقال «ما تطاعن وعلى حصانك لابسان. اذا اوصلتني ارجع طاعنه». فمضيت اوصلته وعدت الى ذلك الكلب وقد دخل في اصحابه

زاهد تنقذه العناية

وشاهدتُ من لطف الله تعالى وحسن دفاعه ان الافرنج، لعنهم الله،

(٢٣٤) ١٤ حزيران سنة ١١١٥
(٢٣٥) «سرايا» في الاصل
(٢٣٦) «نبت» في الاصل «نبت» طبعة درنبورغ ص٦٨

برلوا(٢٣٧) علينا بالفارس والراحل· وبينا وبينهم العاصي وهــو رائد ريــادة عظيمه لا يمكنهم ان يحوروا الينــا ولا نقدر نحن نحور اليهم· فىرلوا على الحل نحيامهم· وبرل منهم قوم الى الساتين، وهي مــن حاسهم، هملوا حيلهم في الفصيل وناموا· فحرّد ساب من رحَالة شيرر وحلعوا ثيابهم واحدوا سيوفهم وسحوا الى اولئك النيام· فقتلوا بعضهم وبكابروا على اصحابنا· فرموا نفوسهم الى الماء وحاروا، وعسكر الفرنج قد ركب من الحل مثل السيل، ومن حاسهم مسحد يُعرف بمسحد ابي المحد بن سُميَة (٢٣٨) فيه رحل يقال لــه حسن الراهد، وهو واقف على سطح بيوّب(٢٣٩) في المسحد يصلّي وعليه ثياب سود صوف ــ ونحن نراه وما لنا اليه سبيل· وقد حاء الافرنج فىرلوا على باب المسحد، وصعدوا اليه ونحن نقول «لا حول ولا قــوه الا بالله! الساعــة يقتلونه»· فلا والله(٢٤٠) ما قطع صلاته ولا رال من مكانه· وعاد الافرنج برلوا ركبوا حيلهم وانصرفوا، وهــو واقف مكانــه يصلــي ولا نشكّ ان الله سبحانه اعماهم عنه وستَرَه عن انصارهم· فسبحان القادر الرحيم

عرس يفك اسيرًا

ومن الطاف الله تعالى ان ملك الروم لمّا برل على شيرر في سنة اثنين وثلثين وخمس مائة(٢٤١) حرح مــن شيرر حماعة من الرحَاله للقتال· فاقتطعهم(٢٤٢) الروم فقتلوا بعضــاً واسروا بعضاً· فكان في حمله مــن اسروا راهد من بني كردوس مــن الصالحيّة مــن مولّدي محمود بن

(٢٣٧) في الرحمه نفسها سنه ١١١٥

(٢٣٨) «ابي المحد بن سميه» في الاصل

(٢٣٩) «نوب» في الاصل «نوب» طبعه درنبورغ ص٦٩ «سَوّر» لاندبرغ ص٢٩ نوّب يعني صلّى ما هو رائد عن الفريضه

(٢٤٠) «واله» في الاصل

(٢٤١) سنه ١١٣٨ وملك الروم هو حان الثاني كومننوس (١١١٨ ــ ٤٣)

(٢٤٢) «فاقطعوهم» في الاصل

صالح(٢٤٣) صاحب حلب. فلمّا عاد الروم كان معهم مأسوراً. فوصل القسطنطينية. فهو في بعض الايّام فيها اذ لقيه انسان فقال «انت ابن كردوس؟» قال «نعم». قال «سر معي اوقفني على صاحبك». فسار معه حتى اراه صاحبه. فقاوله على ثمنه حتى تقرّر بينه وبين الروميّ مبلغ ارضاه [٢٩ ق] فوزن لـه الثمن واعطى ابن كردوس نفقة وقال «تبلغ بها الى اهلك، وامض (٢٤٤) في دعة الله تعالى». فخرج من القسطنطينية وتوصّل الى ان عاد الى شيزر، وذلك من فرج الله تعالى وخفيّ لطفه، ولا يدري من الذي شراه واطلقه

ملاك يغيث اُسامة

وقد جرى لي ما يشبه ذلك لمّا خرج علينا الافرنج في طريق مصر وقتلوا عبّاس بن ابي الفتوح وابنه نصراً(٢٤٥) الكبير. انهزمنا نحو الى جبل قريب منّا. فصعد الناس فيه رجّالة يمسون يجرّون خيلهم وانا على اكديش ولا استطيع المشي. فصعدت وانا راكب وسفوحُ ذلك الجبل كلّها نقاره وحصى كلّما وطئه الفرس انهرّ تحت قوائمه فضربت الاكديس ليطلع فما استطاع، ونزل والحصى والنقاره تنزل به. فترجّلتُ عنه واقمته ووقفت لا اقدر على المشي. فنزل اليّ رجل من الجبل فمسك بيدي وبيرد وبي في يدي الاخرى حتى اطلعني. ولا، والله، ما ادري من هو ولا عدتُ رأيته

وقد كان في ذلك الوقت الصعب نُمتن فيه بيسر الاحسان ونُطلَب المكافاةُ عنه. ولقد شرتُ من بعض الاتراك شربة ماء اعطيته عنها دينارين، وما زال بعد وصولنا دمشق يقتضيني حوائجه ويتوصّل بي الى

(٢٤٣) تاج الملوك محمود بن ناصر بن صالح المرداسي (٦ ١ ــ ٧٤)
(٢٤٤) «وامضى» في الاصل وفوقها سحطه صغيره ربما كان المراد منها نقط الكلمه باسرها
(٢٤٥) «نصر» في الاصل

اعراضه لاجل تلك السرية التي بعثها وما كان ذلك الذي اعاشي الا مَلَكاً رحمني الله تعالى فاعاشي(٢٤٦) به

النبي يقلع قيد سجين

ومن لطف الله تعالى ما حدثني به عبد الله المشرف قال «حُبِست بحَيران(٢٤٧) وقُيِّدت وضُيِّق عليّ. فانا في الحبس والموكَّلون على بابه فرأيت النبي، صلّى الله عليه وسلّم، في النوم فقال «اقلع القيد واخرج». فانتبهت حديث القيد فخرج من رجلي. وقمت الى الباب اريد افتحه، فوجدته مفتوحاً. فتخطّيتُ الرجالَ الموكّلين الى منفس في السور ما طنت يدي تخرج منه فخرجت منه، ووقعت على مزبلة. فمي فيها اثار وقوعي واثار رجلي. ونزلت في وادٍ(٢٤٨) حول السور ودخلت مغارة في سفح الجبل من ذلك الجانب وانا اقول في نفسي «الساعة يخرجون ويروا ثري ويأخذوني» فارسل الله سبحانه ثلجاً غطّى(٢٤٩) ذلك الاثر. وخرجوا [٣ و] يطوفون عليّ، وانا اراهم نهارهم ذلك فلمّا امسيتُ وامنتُ الطلب خرجت من تلك المغارة وسرت الى مأمني».

كان هذا الرجل مشرفاً على مطبخ صلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسياني، رحمه الله

فقيه وزاهد يقاتلان للجنّة

ومن الناس من يقاتل كما كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يقاتلون للجنّة لا لرغبة ولا لسمعة

ومن ذلك ان ملك الالمان(٢٥٠) الافرنجي، لعنه الله، لمّا وصل الشأم

(٢٤٦) هكذا على هامش المخطوطة «فاعاشى» في الاصل
(٢٤٧) في ارمينية قرب سِروان ياقوت ٢ ٣٨
(٢٤٨) «وادى» في الاصل
(٢٤٩) «عطا» في الاصل
(٢٥٠) كنراد الثالث Conrad ملك الالمان

احتمع اليه كلٌ من بالسأم من الافرنج. وقصد دمشق. فخرج عسكر دمشق واهلها لقتالهم وفي حملتهم الفقيه الفندلاويّ والسيخ الزاهد عبد الرحمن الحَلحُولي(٢٥١)، رحمهما اللهَ. وكانا من خيار المسلمين. فلمّا قاربوهم قال الفقيه لعبد الرحمن «ما(٢٥٢) هاولاء الروم؟» قال «بلى». قال «فالى متى نحن وقوف؟» قال «سر على اسم الله تعالى». فتقدّما فاتَلا حتى قُتلا، رحمهما الله، في مكان واحد

كردي يقاتل لجميل عليه

ومن الناس من يقاتل للوفاء. فمن ذلك ان رجلاً من الاكراد يقال له فارس، وكان كاسمه فارساً وايّ فارس. فحضر ابي وعمّي، رحمهما الله، وقعة كانت بينهما وبين سيف الدولة خلَف بن مُلاعب(٢٥٣) عمل عليهم فيها وغدر بهم، وقد حشد وجمع وهم غير متأهبين لما جرى. وسبب ذلك انه راسلهم وقال «نمضي الى اسفونا(٢٥٤) وفيها الفرنج نأخذها». فسمعه اصحابنا اليها وترحّلوا ورجعوا الى الحصن بقوه. وهم في القتال وابن مُلاعب وصل. فأخذ خيل من كان ترجّل من اصحابنا ووقع القتال بينهم، بعد ما كان للافرنج، واشتد بينهم القتال. فقاتل فارس الكرديّ قتالاً عظيماً وجُرح عدّة جراح. وما زال يقاتل ويُجرَح حتى أُثخن بالجراح. وانفصل القتال. فاجتاز به ابي وعمّي، رحمهما الله، وهو محمول بين الرجال فوقفا عليه وهنّآه(٢٥٥) بالسلامة. فقال «والله ما قاتلت أُريد السلامه. لكن لكم عليّ جميل وفضل كثير.

(٢٥١) ياقوت ٢ ٣١٦

(٢٥٢) «اما» في ابي شامه ١ ٥٢ ويظهر ان ابا شامة نقل عن نسخة لأُسامة اضبط من نسختنا هذه

(٢٥٣) صاحب افامية ابن تغري بردي جلد٢ جزء٢ ص٢٨٦ وتاريخ هذه الوقعه ٩ ١١

(٢٥٤) عربي كفرطاب بجوار معرّة النعمان E Rey, *Les colonies franques de Syrie* (باريز ١٨٨٣) ٣٣

(٢٥٥) «وهناه» في الاصل

وما رأيكم في سدّة مل هدا اليوم. فقلت «أُقاتل بين ايديكم واحاريكم عن حميلكم وأُقبل قدّامكم.»

وقصى الله سحابه انه عُوفي من تلك الحراح ومصى الى حَـَلة(٢٥٦)، وفيها فحر الملك بن عمّار(٢٥٧) وفـي اللادقية الافرنج. فحرحت حيلٌ من حَـَلة تريد العارة على اللادقية، وحرحت حيل من اللادقية تريد العارة على حَـَلة. فرل الفريقان في الطريق وبينهما راية. فطلع فارس مـن الافرنج [٣٠ ق] مـن حانبهم نكسف الرايـة وطلع فارس الكرديّ من الحانب الآحر يكسف لاصحابه. فالتقى الفارسان على متن الراية فحمل كلُّ واحد منهما على صاحبه فاحتلفا طعنتين فوقعا ميتين. وبقيت الحُصُن تتصاول على الرايه، والفارسان قتيلان

وكان لفارس هدا عندنا ولد اسمه علّان مـن الجند لـه الحيل الملاح والعدّة الحسنة. ولكن ما كان كاتيه. فرل علينا دنكري(٢٥٨) صاحب انطاكية يوماً وقاتلنا قبل ضرب الحيام. وهدا علّان بن فارس على حصان مليح ناعر(٢٥٩) من احسن الحيل، وهو واقف على رفعه من الارض. فحمل عليه فارس من الافرنج، وهو كالعافل، فطعن حصانه في رقبه نفّذ القنطاريَّة. فسب الحصان رمى علّان وعاد الافرنجي، والحصان معارضه، والقنطاريَّة في رقته كأنه نحسه يمحتر(٢٦٠) نعيمة حسنة

الصور في الحيل

وعلى دكر الحيل فيها الصـّور كالرحال وفيها الخـَوار فمن دلك انه كان فـي حندنا رحل كرديّ يقال له كامل المسطوب فيه السحاعة

(٢٥٦) على ساطىء البحر قرب اللادقيه

(٢٥٧) فحر المُلك ابو علـى عمـّار بن محمـّد بن عمـّـار تولّى طرابلس سنه ١١ ٧

(٢٥٨) Tancred وذلك سنة ١١١

(٢٥٩) «ناعر» في الاصل

(٢٦) «نمحر» في الاصل

والدين والخير، رحمه الله، وله حصان ادهم اصمّ مثل الجمل. فالتقى هو وفارس من الافرنج فطعن الافرنجي حصانه في موضع القلادة فمالت رقبته من شدة الطعنة وخرجت المطارية من اصل رقبة الحصان فصرت فخد كامل المشطوب وخرجت من الجانب الآخر. وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة، ولا فارسه. فكنت ارى ذلك الجرح الذي في فخده بعد ما اندمل وختم وهو كاكبر ما يكون من الجراح، وسلم الحصان وعاد حضر عليه القتال. فالتقى هو وفارس من الافرنج، فطعن الحصان في جبهته حسفها ولم يتزعزع. وسلم من تلك الطعنة الثانية. فكانت بعد ان اُختمت اذا اطبق الانسان كفّه وادخلها في جبهة الحصان في موضع الجرح وسعها

وكان من طريف ما جرى في ذلك الحصان ان اخي عزّ الدولة ابا الحسن عليًا(٢٦١)، رحمه الله، اشتراه من كامل المشطوب. وكان ثقيل العدو فاخرجه في ضمان قرية كانت بيننا وبين فارس من افرنج كفرطاب. فبقي عنده سنة ثم مات. فارسل الينا يطلب ثمنه. قلنا «اشتريته وركبته. ومات عندك. كيف تطلب ثمنه؟» قال «انتم سقيتموه شيئاً يموت منه بعد سنة». فعجبنا من جهله وسخافة عقله

وجُرح تحتي حصان على حمص شقّت الطعنة قلبه واصابه عدّة سهام. فاخرجني من المعركة ومنخراه يدميان [٣١ و] بالدم كالعزلتين. وما انكرت منه شيئاً. وبعد وصولي الى اصحابي مات

وجُرح تحتي حصان في بلد شيزر في حرب محمود بن قَراجا ثلاثة جراح. وانا اقاتل عليه ولا اعلم، والله انه قد جُرح، لاني ما انكرت منه شيئاً

الضعيفة منها

واما جَوْرها وضعفها على الجراح فان عسكر دمشق نزل على

(٢٦١) هكذا على الهامش «على» في الاصل

حماة(٢٦٢)، وهي لصلاح الدين محمّد بن ايّوب الغسياني ودمشق لشهاب الدين محمود بن بوري بن طُغدكين، وانا بها. ورحفوا(٢٦٣) الينا في جمع كثير، ووالي حماه شهاب الدين احمد بن صلاح الدين وهو على تلّ مجاهد(٢٦٤). فجاءه الحاجب غازي التَّلّي فقال «قد انسرت الرجّالة، والجُود تتلامع بين الخيام. والساعة يحملون على الناس يُهلكونهم». فقال «امضِ ردّهم». فقال «والله ما يردّهم الّا انت او فلان» يعنيني. فقال لي «تخرج تردّهم». فقلعت زرديّة كانت على غلام لي لبستها وخرجت رددت(٢٦٥) الناس بالدبوس، وتحتي حصان اشقر من اجود الخيل واتلعها. فلمّا رددت الناس رحفوا الينا، وما بر(٢٦٦) من سور حماة فارس غيري منهم من دخل المدينة وايقنوا انهم مأخوذون(٢٦٧)، ومنهم من هو مترجّل في ركابي. فاذا حملوا علينا اخّرتُ الحصان بعنانه وانا مستقبلهم، واذا عادوا مشيت خلفهم ستره(٢٦٨) لضيق المجال وازدحام الناس. فضربت حصاني نشّابة في ساقه خمشه. فوقع بي وقام، ووقع، وانا اضربه حتى قال لي الرجال الذين في ركابي «ادخل الى الباشوره اركب غيره». فقلت «والله ما انزل عنه». فرأيت من ضعف ذلك الحصان ما لم اره من غيره

حصان يقاتل ومصارينه مندلعة

ومن حسن صبر الخيل ان طراد بن وهيب النُّميري حضر القتال بين

(٢٦٢) سنه ١١٣٧ أو ١١٣٨

(٢٦٣) سنه ١١٣٥ او ١١٣٧ او ١١٣٨ قابل كمال الدين في *Recueil* ٣ ٦٧

(٢٦٤) «مجاهد» في الاصل

(٢٦٥) «ردّب» في الاصل

(٢٦٦) « برا» في الاصل

(٢٦٧) «موخودون» في الاصل

(٢٦٨) «سره» في الاصل «سره» طبعة درنبورغ ص٧٣

سي نُمير، وقد قتلوا عليّ بن شمس الدولة سالم بن مالك(٢٦٩) والي الرقّة وملكوها. والحرب بينهم وبين اخيه شهاب الدين مالك بن شمس الدوله. وتحت طراد بن وهيب حصان له من اجود الخيل له قيمة كبيرة. فطُعن في خاصرته، فخرجت مصارينه. فسدّها طراد في السموط لا(٢٧٠) يدوسها فيقطعها، وقاتل حتى انقضى القتال. فدخل به الى الرقّه، فمات

أُسامة على استعداد دائم للقتال

قلت اذكرني ذكر الخيل بامر جرى لي مع صلاح الدين محمّد بن ايّوب العسيانيّ، رحمه الله. وذلك ان ملك الأمراء اتابك زنكي، رحمه الله، نزل على دمشق في سنة ثلثين وخمسمائة(٢٧١) بارض داريّا(٢٧٢). وقد راسله صاحب بعلبكّ جمال الدين محمّد بن [٣١ ق] بُوري بن طُغدكين(٢٧٣)، رحمه الله، في الوصول اليه. وخرج من بعلبكّ متوجهاً الى خدمة اتابك. فبلغه ان عسكر دمشق خرج يريد اخذه. فامر صلاح الدين ان نركب للقائه ودفع الدمشقيّين عنه. فجاءني رسوله في الليل يقول «اركب» وجيمتي الى جانب خيمته، وهو قد ركب ووقف عند خيمته. فركبتُ في الوقت. فقال «كنتَ قد علمت بركوبي». قلتُ «لا، والله». قال «الساعة بعّدتُ اليك، فركبتَ في الوقت». قلت «يامولاي، حصاني يأكل شعيره، ويُلجمه الركابيّ ويقعد وهو في يده على باب الخيمة. وانا البس عدّتي واتقلّد سيفي وانام. فلمّا جاءني رسولك ما كان لي ما يعوّقني»

فوقف الى ان اجتمع عنده جماعة من العسكر وقال «البسوا سلاحكم». وقد لبس اكثر الحاضرين وانا الى جانبه. ثم قال «كم اقول لكم البسوا

(٢٦٩) «ملك» في الاصل هنا وفيما يلي

(٢٧) بمعنى «لئلا»

(٢٧١) ولعل الصواب ٥٣٢ وهي ١١٣٧ — ٣٨

(٢٧٢) احدى قرى الغوطه على بعد اربعه اميال من دمشق

(٢٧٣) خلف جمال الدين اباه تاج الملوك بوري في اماره بعلبك لدن وفاته

سلاحكم؟» قلت «يامولاي، لا تكون ىعيىي(٢٧٤)». قال «ىعم». قلت «والله ما اقدر السر. ىحں في اوّل الليل. وكراعدي فيه ررديّىاں مطىقة(٢٧٥). اذا رأيت العدوّ لىسىه». فسكت

وسرىا فاصبحىا عىد صُمير(٢٧٦). فقال لي «ما ىىرل ىأكل(٢٧٧) شيئاً؟ فقد جُعتُ من السهر». قلت «الامر لك». فىرلىا. فما اسىقر على الارص حتى قال «ايں كراعدك؟» فامرت الغلام فاحصره. واخرجىه من عيىه واخرجت السكّين فشقه عىد صدره واطهرت جاىب الرردىيں ـ وكاں فيه ررديّة افر ىحّة الى ذيله وفوقها اخرى الى وسطه على كلّ ررديّة المطائں واللىد واللاىىں(٢٧٨) ووىر الارىب. فالتفت الى غلام له كلّمه ىالتركي ولا ادري ما يقول. فاحصر ىيں يديه حصاناً كُمياً كاں أعطاه اىّاه اىاىك في تلك الايّام كالصخرة الصمّاء فىُدَت من قُىّه الحىل. فقال «هذا الحصاں يصلح لهذا الكراعد ىىلّمه الى غلام فلاں». فسلّمه الى غلامي

عم أسامة يىفقّد حضور ذهىه

قلتُ كاں عمّي عزّ الدين، رحمه الله، يىفقّد مىي حضور فكري في القىال، ويمتحنّي ىالمسئلة. فىحں يوماً في ىعص الحرب التي كاىت ىيىنا وىيں صاحب حماة(٢٧٩) وقد حشد وجمع ووقف على صيعه من صياع شيرر ىحرق ويىهب. فجرّد عمّي من العسكر ىحواً من ستيں سىعيں فارساً وقال لي «خذهم وسر اليهم». فمضيىا سراكص والقيىا ىوادرَ خيلهم فكسرىاهم وطعىّا فيهم وقلعىاهم من موصعهم الذي كاىوا عليه. وىقدتُ

(٢٧٤) «ىعسى» فى الاصل «ىعتّىى» در ىورىع ص٧٤

(٢٧٥) «طىفه» ولعل الصواب «مطىّقاں»

(٢٧٦) قرىه شمالي دمشق

(٢٧٧) «ما ىىرل ىاكل» فى الاصل

(٢٧٨) «اللىّىس» فى العامه،

(٢٧٩) شهاب الدين محمود بن قراجا (١١١٥ ـ ٢٤)

فارساً من اصحابي الى عمّي وابي، رحمهما الله، وهما واقفان ومعهما باقي العسكر وراجل كثير اقول(٢٨) لهما «سيرا بالرجّاله فقد كسرناهم» فسارا اليّ(٢٨١)· فلمّا قربنا حملنا عليهم كسرناهم، ورموا خيلهم في الساروف(٢٨٢) وعبروه سباحة وهو زائد، وعدنا بالنصر فقال لي عمّي [٣٢ و] «ايّ شيء تقدّمت تقول لي؟» قلت «تقدّمت اقول لك تقدّم بالرجّالة فقد كسرناهم»· فقال «مع من تقدّمت اليّ؟» قلت «مع رجب(٢٨٣) العبد»· قال «صدقتَ· ما اراك كنت الا حاضر القلب، ما ادهشك القتال»

ومرّة اخرى اقبلنا نحن وعسكر حماه· وكان محمود بن قَراجا قد استعان على قتالنا بعسكر اخيه خيرخان بن قَراجا صاحب حمص· وكان قد ظهر لهم في ذلك الزمان حملُ الرماح المؤلّفه يوصل الرمح الى بعض رمح اخر تحت نصير طوله عشرين ذراعاً او ثمانية(٢٨٤) عشر ذراعاً· فوقف مقابلي موكب منهم، وانا في سريه نحو من خمسة عشر فارساً· فحمل علينا منهم عَلوان العراقيّ وهو من فرسانهم وشجعانهم فلمّا دنا منّا وما زعزعنا رجع وردّ رمحه الى خلفه، فرأيته كالحبل مطروحاً على الارض لا يقدر يرفعه· فاطلقت حصاني عليه، فطعنته وقد وصل الى اصحابه· وعدت وراءهم على رأسي فلقيهم اصحابي وفيهم اخي بهاء الدوله منقذ(٢٨٥)، رحمه الله، فردّهم وقد انقطع نصف يَزَنيّ(٢٨٦) في كراعند علوان، ونحن بالقرب من عمّي، وهو يراني· فلمّا انفصل القتال قال لي عمّي «اين طعنت علوان العراقيّ؟» قلت

(٢٨) «اقل» في الاصل «كسرا قُل» طبعه درنبورغ ص٧٥
(٢٨١) «لي» في الاصل
(٢٨٢) «الساروف» في الاصل وهو من روافد العاصي
(٢٨٣) «رجب» في الاصل
(٢٨٤) «ثمنية» في الاصل
(٢٨٥) احد اخوة أسامه الثلاثه
(٢٨٦) «يزان» يركبه عقافا السلاح

«اردت طهره· فمال الهواء بالبيرق(٢٨٧) فوقع الرمح في حاسه»·
قال «صدقت َ· ما كنت الا حاصر القلب دلك الوقت»

(٢٨٧) «بالبرق» طبعه درسورغ ص٧٦

٦ ـ مكافحه الاسود وسائر الضواري

تر بة أسامة السية

وما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر معما كان يرى فيّ واري من اسفاقه وايثاره لي. ولقد رأيته يوماً(١) وكان عدنا سيرز رهائن عن بعدوين(٢) ملك الافرنج على قطيعه قطعها لحُسام الدين تِمُرتاش بن إيلغازي(٣)، رحمه الله، فرسان افرنج وارمن. فلمَّا وفوا ما عليهم وارادوا الرجوع الى بلادهم نفذ خيرخان صاحب حمص خيلاً كمنوا لهم في ظاهر سرر فلمَا نوجَّه الرهائن خرجوا عليهم احذوهم. ووقع الصائح فركب عمّي وابي، رحمهما الله، ووقفا، وكلّ من يصل اليهما قد سرّاه من خلفهم وجئت انا، فقال لي ابي «اتبعهم بمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم». فتبعتهم وادركتهم بعد ركض اكثر النهار واستخلصت من كان معهم واخذت بعض خيل حمص وعجبت من قوله «ارموا نفوسكم(٤) عليهم»

ومرّة كنت معه، رحمه الله، وهو واقف في قاعه داره واذا حيَّة عظيمه قد اخرجت رأسها على افريز رواق الناظر التي في الدار. فوقف ينظرها. فحملت سلّماً كان في جانب الدار اسندته [٣٢ ق] تحت الحيَّة وصعدت اليها، وهو يراني فلا ينهاني، واخرجتُ سكّيناً صغيره(٥) من وسطي، وطرحتها على رقبة الحيَّه وهي نائمه وبين وجهي وبينها دون

(١) سنه ١١٢٤
(٢) Baldwin الثاني ملك اورسلم
(٢) «العارى» في الاصل وهو صاحب ماردين
(٤) «انفسكم» اعلاه
(٥) موس في الاصل

الدراع، وجعلتُ اخرّ رأسها ـ وخرجت النفت علـى يدي ـ الـى ان قطعتُ رأسها والقيتها الى الدار، وهي ميتة

بل رأيته، رحمه الله، وقد خرجنا يوماً لقتال اسد ظهر على الجسر(٦)٠ فلمّا وصلناه حمل علينا من اجمة كان فيها فحمل على الخيل، ثم وقف، وانا واخي بهاء الدولة منقذ، رحمه الله، بين الاسد وبين موكب فيه ابي وعمّي، رحمهما الله، ومعهما جماعة من الجند٠ والاسد قد ربض على حرف النهر يتضرّب بصدره على الارض ويهدر٠ فحملتُ عليه٠ فصاح عليّ ابي، رحمه الله «لا تستقبله، يامجنون، فيأخذك!» فطعنته٠ فلا والله ما تحرّك من مكانه٠ ومات موضعه

فما رأيته نهاني عن قتال غير ذلك اليوم

تركماني يموت من جرح سطحي

خلق الله عزّ وجلّ خلقه اطواراً(٧) مختلفي الخلق والطبائع الابيض والاسود، والجميل والقبيح، والطويل والقصير، والقوي والضعيف، والشجاع والجبان، بمقتضى حكمته وعموم قدرته

رأيت بعض اولاد الامراء التركمان الذين كانوا في خدمة ملك الامراء اتابك زنكي، رحمه الله، وقد اصابته نشّابة ما دخلت فـي جلده مقدار شعيرة فاسترخى(٨) وانحلّت اعضاؤه وانقطع كلامه وغاب ذهنه٠ وهو رجل مثل الاسد، اجسم ما يكون مـن الرجال٠ فاحضروا لـه الطب والجرائحيّ فقال الطبيب «ما به بأس٠ بل متى ما جُرح ثانية مات»٠ فهدأ وركب وتصرّف كما كان٠ ثم اصابته نشّابة اخرى بعد مدّة احقر من الاوّله واقل نكايةً، فمات

(٦) جسر شيزر
(٧) قابل القرآن ٧١ ١٣
(٨) «فاسترخا» في الاصل

وطحّان من لسعة ر سور

وراأيتُ ما يقارب دلك ايضاً• كان عندنا سيرر احوان يقال لهما سو محاحو(٩) الواحد اسمه ابو المحد(١٠) والآحر محاس وهمـا صمّان رحاه الحسر(١١) سمان مائة دينار• وعند الرحا مديح للعم يدبح فيه حرّارو(١٢) البلد ويحتمع الرياسر على اثار الدم• فاحتار محاس بن محاحو يوماً الى الرحاء فلسعه رسور، فانهلح وانقطع كلامه واشرف على الموت• وبقي كدلك مدّه• ثم افاق وانقطع عن الرحا مدّه فعاتبه احوه ابو المحد وقال له «يااخي، معنا هـده الرحى سمان مائه دينار ولا نسرف عليها ولا تنصرها؟ وعداً يكسر علينا صَمانُها ونموت فـي الحبس»• فقال [٣٣ و] له محاس «انت مقصودك ان يلسعني رسور آحر فيقتلني»• واصبح حاء الـى الرحا(١٣)، فلسعه رسور، فمات• فاليسر الاسباء يقتل ادا فرع الاحل، والفأل موكل بالمنطق

اسد يتقي علاماً

فمن دلك انـه طهر عندنا بارض شيرر سبع• فركبنا اليه فوجدنا علاماً للامير سابق بن وثاب(١٤) بن محمود بن صالح في دلك المكان يرعى فرسه اسمه شمّاس(١٥)• فقال له عمّي «ايـن الاسد؟» قال «فـي تلك العلفاء»• قال «سر قدّامي اليها»• قال «انت مقصودك ان يحرح الاسد يأحدني»• ومشى قدّامه فحرح الاسد كأنه مرسل الى سمّاس فأحده، فقتله دون الناس• وقُتل الاسد

(٩) «بحاحو» في الاصل «محاحو» ادناه
(١٠) «المحد» في الاصل
(١١) طاحون حسر سرر «صمّان» بالحمع في الاصل
(١٢) «حراري» في الاصل
(١٣) «الرحى» في الاصل
(١٤) «وثاب» في الاصل
(١٥) «سماس» في الاصل

أسامة والاسد

وساهدتُ من الاسد ما لم اكن لاظنّه، ولا اعتقدت ان الأُسد كالناس فيها السجاع وفيها الجبان٠ وذلك ان حوبان(١٦) الخيل جاءنا يوماً يركض وقال «في اجمة تلّ السلول ثلاثة سباع»٠ فركبنا فخرجنا اليها، واذا لبوة خلفها اسدان٠ فدرنا في تلك الاجمة٠ فخرجت علينا اللبوة٠ فحملت على الناس ووقفت٠ فحمل عليها اخي بهاء الدولة ابو المغيث منقذ، رحمه الله، طعنها قتلها، وتكسّر رمحه فيها

ورجعنا الى الاجمة٠ فخرج علينا احد السبعَين فطرد الخيل٠ ووقفت انا واخي بهاء الدولة في طريقه عند عوده من طرد الخيل٠ فانّ الاسد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه بلا سهه، وجعلنا اعجاز خيلنا اليه، وردّدنا(١٧) رماحنا نحوه ونحن نعتقد انه يقصدنا فنُسب الرماح فيه فنقتله٠ فما راعنا الا وهو عابر علينا كالريح الى رجل من اصحابنا يقال له سعد الله السباسيّ، فضرب فرسه رماها فطعنه وسَطت القطاريّة فيه فمات مكانه

ورجعنا الى الاسد الآخر ومعنا نحو من عشرين راجلاً من الارمن الاجياد رماة(١٨)٠ فخرج السبع الآخر وهو اعظمها خلقة يمشي وعارضه الارمن بالنشاب، وانا معارض الارمن انظره يحمل عليهم يأخذ واحدًا منهم فاطعنه وهو يمشي٠ وكلّما وقعت فيه نشّابة قد هدر ولوّح بذنبه فاقول «الساعة يحمل»٠ ثم يعود يمشي٠ فما زال كذلك حتى وقع ميتاً٠ فرأيت من ذلك الاسد شيئاً ما ظننته

اسد يهرب من خروف

ثم شاهدتُ من الاسد اعجب من ذلك
كان بمدينة دمشق جرو اسد قد ربّاه سبّاع معه حتى كبر وصار يطلب

(١٦) «حوبان» بركبه معناها راع
(١٧) «وردنا» في الاصل
(١٨) «الاجباد رماه» في الاصل

الحيل وتأذى الناس به. فقيل للامير معين الدين، رحمه الله، واىا عىده «هذا السبع قد آذى الناس. والخيل ىفر منه. وهو في الطريق». وكان على [٣٣ ق] مصطبة بالقرب من دار معين الدين في النهار والليل. فقال «قولوا للسبّاع يجيء به». وقال للجوان سلار(١٩) «اخرج من ذبائح المطبخ خروفاً اتركه في قاعة الدار حتى ننظر كيف يكسره السبع». فاخرج خروفاً الى قاعة الدار. ودخل السبّاع ومعه السبع. فساعة رآه الخروف، وقد ارسله السبّاع من السلسلة التي في رقبته، حمل عليه فنطحه. فانهزم السبع وجعل يدور حول البركة(٢٠) والخروف خلفه يطرده وينطحه، ونحن قد غلبنا الضحك عليه. فقال الامير معين الدين، رحمه الله، «ذا سبع منحوس! اخرجوه اذبحوه واسلخوه. وهاتوا جلده». فذبحوه وسلخوه وأُعتق ذلك الخروف من الذبح

كلب يخلّص صاحبه من اسد

ومن عجيب امور السباع ان اسداً ظهر عندنا في ارض شيزر. فخرجنا اليه ومعنا رجّالة من اهل شيزر فيهم غلام للمعَد(٢١) الذي كان يطيعه اهل الجبل ويكاد ان يُعبد(٢٢). ومع ذلك الغلام كلب له. فخرج الاسد على الخيل، فجفلت قدّامه جافلة، ودخل في الرجّالة. فاخذ ذلك الغلام وبرك عليه. فوثب الكلب على ظهر الاسد، فنفر عن الرجل وعاد الى الاجمة. وخرج الرجل الى بين يدي والدي، رحمه الله، يضحك وقال «يامولاي، وحياتك، ما خرجني ولا آذاني». وقتلوا الاسد. ودخل الرجل فمات في تلك الليلة من غير جرح اصابه الا انقطع قلبه(٢٣).

(١٩) فارسية — مدبر المطبخ

(٢) يظهر ان دور دمشق كانت يومئذ على سنن اليوم نفسه

(٢١) «للمعد» في الاصل «للمفسّد» طبعه درنبورغ ص ٨ والمعسّد المعظّم كانه يُعبد وربما كانت الاشارة لشيخ الحشاشين

(٢٢) «نعبد» في الاصل

(٢٣) لم يزل هذا الاستعمال جاريا على السنة العامة

فكنت اعجب من إقدام ذلك الكلب على الاسد، وكلُّ الحيوان ينفر من الاسد ويتحشّه

الاسد سيّد الحيوانات

ولقد رأيت رأس الاسد يُحمَل الى بعض دورنا فترى(٢٤) السنانير تهرب من تلك الدار وترمي نفوسها من السطوحات، وما رأت الاسد قط(٢٥) وكنّا نسلخ الاسد ونرميه من الحصن(٢٦) الى سفح الباشورة فلا يقربه الكلاب ولا شيء من الطير. واذا رأت القيمان(٢٧) اللحم نزلت اليه ثم دنت منه صاحت وطارت. وما اشبه هيبة الاسد على الحيوان بهيبة العقاب على الطير فان العقاب يبصره الفرّوج الذي ما رأى العقاب قط فيصيح وينهزم. هيبة القاها الله تعالى في قلوب الحيوان لهذين الحيوانين

قاتل اسد تقتله عقربة

وعلى ذكر السباع كان عندنا اخوان من اصحابنا يقال لهما بنو الرُعام رجّالة يترددان من شيزر الى اللاذقية (واللاذقية لعمّي عزّ الدولة ابي المرهف نصر، وفيها اخوه عزّ الدين ابو العساكر سلطان، رحمهما الله) بالكتب بينهما قالا «خرجنا من اللاذقيه [٣٤ و] فاشرفنا من عقبة المدة(٢٨)، وهي عقبة عالية تُشرف على ما تحتها من الوطاء، فرأينا السبع وهو رابض على نهر تحت العقبة. فوقفنا مكاننا ما نجسر على النزول من خوف الاسد. فرأينا رجلاً قد اقبل. فصحنا اليه ولوّحنا

(٢٤) «فرى» في الاصل

(٢٥) يظهر ان ملاحظات اسامة علميه قابل F C Selous, *African Nature Notes and Reminiscences* (لندن ٨ ١٩) ٩٥

(٢٦) شيزر

(٢٧) «القيمان» في الاصل «العقبان» طبعه درنبورغ ص ٨

(٢٨) «المده» في الاصل

سيا سا اليه يحذّره مــن الاسد فمــا سمعَــا٠ واوتر قوسه وطرح فيه نشّابه ومشي٠ فرآه الاسد فوثب اليه٠ فضربه ما احطأ قلبه، فقتله٠ ومشى اليه فتمم قتله٠ واخذ نشّابته وجاء الى ذلك النهر فنزع زُرنُوله(٢٩) وقلع ثيابه ونزل اغتسل في الماء٠ ثم طلع لبس ثيابه، ونحن نراه، وجعل ينفض شعره لينشّفه من الماء٠ ثم لبس فرده زربوله واتكى على جنبه وطوّل في الاتّكاء٠ فقلنا «والله ما قصَّر٠ ولكن على من يتيه؟» ونزلنا اليهوهو على حاله فوجدناه ميتاً ما ندري ما اصابه فنزعنا فردة الزُرنُول من رجله واذا فيه عقرب صغيرة قد لسعته في ابهامه٠ فمات لوقته٠ فعجبنا من ذلك الجبَّار الذي قتل الاسد وقتله عقرب مثل الاصبع٠ فسبحان الله القادر النافذ المشيئة في الخلق

طبائع الاسد على ما درسها أُسامة

قلت قابلتُ السباع في عدّة مواقف لا احصيها٠ وقتلت عدّة منها ما شركني في قتلها احد، سوى ما شاركني فيه غيري، حتى خبرت منها وعرفت من قتالها ما لم يعرفه غيري٠ فمن ذلك ان الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله(٣٠) ما لم يُجرح فحينئذٍ هو الاسد، وذلك الوقت يُخاف منه٠ واذا خرج من غاب او اجمة وحمل على الخيل فلا بد لــه مــن الرجوع الــى الاجمة التي خرج منها، ولــو ان النيران(٣١) في طريقه٠ وكنت انا قد عرفت هذا بالتجربة، فمتى حمل على الخيل وقفت في طريق رجوعه، قبل ان يُجرح٠ فاذا رجع تركه الى ان يتجاوزني وطعنه، قتلته

(٢٩) نوبا به نعمى الحذاء

(٣٠) «وبله» في الاصل «وبلَّه» طبعه در نبورغ ص٨١

(٣١) كان البدو اذا نزلوا مكاناً ليلا اشعلوا النار حولهم لاعتقادهم ان الاسد يخاشى النار وكانوا يطلقون على هذه النار اسم «نار الاسد»

قتال النمر

فامّا النمور فقتالها اصعب من قتال الأُسد لخفّتها وبُعد وثبتها. وهي تدخل في المغارات والمحاجر كما تدخل الضباع، والأُسد ما تكون الا في الغابات والآجام. وقد كان ظهر عندنا نمر في قرية يقال لها مَعَرزف(٣٢) من اعمال شيزر. فركب اليه عمّي عزّ الدين، رحمه الله، وارسل اليّ فارساً وانا راكب في شغل لي يقول «الحقني الى مَعَرزف». فلحقته وجئنا الى الموضع الذي [٣٤ ق] زعموا ان النمر فيه، فما رأيناه. وكان هناك جُبٌّ. فنزلت عن حصاني ومعي قنطاريّة وجلست على فم الجُبّ، وهو قصير نحو القامة وفي جانبه خرق كالمحجر. فحرّكتُ القنطاريّة في ذلك الخرق الذي في الجبّ فخرج النمر برأسه من ذلك الخرق ليأخذ القنطاريّة. فلمّا علمنا انه في ذلك الموضع نزل معي بعض اصحابنا، وصار بعضنا يحرّك ذلك الموضع بالرمح، فاذا خرج طعنه الآخر. وكلّما اراد الصعود من الجبّ اوثقناه بالرماح، حتى قتلناه. وكان خلقة عظيمة. الا انه كان قد اكل من دوابّ القرية حتى عجز عن نفسه. وهو دون سائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعاً

وقد كان في كنيسة حُناك(٣٣) طاقة في ارتفاع اربعين ذراعاً. فكان يأتيها نمر في الهاجرة يثب اليها ينام فيها الى آخر النهار ويثب منها ينزل ويمضي. ومقطع(٣٤) حُناك ذلك الوقت فارس افرنجيّ يقال له سير ادم(٣٥) من شياطين الافرنج. فاخبروه خبر النمر فقال «اذا رأيتموه اعلموني». فجاء النمر كعادته وثب الى تلك الطاقة. فجاء بعض الفلاحين اخبر السير ادم. فلبس درعه وركب حصانه واخذ ترسه ورمحه وجاء الى الكنيسة وهي خراب، انما فيها حائط قائم فيه تلك الطاقة. فلمّا

(٣٢) واقعه للشمال الغربي من حماه Dussaud ٢ ٧

(٣٣) حصن للجنوب الغربي من معرّة النعمان ياقوت ٢ ٣٤٥

(٣٤) ولعلها « مقطع» في الاصل

(٣٥) Sir Adam

رآه النمر وثب من الطاقة عليه، وهو على حصانه، فكسر ظهره وقتله ومضى. فكان فلاحو(٣٦) هناك يسمّونه النمر المجاهد

ومن خواصّ النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرةٌ مات. ولا ترتد الفأرة عن حريج النمر(٣٧). حتى انه يعمل له سرير يجلس في الماء ويربط حوله السنانير خوفاً عليه من الفأر

الفرق بين النمر والفهد

والنمر لا يكاد يألف بالناس ولا يستأنس بهم. وقد كنت مرّة مجازاً بمدينة حيفا(٣٨) من الساحل، وهي للافرنج. فقال لي افرنجي منهم «تشتري منّي فهداً جيّداً؟» قلت «نعم». فجاءني بنمر قد ربّاه حتى صار في قدّ الكلب. قلت «لا، ما يصلح لي. هذا نمر ما هو فهد»(٣٩). فعجبت من انسه وتصرّفه مع الافرنجي

والفرق بين النمر والفهد ان وجه النمر طويل مثل وجه الكلب وعيناه زرق(٤٠) والفهد وجهه مدوّر وعيناه سود(٤٠). وقد كان بعض الحلبيين اخذ نمراً وجاء به في عدل الى صاحب القدموس وهو لبعض بني محرز(٤١)، وهو يشرب. ففتح العدل، فخرج النمر على من في المجلس. فامّا الامير فكان عند طاقة في البرج دخل منها وغلق عليه الباب. وجال النمر في البيت قتل بعضهم وجرح بعضهم الى ان قتلوه

(٣٦) «فلاحُوا» في الاصل

(٣٧) ليس لهذه الملاحظة من اساس علميّ

(٣٨) «حيفه» في الاصل وذلك بين سنة ١١١٤ و١١٤٣

(٣٩) قابل H B Tristram, *The Fauna and Flora of Palestine* (لندن ١٨٨٨) ص٩٨

(٤٠) كذا في الاصل عامه

(٤١) «محرز» في الاصل والقدموس حصن للنصيرية الى الجنوب الغربي من شيزر

وسمعت ومـا رأيت [٣٥ و] ان فـي الساع السَنَر(٤٢)• وما كنت اصدّق دلك• فحدّسي السح الامام حجَة الدين ابو هاشم محمَّد س محمَّد س طفر، رحمه الله، قال «سافرت من المعرب ومعي علام سيح كان لوالدي قد سافر وحرّب الامور• فصرع الماء الدي معنا وعطشنا وليس معنا نالث، انما نحن انا وهو على نجيبين• فقصدنا ماء في طريقنا فوجدنا عليه السَنَر(٤٣) وهو نائم فاعتزلنا عنه• ونزل صاحبي عن حمله واعطاني زمامه واخد سفه وترسه وقربة معنا وقال لي ‹احتفظ برأس النجيب› ومتى الى الماء فلمّا رآه السَنَر قام ووثب مستقبله حتى تجاوره• ثم صاح فارت اليه مُجربات" لـه عدوًا لحقوه(٤٤) وما عارضنا ولا آذانـا• فسرنا واستقينا ثم مضينا»

هكذا حدّسي، رحمه الله، وكان من خيار المسلمين في دينه وعلمه

(٤٢) الفهد المحطط ملك الغابه الهنديه والكلمه ماخوده عن « شَـر » الفارسيه وهي ظاهرة في اسم الملك الظاهر بيبرس السردكره الفروينى «عجائب المخلوقات» (عوستنفلد ١٨٤٩) ١ ٣٩١ ونجد صورته فـي «الهـلال» عـدد تموز سنه ١٩٢٩ ص٩٤ ١

(٤٣) لا يعيش النمر في افريقيه كما ان الاسد لا يعيش في الهند

(٤٤) «فـارت اليـه مجربات له عدوا لحقوه» في الاصل

٧ ـ اختبارات حربيه

صرب شيرر بالمحنيق

ومن عحيب الآحال لمّا برل الروم الى سيرر سنة اثنتين وثلثين وحمس مائة(١) بصبوا عليها محانيق(٢) هائلة حاءت معهم من بلادهم ترمي الثقل(٣)· وتبلع حجرُها ما لا تبلعه النشّابة· وترمي الحجر عشرين وحمسة وعسرين رطلاً· ولقد رموا مرّة دار صاحب لي يقال له يوسف ابن ابي العريب، رحمه الله، بقلب قوف(٤) فهدمت علوها وسفلها بحجر واحد· وكان على برج في دار الامير(٥) قطاريّة فيها راية مصوبة، وطريق الناس في الحصن من تحتها· فضرب(٦) القطاريّة حجر المنجنيق كسرها من نصفها· وانقلب كسرُها الذي فيه السنان منكس ووقع الى الطريق، ورجل من اصحابنا عابر، فوقع السنان من ذلك العلوّ وفيه نصف القطاريّة في ترقُوَته(٧) خرج الى الارض وقتله

وحدّثني خُطلُخ مملوك لوالدي، رحمه الله، قال «كنّا في حصار الروم جلوساً(٨) في دهليز الحصن(٩) بعددنا وسيوفنا فاذا شيخ قد جاءنا

(١) سنه ١١٣٨

(٢) «محانيقاً» في الاصل

(٣) «البقل» في الاصل «البقل» طبعه درنبورغ ص٨٣

(٤) «بقلب فوق» في الاصل «ثُقَّلب فوق» طبعه درنبورغ ص٨٣ «الفُوفا» حجر تعمل منه الرّحى

(٥) «الامر» في الاصل

(٦) «فصرب» في الاصل

(٧) «برفابه» في الاصل وبطهر ان الكلمه كانت بلفظ «برفابه» وقد ذكر رب ادباه ص٢١٣ ح٨١

(٨) «حلوس» في الاصل (٩) حصن سيزر

يعدو وقال «يامسلمون(١٠)، الحريم! دخل الروم معنا» فاخذنا سيوفنا وخرجنا وجدناهم قد طلعوا من ثغرة في السور ثغرتها المجانيق. فضربناهم بالسيوف حتى اخرجناهم. وخرجنا خلفهم حتى اوصلناهم الى اصحابهم، وعدنا. فتفرّقنا، وبقيت انا وذلك الشيخ الذي استفزعنا. فوقف وادار وجهه الى الحائط يريق الماء. فاعرضتُ عنه. فسمعت وجبة(١١). فالتفتُّ واذا الشيخ قد ضربت راسه [٣٥ ق] حجر المنجنيق كسرته والصقته بالحائط، ومخُّه قد سال على الحائط. فحملته وصلّينا عليه ودفنّاه في مكانه، رحمه الله»

وضربت حجر المنجنيق رجلاً من اصحابنا كسرت رجله. فحملوه الى بين يدي عمّي وهو جالس في دهليز الحصن، فقال «هاتوا المجبّر» وكان بشيزر رجل صانع يقال له يحيى صانع في التجبير. فحضر وجلس يجبّر رجله وهو في سترة خارج باب الحصن. فضربت الرجُل المكسور حجر في راسه طيّرته. فدخل المجبّر الى الدهليز فقال عمّي «ما اسرع ما جبّرته!» قال «يامولاي، جاءته حجر ثانية اغنته عن التجبير»

قصد الفرنج دمشق(١٢)

ومن نفاذ المشيئة في الآجال والأعمار ان الافرنج، خذلهم الله، اجمع رأيهم على ان يقصدوا دمشق ويأخذوها(١٣). فاجتمع منهم خلق كثير. وسار اليهم صاحب الرها وتلّ باشر(١٤) وصاحب انطاكية. فنزل صاحب انطاكية على شيزر في طريقه الى دمشق، وقد تبايعوا بينهم دور دمشق

(١٠) «يامسلمين» في الاصل عامية
(١١) «وجبه» في الاصل
(١٢) هذا العنوان هو الوحيد المثبت في الاصل في هامش المخطوطه
(١٣) بقيادة بالدوين الاول ملك اورسليم عام ١١١٣
(١٤) سماه الافرنج Turbessel وموقعه بين حلب والرها (اورفا ادسا) صاحب الرها وتل باشر كان جوسلين Joscelin I راجع Rey ٣٢٢

وحمّاماتها وقياسيرها واشراها(١٥) الرحاسيّة(١٦) وورىوا لهما ىما بها، وماعندهم شك" في فتحها وملكها. وكفرطاب اد داك لصاحب انطاكية(١٧). فحر"د من عسكره مائة فارس انتحبهم وامرهم بالمقام بكفرطاب مقابلا ومقابل حماة. فلمّا سار الى دمسق احتمع من بالسأم من المسلمين لقصد كفرطاب وانهدوا رحلاً من اصحابنا يقال له قُبيب بن مالك(١٨)، فحس" لهم كفرطاب في الليل، فوصلها دارها وعاد وقال «ابشروا بالعيمة والسلامة». فسار المسلمون اليهم فالتقوا على مكير(١٩). فنصر الله سبحانه الاسلام وقتلوا الافرىح حميعهم. وكان قُبيب الذي حس" لهم كفرطاب قد رأى في حدقها دواب(٢٠) كبيرة. فلمّا طفروا بالافرىح وقتلوهم طمع في احد تلك الدواب" التي في الحدق ورحا ان يفور بالعيمة وحده. فمضى يركض الى الحدق. فرمى عليه رحل من الافرىح من الحصن حجراً فقتله. وكانت له عندنا والده عحور كبيره ندب في مأتمنا ثم تندب ولدها. فكانت اذا ندبت على ابنها قُبيب تندفّق ثدياها باللبن حتى تعرق ثيابها. فاذا فرغت من ندبها [٣٦ و] عليه وسكنت لوعتُها عادت ثدياها كالحلدين ما فيهما(٢١) قطرة لبن. فسبحان من اشرب القلوب الحبّة على الاولاد

ولمّا قيل لصاحب انطاكية وهو على دمسق «قد قتل المسلمون اصحابك» قال «ما هو صحيح. قد تركتُ بكفرطاب مائة فارس تلتقي المسلمين كلّهم»

وقضى الله سبحانه ان المسلمين بدمسق نصروا على الافرىح وقتلوا

(١٥) «واسروها» في الاصل
(١٦) bourgeoisie
(١٧) روجار Roger
(١٨) «ملك» في الاصل
(١٩) وقد وردت اعلاه ص٤٥ ح ٣٩
(٢٠) «دوابا» في الاصل
(٢١) «فيها» في الاصل سامه

مىهم مقىلة عطيمة واحدوا حميع دوابّهم٠ فرحلوا عں دمسق اسواء رحيل وادلّه ـ والحمد لله رب العالمين

كردي يباىط راس احيه

ومں عحيب ما حرى في تلك الوقعه بالافرىح انه كان في عسكر حماه احوان كرديان(٢٢) اسم الواحد ىدر واسم الآحر عَنَّار(٢٣)٠وكان هدا عَنَّار صعيف النطر٠ فلمّا كُسر الافرىح وقُتلوا قطعوا روءوسهم وشدّوها في سموط حيلهم٠ وقطع عَنَّار راساً [وسدّه] في سموطه٠ فرآه قوم مں عسكر حماة فقالوا له «ياعَنَّار، اي سيء هدا الراس معك؟» قال «سحان(٢٤) الله لما حرى بيىي وبيىه حتى قتلته»٠ فالوا له «يارحل، هدا رأس احيك ىدر!» فىطره وتأمله، فادا هو رأس احىه فاستحيى [كدا] مں الناس وحرح مں حماه فما ىدري اين قصد ولا عدنا سمعنا له حبرا وكان احوه ىدر قُتل في تلك الوقعة قىله الافرىح، حدلهم الله تعالى

صرىة سيف تسقّ راس اسماعيلي

ادكرني صرب حجر المحىيق راس دلك الشيح، رحمه الله، صرب السيوف الماصية٠ فمں دلك ان رحلاً مں اصحابنا يقال له هَمَّام(٢٥) الحاجّ التقيهو ورحل مں الاسماعيليّة، لمّا عملوا على حصںشيرر(٢٦)، في رواق في دار عمّي، رحمه الله، وفي يد الاسماعيليّ سكّين والحاجّ في ىده سيف٠ فهحم عليه الباطنيّ بالسكين فصرىه هَمَّام بالسيف فوق عينيه فقطع قحف راسه ووقع محُه على الارص فانسط عليها وتطاير٠ فوصع هَمَّام السيف مں يده وتقيأ ما في نطنه لما لحقه مں نطر دلك المحّ

(٢٢) «اكراد» في الاصل

(٢٣) قابل الدهبي «المشبه» ٣٧٦

(٢٤) «سحں» في الاصل

(٢٥) أو «هُمام»

(٢٦) سىة ٩ ١١ او ١١١٤

من العيان(٢٧)· ولقيني في دلك اليوم واحد منهم في يده سيح وفي يدي سيف لي· فهحم عليّ بالسيح فصربته في وسط ساعده، والسيح في يده قبصته و نصله لاصق ساعده، فقطعقدّ اربع اصابع من نصل السيح وقطع الساعد من نصفه، فاىانه· و نقي اثر فم السيح في حدّ السيف· فرآه صابع عدنا فقال «انا أحرح هدا الثلم منه»· قلت «دعه كمـا هو· فهو احسن ما فيه» وهو الى الآن ادا رآه الانسان علم انه اثر سكّين

[٣٦ ق] ولهدا السيف حبر انا داكره

واحرى تقطع نعلاً ومرفقاً

كان للوالد، رحمه الله، ركابيّ يقال له حامع· فاغار(٢٨) الفرنح علينا· فلبس الوالد كراعده وحرح من داره ليركب، فما وحد حصانه· فوقف ساعة ينطره· فوصل حامع الركابيّ بالحصان، وقد ابطأ· فصربه الوالد بهدا السيف وهو في غمده مقلّد به فقطع الحهار والنعل القصَة وبستا(٢٩) كـان على الركابيّ وصوفيَة وعظم مرفقه· فرُميت يـده· فكـان، رحمه الله، يقوم به وباولاده بعده لتلك الصربة· وكـان السيف يسمَى الحامعيّ باسم دلك الركابي

صربتان تقلان رحلين

ومن صربات السيوف المدكورة ان اربعة احوه مـن اىناء الامير افتحار الدولة ابي الفوح بـن عمرون صاحب حصن ابـو قُبيس(٣) صعدوا اليه الى الحصن وهو نائم او نفوه بالحراح وما معه في الحصن غير انبه· ثم حرحوا وهم يطنُون انهم قد قتلوه يريدون انبه· وكان هدا افتحار الدولة قد آتاه الله من القوّه امرّا عظيماً· فقام مـن فراشه

(٢٧) «العسان، طبعه در نبورغ ص٨٦

(٢٨) «فغار» في الاصل

(٢٩) او «نُسا» ـ عبآه ولعلها «نُست» الفارسيه

(٣) «بوفيس» في الاصل موقعه غربي شيزر باقوت ١ ٣ ١

عريانا(٣١)، وسيفه معلّق في البيت معه، فاخذه وخرج اليهم. فلقيه واحد منهم وهو مقدّمهم وشجاعهم. فضربه افتخار الدولة بالسيف وقفز من مقابله خوفاً من ان يصل اليه بسكّين كانت في يده. ثم التفت اليه فوجده ملقىً قد قتله تلك الضربة. وصار الى الآخر ضربه قتله. وانهزم الاثنان الباقيان. فرميا انفسهما(٣٢) من الحصن. فمات احدهما ونجا الآخر

واتانا الخبر الى شيزر. فتقدّمنا من هنّأه بالسلامة. وطلعنا بعد ثلاثة ايّام الى حصن ابو قبيس لعيادته، فان اخته كانت عند عمّي عزّ الدين وله منها اولاد. فحدّثنا حديثه وكيف كان امره. ثم قال «من كتفي بحكّني، وما اصل اليه». ودعا غلاماً له لينظر ذلك الموضع ايّ شيء قرصه فيه. فنظر فاذا هو جرحٌ وفيه رأس دبّوس قد انكسر في ظهره، وما معه منه علم ولا احسّ به. فلمّا فاح حكّه

وكان من قوّة هذا الرجل انه كان يمسك رُسغَ رِجل البغل ويضرب البغل فلا يقدر يخلّص رِجله من يده. ويأخذ المسمار البطاريّ بين اصابعه ويغرّزه في دفّ خشب البلوط. وكان اكلُه مثل قوّته لا بل اعظم

بطولة النساء

قد ذكرت شيئاً من افعال الرجال وساذكر شيئاً من افعال النساء، بعد بساط اقدّمه

بالدون يعقب روجر في انطاكية

وذلك ان انطاكية كانت لسيطان من الافرنج يقال له روجار. فمضى يحجّ الى البيت المقدّس، وصاحب البيت المقدّس بغدوين

(٣١) «عريان» في الاصل

(٣٢) كذا في الاصل

الروس(٣٣) وهو رحل شيح، وروحار شاب٠ فقال لبغدوين «احعل بيني وبيك شرطاً٠ [٣٧ و] ان متُّ قبلك كانت انطاكية لك، وان متُّ قبلي كان البيت المقدّس لي»٠ فتعاقدا وتواثقا على ذلك

وقدّر الله تعالى ان نجم الدين إيلغاري بن(٣٤) أُرتُق، رحمه الله، لقي روحار بدابيت يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وخمس مائة(٣٥) فقتله(٣٦) وقتل جميع عسكره٠ ولم يدخل انطاكية منهم الا دون العشرين رجلاً٠ وسار بغدوين الى انطاكية فتسلّمها

وضرب مع نجم الدين مصافًا بعد اربعين يوماً٠ وكان إيلغاري(٣٧) اذا شرب النبيذ يحمر(٣٨) عشرين يوماً٠ فشرب بعد كسر الافرنج وقتلهم(٣٩) ودخل في الخُمار فما افاق حتى وصل الملك بغدوين الروس الى انطاكية بعسكره

طُغدَكين يقطع رأس روبرت

فكان المصافّ الثاني بينهما على السواء كسر بعض الفرنج بعض المسلمين وكسر بعض المسلمين بعض الفرنج، وقُتِل من هؤلاء وهاولاء جماعة٠ واسر المسلمون روبرت(٤٠) صاحب صهيون(٤١) وبلاطُنُس(٤٢) وتلك الناحيه، وكان صديقاً لاتابك طغدكين صاحب

(٣٣) Prince وهو بالدون الثاني

(٣٤) «العارى ابن» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٥) «حمدى» في الاصل والتاريخ يقابل ١٤ آب سنه ١١١٩

(٣٦) لم يُقتَل روحار في معركه دانيث بل في البلاط كما تقدم اعلاه

(٣٧) «العارى» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٨) «نحم» او «نحمر» في الاصل

(٣٩) يظهر ان الاشاره الى وقعه البلاط

(٤) Robert

(٤١) حصن بين اللاذقيه وحماه ابن الاثير في *Recueil* ١ ٧٢١ و ياقوت ٣ ٤٣٨ و Dussaud ١٤٩

(٤٢) Palatnus حنوبي صهيون ابن الاثير في *Recueil* ١ ٧٢٣ و ياقوت ١ ٧١

دمشق دلك الوقت، وكان مـع نجم الديـن إيلغاري لمّا احتمع مالافرنج في افامية حين وصل عساكر السرق مع برسق بن برسق. فقال هدا روبرت الابرص(٤٣) لاتابك طُغدكين «ما ادري ايّ شيء اصيفك. ولكن قد ابحتك بلادي. ا بعد حيلك تغير عليها و تأخد كلّما وحدوه. بلى لا يسبوا ولا يقتلوا. الدوابّ والمالُ والغلّة لهم يأخدون دلك مباحاً لهم». فلمّا اُسر روبرت، واتابك طُغدكين حاصر المصافّ في معونة ايلغاري، قطع روبرت على نفسه عسره آلاف(٤٤) دينار فقال ايلغاري «امصوا به الى اتابك لعلّه يفرّعه فريدنا في القطيعة». فمصوا به واتابك في خيمه يسرب. فلمّا رآه مقبلاًقام شمّر اذيال قبائه(٤٥) في البد واحد سيفه وخرج اليه صرب رقبته. فنفّد اليه إيلغاري يعتب عليه وقـال «نحن محتاجون الى دينار واحد للتركمان وهدا كان قد قطع على نفسه عسره آلاف دينار نفّدته اليك تفرعه لعلّه يريدنا في القطيعة، قتلته!» قال «انا ما أحسن افرّع الا كدا»

بالدوين يسامح عم أسامة بقطيعة

ثم ملك بغدوين الروس انطاكية. وكان لابي وعمّي، رحمهما الله، عليه حميل كسر(٤٦) حيث كان اسره نور الدولة بَلَك(٤٧)، رحمه الله. وصار بعد قتل بَلَك(٤٨) الى حسام الدين تِمُرْتاش بن إيلغاري، فحمله الينا الى شيزر ليوسّط ابي وعمّي رحمهما الله، معه(٤٩). فاحسنّا

(٤٣) كمال الدين في *Recueil* ٣ ٦٢١ و٦٢٩

(٤٤) «الف» في الاصل هنا واد ناه

(٤٥) «قباه» في الاصل هنا وفي ص١٥٩ س٦

(٤٦) «كسر» في الاصل

(٤٧) ابن بَهْرام واخو ايلغاري وصاحب مَلَـطـيـه (ملاطيّه في العامة) سمالي اوربا

(٤٨) ١٦ ايار سنه ١١٢٤

(٤٩) كمال الدين في Recueil ٣ ٦٤٣

اليه. فلمّا ملك كانت لصاحب انطاكية عليا قطيعة(٥٠) سامحنا بها. وصار امرنا في انطاكية نافذًا

ويتنازل عن انطاكية لابن ميمون

فهو فيما هو فيه، وعنده رسول [٣٧ ق] من اصحابنا، اذ وصل(٥١) مركب الى السُّويديَّة فيه صبي عليه اخلاق. فحضر عنده وعرّفه انه ابن ميمون. فسلّم انطاكية اليه وخرج منها ضرب خيمه في ظاهرها. فحلف لنا رسولنا الذي كان عنده انه (يعني الملك بغدوين) اشترى عليق خيله تلك الليلة من السوق، واهراء انطاكية ملأى(٥٢) من الغلّة. ورجع بغدوين الى القدس

ابن ميمون يهاجم شيزر

وخرج على الناس من ذلك الشيطان ابن ميمون بليَّة عظيمة. فنزل علينا يوماً من الايَام بعسكره. فضرب خيامه، ونحن قد ركبنا مقابلهم، فما خرج الينامنهم احد ونزلوا فيخيامهم. ونحن ركاب على شرف ننظرهم، وبيننا وبينهم العاصي. فنزل من بيننا ابن عمّي ليث الدولة يحيى بن مالك(٥٣) بن حُميد، رحمه الله، يسير الى العاصي. فظنّاه يسقي فرسه. فخاض الماء وعبر وسار نحو موكب للافرنج واقف بالقرب من خيامهم. فلمّا دنا منهم نزل اليه فارس واحد. فحمل كلُ واحد منهما على صاحبه، وراغ(٥٤) كلّ واحد منهما عن طعنة الآخر. فتسرعتُ انا واماثلي من الشباب ذلك الوقت اليهما. ونزل ذلك الموكب وركب ابن ميمون وعسكره وجاءوا كالسيل، وصاحبنا قد طُعنت فرسُه. فالتقت اوائل خيلنا

(٥٠) قسمتها اربعة آلاف دينار وضعها بكرد سنة ١١١
(٥١) سنة ١١٢٦
(٥٢) «ملا» في الاصل
(٥٣) «ملك» في الاصل
(٥٤) هكذا في الاصل و نحور «وراغ»

واوائل حيلهم. وفي احادنا رجل كرديّ يقال له ميكائيل(٥٥) قد جاء في اوائل خيلهم منهزماً، وخلفه فارس افرنجيّ قد لزّه. وللكردي بين يديه صحيح وصياح عال . فلقيه، فمال عن ذلك الفارسِ الكرديّ ورلّ عن طريقي وقصد خلاً لنا في جماعة على الماء واقفين مما يلينا، وانا خلفه اجهد ان يلحقه حصاني فاطعنه، فلا يلحقه، ولا الافرنجي يلتفت اليّ الا يريد تلك الخيل المجتمعة الى ان وصل الى خيلنا، وانا تابعه. فطعن اصحابي حصانه طعنة او نقه(٥٦)، واصحابه في اثره في جمع ما لنا بهم قوة. فرجع الفارس وحصانه في آخر رمقه التقاهم فردّهم جميعهم، وعاد، وهم معه. وكان الفارس ابن ميمون صاحب انطاكيه وهو صبي(٥٧) قد املأ قلبه من الرعب ولو ترك اصحابه هزمونا الى ان يُدخلونا المدينه

قصّة بُريكة

كلّ ذلك وامة عجوز يقال لها بُريكة(٥٨) مملوكه لرجل كرديّ من اصحابنا يقال له عليّ بن محبوب(٥٩) واقفة بين الخيل على شطّ النهر في يدها شربة تستقي بها وتسقي الناس. واكثر اصحابنا الذين كانوا على الشرف لمّا رأوا الافرنج مقبلين في ذلك الجمع اندفعوا نحو المدينة وتلك(٦٠) [٣٨ و] السيطانة واقفة لا يروعها ذلك الامر العظيم

وانا ذاكر شيئاً من امر هذه بُريكه، وان لم يكن موضعه، لكن الحديث شُجونٌ

(٥٥) «ميكائل» في الاصل
(٥٦) «او نقه» في الاصل
(٥٧) عمره ١٨ عشر عاماً
(٥٨) «بريكه» في الاصل
(٥٩) «محبوب» في الاصل
(٦٠) مكرره في راس الصفحه التاليه

كان مولاها عليّ يتديّن ولا يشرب الحمر ٠ فقال لوالدي يوماً «والله، ياامير، ما استحلّ آكل من الديوان ولا آكل الا من كسب نُريكة»٠ وهو الحاهل يطنّ ان دلك السحت الحرام احلّ من الديوان الدي هو مستأحر به

وكانت هده الأمة لها ولـد اسمه نصر رحل كبير [وكان] وكيلاً (٦١) في صيعه للوالد، رحمه الله، هو ورحل يقال له نقيّة(٦٢) من الأصيفر ٠ حدّثني قال «دحلتُ في الليل الى البلد اريد الدحول الى داري في شغل لي٠ فلمّا دنوت من البلد رأيت بين المقابر في ضوء القمر شحصاً ما هو آدميّ ولا هو وحش، فوقفت عنه وتهيّبته٠ ثم قلت في نفسي «ما انا نقيّة! ما هدا الحوف من واحد؟»، فوضعت سيفي ودَرَقتي(٦٣) والحرنة التي معي ومشيت قليلاً قليلاً، وانا اسمع لدلك الشحص رحلاً وصوتاً٠ فلمّا قربت منه وثبت عليه وفي يدي دشيّ فقبضته، وادا بها بُريكة مكشوفة الرأس قد نفشت شعرها وهي راكبة قصبة تصهل بين المقابر وتحول٠ قلت «ويحك! ايّ شيء تعملين(٦٤) في هدا الوقت هاهنا؟» قالت «اسحر»٠ قلت «قبّحك الله وقبّح سحرك وصنعتك من بين الصنائع!»»

امرأة تقاتل في شيرر

ادكرني قوّة نفس هده الكلبة بامور حرت للنساء في الوقعة(٦٥) التي كانت بيننا وبين الاسماعيليّة، وان لم تكن(٦٦) سواء

(٦١) «وكيلا» في الاصل

(٦٢) «نفه» في الاصل

(٦٣) ترس من حلد

(٦٤) «تعملى» في الاصل

(٦٥) نيسان سنة ٥٠٧ ١١١٤

(٦٦) «تكونوا» في الاصل عامية والمقصود وان لم تكن هده الساحرة ونساء شيرر سوا

لقي في ذلك اليوم مقدَّم القوم عَلْوان بن حرّار(٦٧) ابن عمّي سنان الدولة شبيب(٦٨) بن حامد بن حميد، رحمه الله، في الحصن، وهو تِبر بني وَلَدَتي وُلِدتُ انا وهو في يوم واحد يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى(٦٩) الآخرة سنة ثمان وثمانين واربع مائة(٧٠) الا انه ما باشر الحرب [حتى] ذلك اليوم، وانا كنت قطبها. فاراد عَلْوان اصطناعه. فقال له «ارجع الى بيتك. احمل منه ما تقدر عليه وروح(٧١) لا تُقتَل، فالحصن قد ملكناه». فرجع الى الدار وقال «من كان له شيء يعطيني اياه». (يقول ذلك لعمّته وبنات عمّه). فكلٌّ منهم اعطاه شيئاً. فهو في ذلك واذا انسان قد دخل الدار عليه زردية وخوذة ومعه سيف وترس. فلمّا رآه ايقن بالموت. فوضع الخوذة، واذا هي ام ابن عمه ليث الدولة يحيى، رحمه الله. فقالت «ايّ شيء تريد تعمل؟» قال «آخذ ما قدرت عليه، وانزل من الحصن بحبل، واعيش في الدنيا». قالت «بئس ما تفعل. تُخلّي بنات عمّك واهلك للحلاجين وتروح؟ ايّ عيش يكون [٣٨ ق] عيشك اذا افتضحت في اهلك وانهزمت عنهم؟ اخرج قاتلْ عن اهلك حتى تُقتَل بينهم. فعل الله بك وفعل». ومنعته، رحمها الله، من الهرب. وكان من الفرسان المعدودين بعد ذلك

والدة أسامة في القتال

وفي ذلك اليوم فرّقت والدتي، رحمها الله، سيوفي وكزاغنداتي. وجاءت الى اختٍ لي كبيرة السنّ وقالت «البسي خفّك وازارك». فلبست واخذتها الى روشن في داري يشرف على الوادي من الشرق اجلستها

(٦٧) «حرار» في الاصل وربما كانت «حرّار» «حرّار» «حرّار» «حرّار» «حرار» «حرّار» «حرّار» «حرَار» انظر الذهبي «المشتبه» ٩٩ — ١

(٦٨) «سبب» في الاصل

(٦٩) «حمدى» في الاصل

(٧٠) ٤ نوفمبر سنة ١٠٩٥ ولكن هذا التاريخ يقع يوم الاربعاء

(٧١) «ورَوح» في الاصل عامية

عليه وحلست الى باب الروس• وىصرىا الله سحانه عليهم• وحئت الى داري اطلب شيئاً مں سلاحي ما وحدت الا حهارات السيوف وعيبَ الكراعدات• قلت «ياامّي، اين سلاحي؟» قالت «يا ىُىيّ، اعطيت السَلاح لمں يقاتل عنّا• وما طىىتك سالماً» قلت «فأحتي اي سيء تعمل هاهنا؟» قالت «يا ىُىيّ، احلسُها على الروس وحلست ىرىّا منها• اذا رأيت الباطىيّة قد وصلوا الينا دفعتها رميتها الى الوادي فأراها قد ماتت ولا اراها مع الفلّاحين والحلّاحين مأسورة»• فسكرتُها على دلك وشكرىها الاحت وحرىها حيراً• فهده النحوه اشدّ من نحوات الرحال

عحور تصرب بالسيف

وتلثّمت في دلك اليوم عحور من حواري(٧٢) حدّي الامير ابي الحسن عليّ، رحمه الله، يقال لها فُنون(٧٣)• فاحدت سيفاً وحرحت الى القتال وما زالت كدلك حتى صعدنا وتكاثرنا عليهم

وما يىكر للنساء الكرام الانفة والنحوه والاصابة في الرأي

حدّة أُسامة تنصحه

ولقد حرحت يوماً من الايام مع الوالد، رحمه الله، الى الصيد• وكان متعوفاً بالصيد عنده من البزاة والشواهين والصقور والفهود والكلاب الزعاريّة ما لا يكاد يجتمع عند غيره، ويركب في اربعين فارساً من اولاده ومماليكه كلٌّ منهم حسن بالصيد عارف بالقنص وله ىسرر متصيّدان يوماً يركب الى غربيّ البلد الى ازوار وانهار فيتصيّد الدرّاج وطير الماء والارانب والغزلان ويقتل الخنازير، ويوماً(٧٤) يركب الى الجبل قبليّ البلد يتصيّد الحجل والارانب فنحن في الجبل يوماً وقد حانت صلاة العصر فنزل ونزلنا نصلّي فرادَى• واذا غلام قد جاء يركض قال

(٧٢) «حوار» في الاصل

(٧٣) قابل الذهبي ٣٩٧

(٧٤) «ويوم» في الاصل

«هـذا الاسد!» فسلّمت قلب الوالد، رحمه الله، لكيلا يمنعني مـن قتال الاسد. وركبت ومعي رمحي فحملت عليه. فاستقبلني وهدر. فحاص بي الحصان ووقع الرمح من يدي لثقله وطردني شوطاً جيّداً. ثم رجع الى سفح الجبل وقف عليه وهو من اعظم السباع كأنه قنطرة٭ جائع٭. وكلّما دنونا منه نزل من الجبل طرد الخيل وعاد الى مكانه. وما ينزل نزلة الا يؤثّر [٣٩ و] في اصحابنا

ولقد رأيته ركب مع رجل من غلمان عمّي يقال له سنكير غزره(٧٥) على وركي حصانه وخرق بمخالبه ثيابه وراناته وعاد الى الجبل. فما كان لي فيه حيلة الا ان صعدت فوقه في سفح الجبل، ثم حدّرت حصاني عليه فطعنته نفّذت الرمح فيه وتركته في جانبه. فتقلّب الى اسفل الجبل والرمح فيه. فمات الاسد، وانكسر الرمح، والوالد، رحمه الله واقف يرانا ومعه اولاد اخيه عزّ الدين ينظرون ما يجري، وهم صبيان

وحملنا الاسد ودخلنا البلد العشاء، واذا جدّتي لابي، رحمهما الله، قد جاءتني فـي الليل وبين يديها شمعة ـ وهي عجوز كبيرة قد قاربت مـن العمر مائة سنة. فما شككت انها قد جاءت تهنّئني بالسلامة وتعرّفني مسرتها بما فعلت. فلقيتها وقبّلت يدها فقالت لي بغيظ وغضب «يا بنيّ، ايش(٧٦) يحملك على هذه المصائب التي تخاطر فيها بنفسك وحصانك وتكسر سلاحك ويزداد قلب عمّك منك وحشة ونفوراً؟» قلت «ياستّي، انما اخاطر بنفسي فـي هذا ومثله لاتقرّب الـى قلب عمّي». قالت «لا، والله، ما يقرّبك هذا منه وانه يزيدك منه بُعداً ويزيده منك وحشة ونفوراً». فعلمت انها، رحمها الله، نصحتني فـي قولهـا وصدقتني. ولعمري انّهنّ امّهات الرجال

ولقد كانت هذه العجوز، رحمها الله، من صالحي المسلمين من الدين والعفة والصوم والصلاة على اجمل طريقة. ولقد حضرتها ليلة النصف

(٧٥) «عرره» في الاصل

(٧٦) عامية أي شيء

من شعبان وهي تصلّي عند والدي، وكان، رحمه الله، من احسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلّي بصلاته٠ فاشفق عليها فقال «يا أُمّي، لو جلست صلّيتِ من قعود»٠ قالت «يا بُنيّ، بقي لي من العمر ما اعيش الى ليلة مثل هذه الليلة؟ لا، والله، ما اجلس»٠ وكان الوالد قد بلغ السبعين سنة(٧٧) وهي قد شارفت المائة سنة، رحمها الله

مسلمة تقتل زوجها

وشاهدت من نحوات النساء عجباً٠ وهو ان رجلاً من اصحاب خلَف ابن مُلاعب يقال له عليّ بن ابي الزبداء(٧٨) كان قد رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة٠ فكان ينهض مع ابن مُلاعب ينظر القوافل على مسيره يوم كامل

ولقد حدّثني رجل من رفاقه يقال له سالم العجاريّ انتقل الى خدمة والدي بعد ما قُتل خلَف بن مُلاعب(٧٩) قال «نهضنا يوماً وارسلنا عليًّا(٨٠) بن ابي الزبداء بكرة [٣٩ ق] بديدن لنا٠ فجاءنا وقال "ابشروا بالغنيمة! هذه قافلة كبيرة مقبلة"٠ فنظرنا ما رأينا شيئاً٠ فقلنا "ما نرى قافلة ولا غيرها"٠ قال "والله، انّي لأرى القافلة وقدّامها فَرسانِ معيّان(٨١) ينفضان معارفهما"٠ فاقمنا في الكمين الى العصر٠ ووصلنا القافلة والفرسان المعيّان قدّامها فخرجنا اخذنا القافلة»

وحدّثني سالم العجائريّ قال «نهضنا يوماً وصعد عليّ بن ابي الزبداء بديدن(٨٢) لنا٠ فنام وما درى الا وقد اخذه تركيّ من سريّة

(٧٧) كانت سنة ولادته ٤٦ او ٦٨ ام

(٧٨) «الزبدا» في الاصل

(٧٩) سنة ٦ ١١ ابن الاثير في *Recueil* ١ ٢٣٢ — ٣٥ وابو الفدا في *Recueil* ١ ٨ — ٩

(٨٠) «على» في الاصل

(٨١) «معسان» في الاصل «معسان»؟ وادناه «المعسان»

(٨٢) راقب فارسه

اتراك باهصه وقالوا «اي شيء انت؟» قال «انا رحل صعلوك قد اكريت حملي لرحل من التحار في القافلة· اعطي(٨٣) يدك انك تعطيني حملي حتى ادلكم على القافلة»· فاعطاه مقدمهم يده· فمسى بين ايديهم الى ان اوصلهم النا الى الكمين· فحرحنا عليهم احدناهم· وتعلّق هو بالذي كان بين يديه احد فرسه وعدّته· وغنمنا منهم غنيمة حسنة»

فلمّا قُتل ابن مُلاعب انتقل عليّ [عبد] ابن ابي الريداء الى حدمة نوفيل(٨٤) الافرنجي صاحب كفرطاب· فكان ينهض بالافرنج الى المسلمين نعمهم ويبالغ في اذى المسلمين واخذ مالهم وسفك دمهم حتى قطع سبل السابرين· وله امرأة معه بكفرطاب تحت يدي الافرنج تنكر عليه فعله وتنهاه فلا ينتهي· فنفذت احضرت سيباً لها من ضيعة الضياع، واطنّه اخاها، واخفته في البيت الى الليل· واجتمعت هي وهو على زوجها عليّ عبد ابن ابي الرنداء فقتلاه، واحتملا بجميع مالها· واصبحت عندنا بشيزر وقالت «غضبتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر»· فاراحت الناس من هذا الشيطان· ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في الكرامة والاحترام

افرنجية تجرح مسلماً

وكان في امراء مصر رجل يقال له بدى(٨٥) الصلحيّ في وجهه ضربتان الواحده من جانبه الايمن الى حدّ شعر رأسه والاخرى من جانبه الايسر الى حدّ شعر رأسه· فسألته عنهما فقال «كنت انهض وانا شاب من عسقلان، وانا راجل فنهضت يوماً الى طريق بيت المقدس اريد حجّاج الافرنج· فصادفنا قوماً منهم· فلقيت رجلاً معه قطاريّة وخلفه امرأته معها كوز حسب فيه ماء· فطعنّي الرجل هذه الطعنة الواحدة وضربته

(٨٣) «اعطني» في الاصل

(٨٤) «بوسل» في الاصل وقد وردت اعلاه ص٧٣ في الاصل «سو بل»

(٨٥) «بدى» في الاصل قابل اعلاه ص٤٢ ح٢١

قتلته· فمشت(٨٦) اليّ امرأته وضربتني بالكوز الحسب في وجهي
حرحتني هذا الحرح الآخر [٤٠ و] فوسما وجهي

شيزرية تأسر ثلاثة افرنج

ومن إقدام النساء ان حماعة من الافرنج الححّاج حجّوا وعادوا الى رفَنِيّة، وكانت ذلك الوقت لهم، وحرحوا منها يريدون أفامية· فتاهوا في الليل وحاءوا الى شيزر وهي اذ ذاك بغير سور· فدخلوا المدينة وهم في نحو من سبعمائة ثمان مائة رجال و نساء وصبيان· وكان عسكر شيزر قد حرج مع عمّي(٨٧) عزّ الدين ابي العساكر سلطان وفخر الدين ابي كامل شافع، رحمهما الله، ليلقيا عروسين قد تزوّجاهما من بني الصوفيّ الحلبيّس احتس(٨٨)· ووالدي رحمه الله في الحصن· فحرح رجل من المدينه في شغل له في الليل فرأى افرنجياً· فعاد احد سيفه وحرج قتله· ووقع الصياح في البلد· وحرج الناس فقتلوهم وغنموا ما كان معهم من النساء والصبيان والفضّة والبهائم

وفي شيزر امرأة من نساء اصحابنا يقال لها نَضره(٨٩) بنت بُوررماط حرجت مع الناس احدت افرنجياً ادحلته بيتها، وحرجت احدت آخر ادحلته بيتها، وعادت حرجت احدت آخر· فاجتمع عندها ثلاثه من الافرنج· فاحدت ما كان معهم وما صلح لها من سلبهم وحرجت دعت قوماً من جيرانها قتلوهم

ووصل عمَاي والعسكر في الليل، وقد كان انهزم من الافرنج ناس وتبعهم رجال من شيزر فقتلوهم في ظاهر البلد· فصارت الخيل تعثر(٩٠)

(٨٦) «فمسب» في الاصل

(٨٧) «عماى» في الاصل

(٨٨) «احواب» في الاصل

(٨٩) «نصره» في الاصل

(٩٠) «تعبر» في الاصل هنا وفي السطر التالي

في الليل في القتلى، ولا يدرون ماذا تغير، حتى ترحَّل احدهم وابصر القتلى في الظلام· فهالهم ذلك واعتقدوا ان البلد قد كُبس

افرنجية تؤثر ان تكون زوجة اسكاف

وكانت عينية ساقها الله عزّ وجلّ الى الناس· فصار الى دار والدي، رحمه الله، عدّة من الجواري(٩١) من سبيهم· وهم، لعنهم الله، جنس ملعون لا يأ لفون لغير جنسهم· فرأى منهم جارية مليحة شابَّة فقال لقهرمانة داره «ادخلي هذه الحمَّام، واصلحي كسوتها، واعملي شغلها للسفر»· ففعلت· وسلَّمها الى بعض خدّامه وسيَّرها الى الامير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك(٩٢) صاحب قلعة جعبر(٩٣)، وكان صديقه، وكتب اليه يقول «غنمنا من الافرنج غنيمة قد نفَّذتُ لك سهماً منها»· فوافقته واعجبتــه واتَّخذهـا لنفسه· فولدت لـه ولدًا سمَّـاه [٤ ق] بدران(٩٤)· فجعله ابوه وليّ عهده· وكبر ومات والده· وتولّى بدران البلد والرعيَّة وامُّه الآمرة الناهية· فواعدت قوماً وتدلّت من القلعة بحبل ومضى بها اولئك الى سروج(٩٥)، وهي اذ ذاك للافرنج، فتزوّجت بافرنجي اسكاف وابنها صاحب قلعة جعبر(٩٦)

افرنجي يتنصَّر بعد اسلامه

وكان في اولئك(٩٧) الذين صاروا الى دار والدي امرأة عجوز ومعها بنت لها امرأة شابَّة حسنة الخلقة وابن مستدّ· فاسلم الابن وحسن اسلامه فيما يُرى من صلاته وصومه· وتعلَّم الترخيم من مرخِّم كان

(٩١) «الجوار» في الاصل
(٩٢) «ملك» في الاصل والتي قبلها «مالك» في الاصل
(٩٣) على الفرات
(٩٤) ذكره كمال الدين في *Recueil* ٣ ٧٢٨
(٩٥) الى الجنوب الغربي من اورفا قابل ابن الاثير *Recueil* ١ ٧ ٢
(٩٦) «قلعه جعبر» في الاصل
(٩٧) «ذلك» في الاصل

يرحـّـِم دار والدي٠ فلمـّـا طال مقامه روّحه الوالـد بامرأة مـن فوم صالحين وقام له بكلّ ما احتاجه لعُرسه و بيه٠ فررق مها ولدين وكرا وصار لكلّ واحد مهمـا حمس ستّ سين٠ والعلام راؤول(٩٨) ابوهما مسرور بهما٠ فاحدهما وامّهما وما فـي بيه واصبح بافامية عد الافريح وتنصَّر هو واولاده عد الاسلام والصلاه والدين٠ فالله تعالى يطهّر الدبيا منهم

(٩٨) «والعلام راوول» في الاصل

٨ ـ طبائع الافرنج واخلاقهم

سبحان الخالق البارئ اذا خبر الانسان امور الافرنج سبّح الله تعالى وقدّسه ورأى بهائم(١) فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في البهائم فضيلة القوّة والحمل. وسأذكر شيئاً من امورهم وعجائب عقولهم

لاعقل لهم

كان في عسكر الملك فلك بن فلك فارس محتشم افرنجي قد وصل من بلادهم يحج ويعود. فانس بي وصار ملازمي يدعوني «اخي» وبيننا المودّة والمعاشرة. فلمّا عزم على التوجّه في البحر الى بلاده قال لي «يااخي، انا سائر الى بلادي. وأريدك تنفّذ معي ابنك (وكان ابني(٢) معي وهو ابن اربع عشرة سنة) الى بلادي يبصر الفرسان ويتعلّم العقل والفروسيّة. واذا رجع كان مثل رجل عاقل». فطرق سمعي كلام ما يخرج من رأس عاقل. فان ابني لو أُسر ما بلغ به الاسرُ اكثر من رواحه الى بلاد الافرنج. فقلت «وحياتك، هذا الذي كان في نفسي. لكن منعني من ذلك ان جدّته تحبّه وما تركته يخرج معي حتى استحلفتني اني اردّه اليها». قال «وامّك تعيش؟» قلت «نعم». قال «لا تخالفها»

عجائب طبّهم

ومن عجيب طبّهم ان صاحب المنيطره(٣) كتب الى عمّي يطلب منه انفاذ طبيب يداوي مرضى من اصحابه. فارسل اليه طبيباً نصرانياً يقال

(١) «بهاىما» في الاصل

(٢) ابو الفوارس مُرْهَف وكان والده اسامه مشغفا به

(٣) قرب افقه عند منبع نهر ابراهيم في شمالي لبنان

له بات(٤)٠ فما عاب عسرة ايّام حتى عاد فقلنا(٥) له «ما اسرع ما داوت المرصى!» قال «احصروا عندي فارساً قد طلعت في رحله [٤١ و] دمّلة وامرأة قد لحقها نشاف(٦)٠ فعملت للفارس لُبيحة ففتحت الدمّلة وصلحت٠ وحميتُ المرأة ورطبت مراجها٠ فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم ‹هذا ما يعرف سي(٧) يداويهم›٠ وقال للفارس ‹ايّما احبُّ اليك تعيس برحل واحدة او تموت برحلين؟› قال ‹اعيس برحل واحده›٠ قال ‹احصروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعا›٠ فحصر الفارس والفأس، وانا حاصر، فحطّ ساقه على قرمة حسب وقال للفارس ‹أضرب رحله بالفأس ضربة واحدة اقطعها›٠ فضربه، وانا اراه، ضربة واحدة ما انقطعت٠ ضربه ضربة ثانية فسال مخّ الساق، ومات من ساعته٠ وانصر المرأه فقال ‹هذه امرأة في رأسها سيطان قد عشقها احلقوا سعرها›٠ فحلقوه٠ وعادت تأكل من مأكلهم(٨) الثوم والخردل٠ فزاد بها النشاف فقال ‹السيطان قد دخل في رأسها›٠ فأخذ الموسى وسقّ رأسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكّه بالملح، فماتت في وقتها٠ فقلت لهم ‹بقي لكم اليّ حاجة؟› قالوا ‹لا›٠ فجئت وقد تعلّمت من طبّهم ما لم اكن اعرفه»

وقد شاهدت من طبّهم خلاف ذلك٠ كان للملك خازن من فرسانهم يقال له برناد(٩)، لعنه الله، من العن الافرنج وارجسهم فرمحه حصان في ساقه فعمّلت عليه رحله وفتحت في اربعة عشر(١٠) موضعاً٠ والجراح

(٤) «باب» في الاصل

(٥) مكرّرة

(٦) «نُشاف» في الاصل ولعلها «بِساف» فارسيّة بمعنى البله

(٧) عاميه

(٨) «واكلهم» في الاصل عاميه

(٨) «برناد» في الاصل Bernard

(١) «اربع عسره» في الاصل

كلّما حتم موضع فُتح موضع(١١)، وانا ادعو بهلاكه. فجاءه طبيب افرنجي فازال عنه تلك المراهم وجعل يغسلها بالخلّ الحاذق. فختمت تلك الجراح وبرأ وقام مثل الشيطان

ومن عجب طبّهم انه كان عندنا بشيزر صانع يقال له ابو الفتح له ولد قد طلع في رقبته خنازير. وكلّما ختم موضع فتح موضع فدخل انطاكيه في شغل له وابنه معه. فرآه رجل افرنجيّ فسأله عنه فقال «هو ولدي». قال «تحلف لي بدينك ان وصفتُ لك دواءً يُبرئُه لا تأخذ من احد تداويه به اجره حتى اصف لك دواء يبرئُه؟» فحلف. فقال له «تأخذ له اشناناً(١٢) غير مطحون تحرقه وترُبّه(١٣) بالزيت والخلّ الحاذق وتداويه به حتى يأكل الموضع. ثم خذ الرصاص المحرّق وربّه(١٤) بالسمن ثم داوِه(١٥) به فهو يبرئُه» فداواه بذلك فبرأ، وختمت تلك الجراح وعاد الى ما كان عليه من الصحّة

وقد داوَيتُ بهذا الدواء من طلع فيه هذا الداء فنفعه وازال ما كان [٤١ ق] يشكوه

افرنجي يعترض اُسامه في صلاته

فكلُّ من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقاً من الذين قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين

فمن جفاء اخلاقهم، قبّحهم الله، انني كنت اذا زرت البيت المقدّس دخلت الى المسجد الاقصى وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة فكنت اذا دخلت المسجد الاقصى وفيه الداويّة(١٦)، وهم اصدقائي،

(١١) «موضعا فتح موضعا» في الاصل
(١٢) «اشنان» في الاصل وهو نبات
(١٣) «تربه» في الاصل
(١٤) «وربه» في الاصل
(١٥) «داويه» في الاصل
(١٦) Templars

يدخلون لي ذلك المسجد الصغير اصلّي فيه. فدخلته يوماً فكبّرت ووقفت في الصلاه. فهجم عليّ واحد من الافرنج مسكني وردّ وجهي الى الشرق وقال «كذا صلّ!(١٧)» فتبادر اليه قوم من الداوية اخذوه اخرجوه عنّي. وعدت انا الى الصلاه. فاغتفلهم وعاد هجم عليّ ذلك بعينه(١٨) وردّ وجهي الى الشرق وقال «كذا صلّ!(١٩)» فعاد الداوية دخلوا اليه واخرجوه، واعتذروا اليّ، وقالوا «هذا غريب وصل من بلاد الافرنج في هذه الايّام، وما رأى من يصلّي الى غير الشرق». فقلت «حسبي من الصلاة!» فخرجت فكنت اعجب من ذلك الشيطان وتغيير وجهه ورعدته وما لحقه من نظر الصلاة الى القبلة

الله طفلاً

ورأيت واحداً منهم جاء الى الامير معين الدين، رحمه الله، وهو في الصخرة(٢٠) فقال «تريد تبصر الله صغير؟(٢١)» قال «نعم». فمشى بين ايدينا حتى ارانا(٢٢) صورة مريم والمسيح عليه السلام(٢٣) صغير في حجرها فقال «هذا الله صغير» ـ تعالى الله عما يقول الكافرون علوّاً كبيراً

ليس للافرنج غيرة جنسية

وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة. يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدّث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث. فاذا طولت عليه خلاها مع المتحدّث ومضى

(١٧) «صلى» في الاصل
(١٨) «بعينه» في الاصل
(١٩) «صلى» في الاصل
(٢٠) جامع الصخرة في اورسليم
(٢١) «صغير» في الاصل وصوابه «صغيراً»
(٢٢) «اورانا» في الاصل عامية
(٢٣) «السلم» في الاصل

ومما ساهدت من دلك اني كنت اذا جئت الى نابلس انزل في دار رجل يقال له معز داره عمارة المسلمين لها طاقات تفتح الى الطريق. ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل افرنجي يبيع الخمر للتجار يأخذ في قنينة من النبيذ وينادي عليه ويقول «فلان التاجر قد فتح بتية من هذا الخمر من اراد منها شيئاً فهو في موضع كذا وكذا». واجرته عن ندائه(٢٤) النبيذ الذي في تلك القنينة فجاء يوماً ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش فقال له «اي شيء ادخلك الى عند امرأتي؟» قال «كنت تعبان [كذا] دخلت استريح». قال «فكيف دخلتَ الى فراشي؟» قال «وجدت فراشاً مفروشاً نمت فيه». قال «والمرأة نائمة معك؟» قال «الفراش لها. كنت اقدر امنعها من فراشها؟» [٤٢ و] قال «وحق ديني، ان عدتَ فعلت كذا تخاصمت انا وانت». فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته

ومن ذلك انه كان عندنا رجل حمّامي يقال له سالم من اهل المعرّة(٢٥) في حمّام لوالدي، رحمه الله. قال «فتحتُ حمّاماً في المعرّة اتعيّش فيها. فدخل اليها فارس(٢٦) منهم، وهم ينكرون على من يتدّ في وسطه المئزر في الحمّام، فمدّ يده فجذب مئزري من وسطي رماه. فرآني، وانا قريب عهد بحلق عانتي، فقال ‹سالم›. فتقرّبتُ منه. فمد يده على عانتي وقال ‹سالم، جيّد! وحق ديني اعمل لي كذا›. واستلقى على ظهره وله مثل لحيته في ذلك الموضع. فحلقته فمرّ يده عليه فاستوطأه فقال ‹سالم، بحق دينك اعمل للداما› (والداما بلسانهم الستّ) يعني امرأته. وقال لغلام له ‹قل للداما تجيء›. فمضى الغلام احضرها وادخلها. فاستلقت على ظهرها وقال ‹اعمل كما عملت لي›، فحلقت ذلك

(٢٤) «واجرته عن نداته» في الاصل «واجرته عن نداته» طبعه درنبورغ ص ١ اما لاندبرغ ص٣٨ فيقول انه يعني ساعتين في جرس فراءتها فلم يهتدِ اليها

(٢٥) معرّة النعمان

(٢٦) «فارسا» في الاصل

السعر وروحها قاعد يطر بي٠ فشكر بي ووهبي حق ّ حدمتي»

فانظروا الــى هدا الاخلاف العطيم مــا فيهم عيرة ولا محوة وفيهم السجاعة العطيمة، وماتكون الشجاعة الامن النحوه والانفة من سوء الاحدوثة

ومما نهارب هدا اني دحلت الحمّام بمدينة صور فحلست في حلوة فيها٠ فقال لي بعض علمايي في الحمّام «معنا امرأه»٠ فلمّا حرحتُ حلستُ على المصاطب وادا التي كانت في الحمّام قد حرحت وهي مقابلي قد لبست ثيابها وهي واقفة مع ابيها ولم اتحقق انها امرأه٠ فقلت لواحد من اصحابي «بالله انصرْ هده امرأة هي»٠ وانا اقصد ان يسأل عنها٠ فمصى، وانا اراه، رفع ديلها وطلّع(٢٧) فيها٠ فالتفت اليّ ابوها وقال «هده ابتي، ماتت امّها وما لها من يعسل رأسها٠ فادحلتها معي الحمّام عسلتُ رأسها»٠ قلت «حيّد [ما] عملتَ٠ هدا لك فيه ثواب»

عجائب طبّهم ايضاً

ومن عجيب طبّهم ما حدّثنا به كليام دبور(٢٨) صاحب طبريّة وكان مقدّماً فيهم٠ واتّفق انه رافق الامير معين الدين(٢٩)، رحمه الله، من عكّا الى طبرية وانا معه٠ فحدّثنا في الطريق قال «كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت٠ فجئنا الى قسٍّ كبير من قسوسنا قلنا ‹تجيء معنا حتى تنصر الفارس فلاناً؟(٣٠)› قال ‹نعم›٠ ومشى معنا ونحن نتحقّق انه ادا حطّ يده عليه عوفي٠ فلمّا رآه قال ‹اعطوني شمعاً(٣١)›٠ فاحصرنا له قليل شمع، فليّنه وعمله مثل عُقَد الاصبع٠ وعمل كلّ واحدة في جانب انفه٠ فمات الفارس٠ [٤٢ ق]

(٢٧) عامه بمعنى تطلّع

(٢٨) «دبور» في الاصل Guillaume de Bures (William of Bures)

(٢٩) انر

(٣٠) «فلان» في الاصل

(٣١) «سمع» في الاصل

فقلنا لـه «قد مات» قـال «نعم. كـان يتعدّب سددتُ انه حتى يموت ويستريح،»

دع دا وعَدّ القولَ في هَرِمِ(٣٢)

ساق افرنجي

برجع من حديث محاريهم(٣٣)

حصرت نطريّة في عد من اعيادهم، وقد حرج الفرسان يلعبون بالرماح وقـد حرج معهم عحوران فانيان(٣٤) اوقفوهما فـي رأس الميدان، وتركوا في رأسه الآخَر حرّ برّا سمطوه وطرحوه على صحرة. وسابقوا بين العحوزين ومـع كلّ واحدة منهن سريّة مـن الخيّالة يشدّون(٣٥) منها، والعحائز يقمن ويقعن على كلّ حطوة، وهم يضحكون، حتى سقت واحدة منهن. فاحدت دلك الحرير في سقها

محاكمات افرنجية

وشهدتُ يوماً بنابلس وقد احضروا اثنين للمبارزة. وكان سب دلك ان حراميّة من المسلمين كسروا ضيعة من ضياع نابلس فاتّهموا بها رجلاً مـن الفلاحين وقالوا «هو دل الحرامية على الضيعة». فهرب. فقدّم الملك(٣٦)فقبض اولاده. فعاد اليه وقال «انصفـني. انا ابارز الدي قال عنّي اني دللت(٣٧) الحرامية على القرية». فقال الملك لصاحب القرية المُقطع(٣٨) «احضر من يبارزه». فمضى الى قريته وفيها رجل حدّاد فاحده وقال لـه «تبارز» اشفاقاً مـن المُقطع علـى فلاحيه لا يُقتَل

(٣٢) من بيت للشاعر الجاهلي زُهير بن ابي سُلمى المزني

(٣٣) «محاربهم» في الاصل

(٣٤) «فانيان» في الاصل

(٣٥) «يسدون» في الاصل

(٣٦) فلك Fulk ملك اورسلم ١١٣١ ــ ٤٢

(٣٧) «دلست» في الاصل عامه

(٣٨) صاحب الاقطاع قابل ص ١١ س١٨

منهم واحد فتجرّب فلاحته. فشاهدتُ هذا الحدّاد، وهو شابّ قويّ الا انه قد انقطع، يمشي ويجلس يطلب ما يشربه، وذلك الآخر الذي طلب البراز شيخ الا انه قويّ النفس يزحر وهو غير محتفل بالمبارزة. فجاء السكند(٣٩)، وهو شحنة البلد، فاعطى كلّ واحد منهما العصا والترس، وجعل الناس حولهم حلقة

والتقيا(٤٠) فكان الشيخ يلزّ ذلك الحدّاد، وهو يتأخر حتى يُلجئه الى الحلقة، ثم يعود الى الوسط. وقد تضاربا حتى بقيا كعمود الدم. فطال الامر بينهما والسكند يستعجلهما وهو يقول بالعجلة وبقع الحدّادَ إدمانه بضرب المطرقة. واعيى ذلك الشيخ فضربه الحدّاد، فوقع، ووقعت عصاه تحت ظهره. فبرك عليه الحدّاد يداخل اصابعه في عينيه ولا يتمكّن من كثرة الدم من عينيه. ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله. فطرحوا في رقبته في الوقت حبلاً وجرّوه شنقوه. وجاء صاحب الحدّاد اعطاه عمارته واركبه خلفه واخذه وانصرف

وهذا من جملة فقههم [٤٣ و] وحكمهم لعنهم الله

ومضيت مرّة مع الامير معين الدين، رحمه الله، الى القدس. فنزلنا نابلس. فخرج الى عنده رجل اعمى، وهو شابّ عليه ملبوس جيّد مسلم، وحمل له فاكهة وسأله في ان يأذن له في الوصول الى خدمته الى دمشق ففعل. وسألت عنه فخُبرتُ ان امّه كانت مزوّجة لرجل افرنجيّ، فقتلته. وكان ابنها يحتال على حجّاجهم ويتعاون هو وامّه على قتلهم، فاتهموه بذلك وعملوا له حكم الافرنج جلّسوا بتّيّة عظيمة وملأوها(٤١) ماءً وعرضوا عليها دفّ خشب، وكتّفوا ذلك المُتهم وربطوا في كتافه حبلاً ورموه في البتّيّة ــ فان كان بريّاً غاص في الماء فرفعوه بذلك الحبل لا يموت في الماء، وان كان له ذنب ما يغوص في الماء. فحرص

(٣٩) viscount
(٤٠) «والتقوا» في الاصل
(٤١) «وملوها» في الاصل

دلك لمّا رموه في الماء ان يعوص، فما قدر. فوحب عليه حكمهم، لعنهم الله، فكحلوه

ثم ان الرحل وصل الى دمشق فاحرى له الامير معين الدں، رحمه الله، ما يحتاحه وقال لعص علمائه «تمصي به الى برهان الدين البلحي، رحمه الله، تقول له «ىأمر من يُقرىءُ هدا القرآن وشيئاً من الفقه»». فقال له دلك الاعمى «النصر والعلى! ما كان هدا طنّي!» قال «وما طنتَ بي؟» قال «تعطيني الحصان والىعلة والسلاح وتحعلني فارساً». قال «ما اعتقدتُ ان اعمى يصير من الفرسان»

افرىحي لا يأكل الحىرىر

ومں الافرىح قوم قد سلَدوا وعاسروا المسلمس فهم اصلح من القرىسي العهد ىىلادهم، ولكنّهم شادّ لا يقاس عليه

فمں دلك اىي ىعَدت صاحىاً الى اىطاكيه في سعل. وكان بها الرئيس تادرس ىں الصفّي(٤٢) وبيىي وبيىه صداقة، وهو ىافد الحكم في اىطاكيه. فقال لصاحبي يوماً «قد دعاىي صديق لي من الافرىح. تحيء معي حتى ترى رسّهم». قال «فمصيت معه فحئىا الى دار فارس من الفرسان العتق الدين حرحوا في اوّل حروح الافرىح، وقد اعفي من الديوان والحدمة، وله ىاىطاكيه ملك يعيس منه. فاحصر مائدة حسنة وطعاماً في عاية النطافة والحودة. ورآىي متوقّفاً عن الاكل، فقال «كُل طيّب النفس. فاىا ما آكل من طعام الافرىح ولي طبّاحات مصريّات ما آكل الا من طبيحهن. ولا يدحل داري لحم حىرير». فاكلتُ واىا محترز واىصرفىا

فاىا ىعد محتارٌ في السوق وامرأة افرىحية تعلّقت بي وهي تىرىر ىلساىهم وما ادري ما تقول. فاحتمع عليّ حلق من الافرىح، فايقىت ىالهلاك. واذا دلك الفارس قد اقىل فرآىي. فحاء فقال لتلك المرأة

(٤٢) «ىادرس ىں الصفى» في الاصل Theodoros Sophianos

«ما لك ولهذا المسلم؟» قالت «هذا قتل [٤٣ ق] اخي عرس(٤٣)» وكان هذا عرس فارساً باقامية قتله بعض جند حماة. فصاح عليها وقال «هذا رجل برجاسي(٤٤) (اي تاجر) لايقاتل ولايحضر القتال». وصاح على اولئك المجتمعين، فتفرقوا واحد بيدي ومضى. فكان تأثير تلك المواكلة خلاصي من القتل»

(٤٣) Hurso

(٤٤) bourgeoisie

٩ ـ احتبارات وملاحطات

عم أسامة يحاف من الفأرة

ومن عحائب القلوب ان الانسان يحوص العمرات ويركب الاحطار ولا يرتاع قلبه من دلك، ويحاف ما لا يحاف منه الصبيان ولا النسوان

ولقد رأيت عمّي عزّ الدين ابا(١) العساكر سلطان، رحمه الله، وهو من اشجع اهله له المواقف المشهورة والطعنات المذكورة، وهو اذا رأى الفأره تغيّرت صورة وجهه ولحقه كالرمع من نظرها وقام من الموضع الذي يراها فيه

وكان في غلمانه رجل شجاع معروف بالشجاعة والاقدام اسمه صدوق يفزع من الحيّة حتى يخرج من عقله. فقال له والدي، رحمه الله، وهو واقف بين يدي عمّي «ياصدوق، انت رجل جيّد معروف بالشجاعه ما تستحي تفزع من الحيّة؟» قال «يامولاي، وايّ شيء في هذا من العجب؟ في حمص رجل شجاع بطل من الابطال يفزع من الفأرة ويموت» ـ يعني مولاه. فقال له عمّي، رحمه الله «قبّحك الله ياكذا كذا»

وعيره يحاف من الحيّة

ورأيت مملوكاً لوالدي، رحمه الله، يقال له لؤلؤ. وكان رجلاً جيّداً مقداماً. وقد خرجتُ ليلة من شيرز ومعي بغال كثيرة وبهائم اريد احمل عليها من الحطب حشباً قد قطعتُه هناك لناعورة لي. فسرنا من ظاهر شيرز ونحن نظن ان الصبح قد دنا، فوصلنا الى قرية يقال لها دُنَيس(٢)، وما تنصّف الليل. فقلت «انزلوا ما ندخل الحطب في الليل»

(١) «ابى» في الاصل
(٢) «دنسا» في الاصل

فلمّا برلىا واستقرر با(٣) سمعا صهيل حصان. فقلىا «الافر بح!» فركبا في الطلام وابا احدّث بفسي أبي اطعن واحدًا مبهم وآحد حصابه ويأحدون دوابّا والرحال الدين مع الدوابّ. فقلت للوءلوء وثلاثة من العلمان «تقدّموبا، اكسفوا هدا الصهيل». فتقدّموا يركصون(٤). فلقوا اولئك وهم في حمع وسواد كثير. فسق اليهم لوءلوء وقال «تكلّموا، والا اقتلكم كلكم» وهو رام حيّد. فعرفوا صوته وقالوا «صاحب لوءلوء؟» قال «بعم» وادا هم عسكر حماه مع الامير سيف الدين سُوار(٥)، رحمه الله، قد اعاروا(٦) على بلاد الافربح وعادوا فكان هدا اقدامه على دلك الحمع وادا رأى في بيته حيّه حرح مبهرماً وقال لامرأته «دوبك والحيّه!» فتقوم اليها تقتلها

أسامه يُحرح باهمال الركابي

والمحارب، ولوابه الاسد، اتلفه واعحره اليسير من العوائق كما اصابي على حمص. [٤٤ و] حرحتُ(٧) وقُتل حصابي وصُربتُ خمسين سيفاً ـ كلُّ دلك لفساد المسيئة، ثم لوابي الركابيّ في تركيب عنان اللحام. فابه عقده في الباسات ولم يسُفه(٨) فلمَا حدثته اريد الحروج من سهم ايحلّ العنان من عقده في الباشات(٩)، فبالي ما بالي

ويحارب بلا ركاب

وقد كان صاحب الصائح يوماً سيرز من القلعه. فلبسا وفزعنا. فكان

(٣) «واسعر با» في الاصل

(٤) «بر كصوا» في الاصل

(٥) او «سَوار» عالي ر بكي في حلب «اسوار» بموحب ابن الاثير في *Recueil*
١ ٤١٦ ـ ١٧ وكمال الدين في *Recueil* ٣ ٣٧٢

(٦) «عاروا» في الاصل

(٧) «حرحب» في الاصل

(٨) «سفه» في الاصل

(٩) الباسه هي الحلقه

الصائح كدّاناً. فرحل ابي وعمّي، رحمهما الله، ووقفت بعدهما. فوقع الصائح من السمال من حاب الافريح. فركّضت حصابي الى الصائح. فرأيت الناس في المحاص بركب بعصهم بعصاً وقالوا «الفرنح!» فعبرت المحاص وقلت للناس «لا بأس عليكم، انا دونكم!» ثم طلعت اركض الى رابة الفراقطة، واذا الحل مقبله في جمع كبير. وقد تقدّم منهم فارس لابس(١٠) زردية وحوده، وقد دنا منّي فقصدته استفرص بعده من اصحابه، واستقبلني فحين حرّكت حصابي اليه انقطع ركابي وما بقي لي مدوحه عن لقائه فقمت(١١) اليه بلا ركاب. فلمّا تدانينا ولم يبقَ غير الطعن سلّم علـيّ وحدمني واذا هو السلّار(١٢) عُمر خال السلّار زين الدين اسمعيل بن عُمر بن بَختيار وكان نهض مع عسكر حماه الى بلدكفرطاب. فخرج عليهم الافرنح فعادوا الى شيرز منهزمين وبعدّمهم الامير سوار، رحمه الله

فسبيل الرجل المُحارب يتفقّد عدّة حصانه، فان ايسر الاشياء واقلّها يوءدي ويُهلك. كلّ ذلك مقرون بما يجري به الأقدار والأقضية

صفة بوءدي اُسامه

وقد شهدتُ قتال الاُسد في مواقف لا احصيها، وقتلت عدّة منها لم يشركني احد في قتلها، فما نالني من شيء منها اذى

وخرجت يوماً مع والدي، رحمه الله، الى الصيد في جبل قريب من البلد نصيد فيه الحجل بالبزاة. ويكون الوالد ونحن معه والبازيارية على الجبل وبعض الغلمان والبازيارية اسفل من الجبل للتخليص من البزاة والوقوف على السبح. فقامت لنا ضبعة فدخلتْ مغارة، وفي تلك المغارة محجر دخلت فيه فصحت بغلام لي ركابيّ اسمه يوسف حلع

(١٠) «فارساً لابساً» في الاصل

(١١) «فقمتُ» في الاصل

(١٢) «سالار» بالفارسيه ومعناها القائد

ثيابه وأخذ سكّينه ودخل في ذلك المحجر، وانا في يدي قطارية مستقل الموضع اذا خرجت طعنها. فصاح العلام «اليكم قد خرجت!» فطعنها احطأتُها لان الصعة رقيقة [٤٤ ق] الحجم. وصاح العلام «عندي صعة احرى!» فخرجت في اثرها. فقمت وقفت في باب المعارة وهي صيقة الباب متعلية قدر قامتين انظر ما نعمل اصحابنا الذين فـي الوطاٍ بالصاع التي نزلت اليهم. فخرجت صعة بالة، وانا مسغول بالنظر الى الاوائل، فدستني رمتني من باب المعارة الى القرارة التي تحته فكادت تكسرني. فتأذّيت بصعة ومـا تأذّيت بالساع. فسبحان مقدّر الأقدار ومسبّب الاسباب

اُسامة الصبي يقتل حادمه

وشاهدت من ضعف نفوس بعض الرجال وخورهم ما لا كنت اظنّه بالنساء

فمن ذلك اني كنت يوماً على بـاب دار والدي، رحمه الله، وانا صبيّ عمري دون العشر سنين. فلطم غلام لوالدي اسمه محمَد العجميّ صبياً من خدّام الدار فانهزم منه وجاء تعلَق بثوبي، فلحقه وهو ماسك ثوبي فلطمه فضربته بقضيب كان في يدي فدفعني. فحدت من وسطي سكيناً ضربته بها فوقعت في برّه الايسر، فوقع. وجاءنا غلام كبر لوالدي يقال له الفائد اسد فوقف عليه ونظر الجرح واذا تنفّس طلع منه الدم مثل فَواقعِ الماء. فاصفرّ وارتعد ووقع معشياً عليه. فحُمل الى داره وكان يسكن معنا في الحصن على تلك الحال. فما افاق من غشيته الى آخر النهار. وقد مات المجروح وقُبر

رجل نعسى عليه من الفصاد

ومما يقارب ذلك كان يرورنا الى شيرز رجل من اهل حلب فيه فضل وادب يلعب بالشطرنج طبقة ويلعب بها غائباً يقال لـه ابو المرجّى(١٣) سالم بن قانت، رحمه الله. فكان يقيم عندنا السنة والاكثر والاقل وربّما

(١٣) «المرجأ» في الاصل قابل ص٧٨ ح ١٨

مرض فيَصف له الطبيب الفصاد. فادا حصر الفاصد تعسَّر لونه وارتعد. فادا فصده غُسي عليه فلا يرال في غسيه حتى يشدّ فصاده ثم يفيق

وآخر يبسر ساقه

ومما يصادُ ذلك انه كان في اصحابنا من بني كنانة رجل اسود يقال له عليّ بن فرح(١٤) طلعت في رجله حبَّة فحبَسَت، وسابرت اصابعه وابتت رجلُه فقال له الجرائحي «ما لرجلك الا القطع، والا تلفت». فحصَّل عنده مسارًّا وجعل يبسر ساقه حتى يَعلمه فَيصُ الدم ويُغسى عليه، فادا هو افاق عاد الى نشرها حتى قطعها من نصف ساقه. وداواها فبرأت

وكان، رحمه الله، من اجلد الرجال واقواهم. فكان يركب في سرجه(١٥) بركاب واحد، وفي الجانب الآخر سير تكون فيه ركبته، ويحصر القتال ويطاعن الفريح وهو على تلك الحال. وكنت اراه، رحمه الله، [٤٥ و] لا يستطيع رجُل سابكه ولا يقابضه. وكان خفيف الروح مع قوّته وسجاعته

فاصبح يوماً من الايّام، وهو بنو كنانة يسكون حصنا حصن الجسر(١٦)، ارسل الى رجال من وجوه بني كنانه فقال «اليوم يوم مَطير. وعندي فصلة نبيد وماكول تتفضَّلون(١٧) عليّ بالحضور لنشرب». فاجتمعوا عنده فجلس في باب البيت وقال «هل فيكم من يقدر يخرج من الباب ان لم اشأ؟» يسير الى قوّته. قالوا «لا، والله». قال «هذا يوم مَطير، وما اصبح في داري دقيق ولا خبز ولا نبيد. وما فيكم الا من في داره ما يحتاجه ليومه. امضوا الى دوركم احضروا طعامكم ونبيدكم، والبيت من عندي، ونجتمع اليوم نشرب ونتحدّث» قالوا كلّهم «نعمَ ما رأيت

(١٤) «فرح» في الاصل
(١٥) «سرجه» في الاصل
(١٦) في سرر على العاصي
(١٧) « سفضلوا» في الاصل

يا ا با الحسن!» وا بعدوا احصروا ما في دورهم من طعام وشراب وقصوا بهارهم عنده. وكان رحلاً محترماً. فتعالى من حلق الحلق اطواراً. اين حَلَدُ هدا وقوّة نفسه من حور اولئك وصعف نفوسهم؟

مستسقٍ يشقّ بطنه فيشفى

وقريب من هدا ان رحلاً من بني كنانة حدّثني بحصن الحسر ان رحلاً في الحصن استسقى فشقّ بطنه فبرىء(١٨) وعاد صحيحاً كما كان. فقلت اريد ابصره واستحبره. وكان الدي حدّثني رحل من بني كنانة يقال له احمد بن معد بن احمد. فاحصر دلك الرحل عندي. فاستحبرته عن حاله وكيف فعل بنفسه فقال «انا رحل صعلوك وحيد استسقى حوفي، وكبرت حتى عحرت عن التصرّف وتبرّمتُ بالحياه. فاحدت موسى وصربت به فوق سُرّتي في عرض حوفي، سقفته(١٩)، فحرح منه قدر طاحتين ماء (يعني قدرين). وما زال الماء يَنزُ منه حتى صمر حوفي. فحيّطته وداوت الحرح فبرأ. فزال ما كان بي» واراني موضع الشقّ في حوفه اطول من شبر ولا شبهة ان هدا الرحل كان له في الارص ررق يستوفيه

والا فقد رأيت من استسقى وفصد الطبيب حوفه فحرح منه من الماء كما حرح من الدي نزل بنفسه الا انه مات من دلك الفصد. لكن الاحل حصن حصين

فرسان الافرنج يهاجمون شيرر ويفشلون

النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى لا بترتيب وتدبير ولا بكثرة نفير ولا نصير وقد كنتُ ادا نعبني عمّي، رحمه الله، لقتال اتراك او افرنج اقول له «ياَمولاي، امرني بما اتدبّر به ادا [٤٥ ق] لقيتُ العدوّ». فيقول «يا بنيّ، الحربُ تدبّر نفسها». وصدق

(١٨) «فبرا» اد باه س١٣ «وبرا» ص١٥٦ س٦

(١٩) «سفسه» في الاصل عامه

وكان امر بي(٢٠) ان آحد امرأته واولاده حاتون ست تاح الدولة تُنُس(٢١) والعسكر وامصي اوصلهم الى حص مصياث(٢٢)، وهو اد داك له، وكان نُسقو عليهم من حرّ شيرز٠ فركت وركب ابي وعمّي، رحمهما الله، معا الى نعص الطريق، وعادا وليس معهما الا المماليك الصعار لحرّ الحائف وحمل السلاح٠ والعسكر كلّه معي٠ فلمّا قربا من المدينة سمعا طبل الحسر يصرب٠ فقالا «شيءٌ قد حرى في الحسر»٠ فدفعا حيلهما تافلاً ونحاً الى الحسر(٢٣)٠ وكان بيىا وبين الافرىح، لعنهم الله، هدىه٠ فىقدوا مں كسف لهم محاصة يعىرون منها الى مدينة الحسر، وهي في حرىره(٢٤) لا يُعبر اليها الا من حسرٍ معقودٍ(٢٥) بالحجر والكلس لا يصل الافرىح اليه٠ فدلّهم دلك الجاسوس على محاصه فركبوا جميعهم من افامية فاصحوا الى دلك الموضع الدي دلّهم عليه، عبروا الماء وملكوا المدينة ونهبوا وسىوا وقىلوا٠ ونفّدوا نعض السبي والنهب الى افاميه وملكوا الدور٠ وعلّم كلُّ واحد منهم صليبه على دار وركز عليها رايىه

فلمّا اشرف ابي وعمّي، رحمهما الله، على الحصن كبّر اهل الحصن وصاحوا فالقى الله سحانه على الافرىح الرعب والحدلان٠ فدهلوا عن الموضع الدي عبروا منه، ورموا خيلهم، وهم ىدروعهم عليها، في غير محاص فغرق منهم حماعة كثيرة كان الفارس يغوص في الماء فيسقط عن سرجه ويرسب في الماء ويطلع الحصان٠ ومضى من سلم منهم منهزمين

(٢٠) سنه ١١٢٢ او ١١٢٣

(٢١) امر حلب السلجوقي واحو ملك ساه صاحب اصبهان

(٢٢) وكدلك في ابى سامه ١ ٢٦١ وفي ياقوت ٤ ٥٥٦ «مصاب» «مصاف» ولعل الاصح مَصْيَاد

(٢٣) «فرفعا خيلهما سافلا ونحا الى الحسر» في الاصل

(٢٤) المقصود سنه حرىره

(٢٥) «حسر مَعقودٌ» في الاصل

لا يلوي نعصهم على نعص، وهم في حمع كثير، وابي وعمّي معهما عشرة مماليك صبيان

فاقام عمّي بالحسر ورحع ابي الى شيرر. واوصلتُ انا اولاد عمّي الى مصياث وعدتُ من يومي وصلت العشاء. فاحبرت بما حرى. فحصرت عند والدي، رحمه الله، وشاورته في ان امصي الى عمّي الى حصن الحسر. قال «تصل في الليل، وهم نيام. ولكن سر اليهم من بكرة». فاصبحت سرت وحصرت عنده. وركبنا وقفنا على دلك الموصع الدي عرق فيه الافرنح. ونزل اليه حماعة من السبّاح فاحرحوا حماعة من فرسانهم موتى. فقلت لعمّي «يامولاي، ما نقطع روءوسهم ونُنفدها الى شيرر؟» قال «افعل». فقطعنا منهم نحوًا(٢٦) من العشرين راسًا. فكان الدم يسيل منهم كأنهم قد قُتلوا تلك الساعة، ولهم يوم وليله. واطنّ الماء حفظ فيهم دمهم

وعنم الناس منهم سلاحاً كثيرًا من الزردنّات والسيوف والقنطاريّات والحُوَد والكلسات الزرد. ورأيت رحلاً من فلّاحي الحسر [٤٦ و] قد حصر عند عمّي ويده تحت ثيابه. فقال له عمّي يمزح معه «ايّ شيء اعزلتَ لي من العنيمه؟» قال «اعزلتُ لك حصاناً بعدّته وزردنّته وترساً وسيفاً». ومضى احصر الحميع. فاحد عمّي العدّة واعطاه الحصان وقال «ايّ شيء بيدك؟» قال «يامولاي، تناطحت انا والافرنحيّ وما معي عدّة ولا سيف فرميه ولكمت وحهه وعليه اللثام الزرد حتى اسكرته، واحدت سيفه فقتلته به. وتهرّأ الحلد الدي على عقد صابعي. وورمت يدي فما تنفعني». واظهر لنا يده وهي كما قال قد انكسفت عظام اصابعه

اسيره مسلمة تعرّق نفسها

وكان في حد الحسر رحل كرديّ يقال له ابو الحيس(٢٧) له بنت اسمها رفول(٢٨) قد سباها الافرنح، وهو قد توسوس عليها يقول لكل من

(٢٦) «نحو» في الاصل
(٢٧) «الحيس» في الاصل ولعلها «الحسن»
(٢٨) «رفول» في الاصل

لقيه يوماً «سُنيت رفول!» فخرجنا من الغد نسير على النهر، فرأينا في جانب الماء سواداً فقلنا لبعض الغلمان «اسبح ابصر ما هذا السواد». فمضى اليه فاذا ذلك السواد رفول عليها ثوب ازرق وقد رمت نفسها من على فرس الافرنجي الذي اخذها فغرقت، وعلق ثوبها في شجرة صفصاف. فسكنت لوعةُ ابيها ابي الجيش(٢٩) فكانت الصيحة التي وقعت في الافرنج وهزيمتهم وهلاكهم من لطف الله عزّ وجلّ لا بقوّة ولا بعسكر. فتبارك الله القادر على ما يشاء

الخدعة في الحرب

وقد يكون الرهيب في بعض الاوقات نافعاً في الحرب

من ذلك ان اتابك(٣٠) وصل الشأم وانا معه في سنة تسع وعشرين وخمس مائة(٣١) وسار قاصداً دمشق فلمّا نزلنا القُطَيِّفة(٣٢) قال لي صلاح الدين(٣٣)، رحمه الله «اركب ونقدّم الى العُقَيبة(٣٤) اقم على الطريق لا يهرب احد من العسكر الى دمشق». فتقدّمت ووقفت ساعة واذا صلاح الدين قد اتى في قلّة من اصحابه فرأينا في عذراء(٣٥) دخاناً. فارسل خيلاً تُبصِر ما هو الدخان فاذا هم قوم من عسكر دمشق يحرقون التبن الذي في عذراء، فانهزموا. فتبعهم صلاح الدين ونحن معه لعلّ في نيّف ارىعين فارساً فوصلنا القُصير(٣٦) واذا عسكر دمشق جميعه في القُصير قاطع الجسر، ونحن عند الخان. فوقفنا مستترين بالخان

(٢٩) «الجيس» في الاصل

(٣٠) زنكي

(٣١) ١١٣٥

(٣٢) وتعرف اليوم باسم «القُطَيفَة» ذكرها المقدسى «احسن التقاسيم» (لندن ١٨٧٧) ص ١٩

(٣٣) محمد بن ايوب الغساني

(٣٤) خان بين عذراء والقطيفة Dussaud ص ٢٨

(٣٥) قرية لم تزل قائمة لليوم

(٣٦) بين عذراء ودمشق

و نحرح منّا حمسة سه(٣٧) فوارس حى يبصرهم عسكر دمشق ويعودون الى حلف الحاں بوهمهم ان لنا كميناً

[٤٦ ق] و بعَد صلاح الدں فارساً الـى ا مالك يعرّفه بما نحن فيه. فرأ ىنا نحواً من عسره فوارس مقبلين الينا مسرعين، والعسكر حلفهم متتابعٌ. فوصلو نا وادا هـو اتابك قد تقدّم والعسكر فـي ا ىره. فانكر على صلاح الدىں فعله وقـال «سرّعتَ الـى بـاب دمسو ىلىں فارسـاً لتُـكسَر ياموسى(٣٨)» ولامه وهم يتكلّمون بالتركيّ ولا ادري ما يقولون

فلمّا وصلـا اوائل العسكر قلب لصلاح الدں «عـں امرك آحد هاؤلاء الدں فد وصلوا او اعىر الى حيل دمتق الواقفه مقابلىا اقلعهم». فال «لا، كدا وكدا ممں يبصح(٣٩) في حدمة هدا! ما تسمع ايّ شيء قد عمل بي؟»

ولولا لطف الله تعالى بم دلك الرهب والحيل كانوا قلعونا

وحرى لي مىل دلك وقد سرت مع عمّي، رحمه الله، من شيرر بريد كفرطاب ومعىا حلو من الفلاحں والصعاليك لىهب ما على كفرطاب من غلّه وفطن فانتسر الىاس في الىهب وحيل كفرطاب قد ركبت ووقفت عىد البلد، و نحن سهم و بين الىاس المىتسرىن في الررع والقطن. واذا فارس من اصحابنا يركض من الطلائع فال «حاءت حيل افامة!» فقال عمّي «تقف ايت مقابل حيل كفرطاب، واسر انا بالعسكر القى حيل افامية». فوقفت في عسره فوارس في سحر الرىتون موارين(٤٠)، ويحرح منّا ىلىة اربعة نحيلون للفر نح ويعودون(٤١) الى شحر الرىتون، والافر نح يعتقدون انا في حماعة فهم نحمعون ويصىحون ويدفعون حىلهم الـى ان

(٣٧) «حمس سـ» في الاصل
(٣٨) كدا في الاصل
(٣٩) « ىصح» في الاصل
(٤٠) «مىوارس» في الاصل
(٤١) « نحىلوا للفر نح و ىعودوا» في الاصل

يقربوا منّا ونحن لا نرعرع(٤٢) فيرجعوا فما زلنا كذلك حتى عاد عمّي وابهزم الافرنج الذين جاءوا من افامية

فقال له بعض غلمانه «يامولاي، ترى ما فعل (نعيبي)؟ تخلّف عنك وما سار معك للقاء خيل افامية». فقال له عمّي «لولا وقوفه في عشرة فوارس مقابل خيل كفرطاب وراجلها كانوا اخذوا هذا العالم كلّه». فكان الرهب والخيل للافرنج في ذلك الوقت انفع من قتالهم لانا كنّا في قلّة وهم في جمع كبير

أسامة يسترجع جاماً مسروقاً

وجرى لي مثل ذلك بدمشق(٤٣). كنت يوماً مع الامير معين الدين، رحمه الله، فاتاه فارس فقال قد اخذ الحرامية قافلة في العقبة حاملة جام فقال لي «نركب اليهم». قلت «الامر لك. أمُر الساوشيةَ تسترك العسكر معك» قال «اي شيء حاجتنا الى العسكر؟» قلت «وما نضرنا من ركوبهم؟» قال «ما نحتاجهم». وكان، رحمه الله، من اشجع الفرسان، ولكن قوّة النفس في بعض المواضع تفريط ومضرّة

فركبنا في نحو من عشرين فارساً [٤٧ و] فلمّا ان ضحونا نفّذ فارسين كذا وفارسين كذا وفارساً(٤٤) كذا يكشفون الطرقات. وسرنا نحن في قلّة فجاءت صلاة العصر. فقال لغلام لي «ياسُونُج، اشرف معرّباً(٤٥) الينا نصلّي». فما سلّمنا الا والغلام يركض. قال «هذه الرجّالة، وعلى رؤوسهم سقاق الجام، في الوادي!» فقال معين الدين، رحمه الله «اركبوا». قلت «امهل علينا نلبس كراعنداتنا. فاذا رأيناهم رميناهم برؤوس الخيل وطعناهم فما يدرون كثير نحن او قليل». قال «اذا وصلنا اليهم لبسنا»

(٤٢) نرعرع» في الاصل

(٤٣) في اثنا ربارة الاولى سنة ١١٣٨ ــ ٤٤

(٤٤) «وفارس» في الاصل

(٤٥) «معرب» في الاصل

وركب وسرنا اليهم. فلحقناهم في وادي حلبون(٤٦) وهو وادٍ ضيّق لعلّ ما بين الجبلين خمسة اذرع، والجبال من حافتيه وعرة رفيعة وطريقه ضيّقه انما يمشي فيها فارس خلف فارس. وهم في سعين رحلاً بالقسيّ والنشّاب

فلمّا وصلناهم كان(٤٧) غلمانا خلفنا سلاحنا لايصلون الينا واولئك قوم منهم في الوادي ومنهم قوم في سفح الجبل. فظننت ان الذين في الوادي من اصحابنا فلاحي الضياع قد فرغوا خلفهم والذين في سفح الجبل هم الحراميّة. فجذبت سيفي وحملت على الذين في السفح. فلمّا طلع الحصان في ذلك الوعر الاّ باخر روحه. فلمّا صرتُ اليهم وحصاني قد وقف ما بقي يندفع اسوفي واحد منهم سنّانه في فُوقه(٤٨) ليضربني. فصحت عليه وتهدّدتُه، فمسك يده عنّي. وعدت انزلت الحصان وما اصدّق احلص منهم

وطلع الامير معين الدين الى اعلى الجبل بظن ان هناك من الفلاحين من يستنفرهم. وصاح النبيّ من اعلى الجبل «لا تفارقهم حتى اعود» وتوارى عنا فرجعت الى الذين في الوادي وقد علمت انهم من الحراميّة فحملت عليهم وحدي لضيق المكان فانهزموا، ورموا ما كان معهم من الجام. وخلّصت منهم بهيمتين كانتا معهم عليهما جام ايضاً. وطلعوا الى مغارة في سفح الجبل ونحن نراهم وما لنا اليهم سبل

وعاد الأمير معين الدين، رحمه الله، آخر النهار وما وجد من يستنفره. ولو كان معنا العسكر كنّا ضربنا رقابهم واستخلصنا كلّ ما معهم

أسامة يخسر رفاقه بقلّة الخبرة

وقد جرى لي مرّة اخرى مثل هذا. والسبب فيه نفاد المشيئة ثم قلّة الخبرة بالحرب. وذلك انا سرنا مع الامير قطب الدين خُسرو بن

(٤٦) من قرى دمشق اشهر في قديم الزمان بخمره جرفنال٢٧ ١٨
(٤٧) «كانوا» في الاصل عامه على لعه «اكلوني البراغيث»
(٤٨) «فوله» في الاصل الفُوق موضع الوتر من السهم ولعل المطلوب «قوسه»

تَنليل(٤٩) من حماة نريد دمشق الى خدمة الملك العادل نور الدين، رحمه الله فوصلنا الى حمص· فلمّا عزم على الرحيل علـى طريق بعلبكّ قلت له «انا اتقدّم انصر كنيسة بعلبكّ(٥٠) [٤٧ ق] الـى حين تصل»· قال «افعل»

فركبت ومضيت· فانا في الكنيسة جاءني فارس من عنده يقول «قد خرجت رجّالة حراميّة على قافلة اخذوها· فاركب والقني(٥١) الى الجبل»· فركبت ولقيته فصعدنا في الجبل فرأينا الحراميّة في وادٍ تحتنا، والجبل الذي نحن عليه محيط بذلك الوادي· فقال له بعض اصحابه «ننزل اليهم»· قلت «لا تفعل · ندور على الجبل ونصير فوق روءوسهم نحول(٥٢) بينهم وبيـن طريقهم الـى المغرب، ونأخذهـم»· وكانوا مـن بلاد الافرنج· فقال آخر «الى ما ندور على الجبل [نكون] قد وصلنا اليهم واخذناهم»· فنزلنا· فلمّا رآنا(٥٣) الحرامية صعدوا في الجبل· فقال لي «اصعد اليهم»· فحرصت على الطلوع، فما قدرتُ

وكان على الجبل منّا جمّاله ستة سبعة· فنزلوا اليهم، وجاءوا يقودون خيلهم معهم، واولئك في جماعة· فحملوا على اصحابنا فقتلوا منهم فارسين واخذوا حصانيهما وحصاناً آخر· وسلم صاحبه· ونزلوا مـن جانب الجبل الآخر بالغنيمة· وعدنا نحن وقد قُتل منّا فارسان واُخذ منّا ثلثة خيل والقافلة· فهذا تغرير لقلّة المخبرة بالحرب

حصار حصن الصّور

فامّا التغرير في الاِقدام فما هو للزهد في الحياه· وانما سببه ان الرجل

(٤٩) امير كردي نسب لابي الهيجا الهذبانيّ صاحب إربل ذكره ابن خلّكان ٤ ٤٩٤ وابن الاثير في *Recueil* ٢ ٢٥٥

(٥٠) «بعسل» في الاصل كان المراد «بعسل» «بعانل»؟

(٥١) «والقانى» في الاصل

(٥٢) «نحسل» في الاصل

(٥٣) «دراونا» في الاصل

ادا عُرف بالاِ قدام ووُسم باسم الشحاعة وحصر القتال طالته همتُه بفعل ما يُدكَرَ به ونَعحر عنه سواه، وحافت نفسه الموت وركوب الحطر فكاد نعله وتصدُّه عمّا يريد يفعله حتى يضطرّها ويحملها على مكروهها، فعتريه الرمَعُ ويعيُّر اللون لدلك٠ فادا دحل في الحرب نطل روعه وسكن حأشُه

ولقد حصرت حصار حصن الصَّور(٥٤) مع ملك الأمراء اتابك ز نكي، رحمه الله (وقد تقدّم شيء من دكره)، وكان للامير فحر الدين قرا ارسلان(٥٥) بن داود بن سُقمان بن اُرتق رحمه الله وكان مشحوناً بالرحال الحرحيَّه(٥٦)٠ ودلك بعد كسرته على آمِد(٥٧)٠ فاول ما صُرب الحيام نَفَد رحلاً من اصحابه صاح تحت الحصن «ياحماعة الحرحيَه، يقول لكم اتابك ‹و نعمة السلطان(٥٨) لئن قُتِل من اصحابي رحل واحد بسَابكم لاقطعنّ ايديكم!›» ونصب على الحصن المحانيق٠ فهدمت حانباً منه وما بلغ الهدم منه نحيث يُستطلع اليه الرحال٠ فحاء رحل من حداريَّه اتابك من اهل حلب يقال له ابن العُرَيق طلع في تلك الثغرة وضاربهم [٤٨ و] بسيفه فحرحوه عدّة حراح ورموه من البرح الى الحندق وتكاثر الناس عليهم في تلك الثغرة فملكوا الحصن٠ وطلع نوّاب اتابك اليه فاحد مفاتيحه نفَدها الى حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي(٥٩) بن أُرتُق واعطاه الحصن

(٥٤) في ديار بكر ياقوت ٣ ٤٣٥

(٥٥) «قرارسلان» في الاصل

(٥٦) «الحرحيه» في الاصل الحَرْوح من ادوات الحرب تُرمى عنها السهام والححاره

(٥٧) سنه ٥٢٨ او ١ ربيع الثاني سنه ١١٣٣ — ٢١ ربيع الاول سنه ١١٣٤ الدهبي «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٢ ٣٤

(٥٨) مغيث الدين محمود السلحوقي سلطان اصبهان

(٥٩) «العازى» في الاصل

واتّفق ان سنّابة خرج ضربت رجلاً من الخراسانيّة في ركبته قطعت الفلكة التي على مفصل الركبة، فمات

فاوّل ما ملك اتابك الحصن استدعى الخرخيّة، وهم سبعة نفر، فجاءوا وقسيّهم موتوره على اكتافهم• فامر بحزّ إبهاماتهم(٦٠) من زنودهم• فاسترخت ايديهم وبلغت

وامّا ابن العُرَيق فداوى جراحه وبرأ بعد ان شارف الموت• وكان رجلاً شجاعاً يَحمل نفسه على الاخطار

حصار البارعة

ورأيت مثل ذلك وقد نزل اتابك على حصن البارعة(٦١) وحوله صفا صخر لا تضرب عليه الخيام• فنزل اتابك في الوطاِ ووكّل به الامراء بالنوبة• فركب اليه اتابك يوماً والنوبة للامير ابي بكر الدُبيسي(٦٢) وما معه اهبة القتال• فوقف اتابك وقال لابي بكر «تقدّم قاتلهم» فزحف باصحابه وهم اعراء• وخرج اليهم الرجال من الحصن• فتقدّم رجل من اصحابه يقال له مزيد(٦٣)، لم يكن قبل ذلك من المشهورين بالقتال والشجاعة، فقاتل قتالا عظيماً وضرب فيهم سيفه وفرّق جمعهم• وجُرح عدة جراح• فرأيته قد حملوه الى العسكر وهو في آخر رمقه• ثم عوفي• وقدّمه ابو بكر الدُبيسيّ وخلع عليه وجعله من حملة جنداريّته

العنتابي يقطع من شاة نصفين

كان اتابك يقول لي «ثلاثة غلمان احدهم يخاف الله تعالى وما يخافني

(٦٠) «بهاما بهم» في الاصل
(٦١) أو بارين للشمال الغربي من حمص
(٦٢) قابل «دُبيس» اعلاه ص١٤٢ س١٩
(٦٣) «مزيد» في الاصل

(يعني ر س الدين علي كوحك(٦٤)، رحمه الله)، والآحر يحافي وما يحاف الله تعالى (يعني نصير الدين سُنقر(٦٥)، رحمه الله)، والآحر ما يحاف الله ولا يحافي (يعني صلاح الدين محمَّد بن ايّوب العِسياني، رحمه الله)»

وسهدت منه، تحاور الله عنه، ما يحقق قول اتابك٠ ودلك انّا رحصا يوماً الى حمص وقد اصاب الارص في الليل مطر عظيم حتى ما نقت الحيل تتصرّف من نقل(٦٦) الارص بالوحل، والرحّالة يتناوشون وصلاح الدين واقف وانا معه، ونحن نرى الرحّالة بين ايدينا فعدا واحد من الرحّاله التي رحّالة حمص احتلط بهم، وصلاح الدين يراه٠ فقال لواحد من اصحابه «هات داك الرحل الذي كان الى حانبه»٠ فمصى احصره٠ فقال له «مَن هذا الذي كان بهرم من حانبك ودحل الى حمص؟» قال «والله، يامولاي، ما اعرفه» قال «وسّطوه(٦٧)»٠ قلت «يامولاي [٤٨ ق] تعمله وتكسف عن دلك الرحل٠ فان كان تعرفه او منّه سبب صرت رقبته٠ والا ترى فيه رأيك»٠ فكأنه حنح الى قولي٠ فقال غلام له من حلفه «بهرب واحد نؤحَد الذي كان الى حانبه تُصرب رقبته او يوسَّط»٠ فاحفه كلامه وقال «وسّطوه»٠ فرفسوه كحاري العادة ووسّطوه، وما له دنب الا اللحاح وقلّة مراقبة الله تعالى

وحصرتُه مرّة احرى بعد ماوصلنا من مصاف بغداد(٦٨)، واتابك يحتهد يُظهر تحلداً وقوّة وقد امر صلاح الدين بالمسير الى الامير قفحاق(٦٩)

(٦٤) وزير قطب الدين مودود بن زنكي في الموصل
(٦٥) وزير زنكي
(٦٦) «نعل» في الاصل
(٦٧) اي اقطعوه سطرين من الوسط
(٦٨) سنة ٥٢٧ (١١٣٢ — ٣٣) على ما يظهر من الدهبي «تاريخ الاسلام» ٢ ٦ (ملحق در سورغ)
(٦٩) او قفحاق أو قبحاق، امير تركماني وهو بموجب ابن العديم «تاريخ» (الاسانه ١٢٨٦) ٣ ١٦٣ ابن آل ارسلان شاه وبموجب ابن الاثير «الكامل» (طبعة طرسبرغ) ١١ ٥ ابن ارسلان تاش

يكسه(٧٠)· فسرنا من الموصل ستَة ايّام ونحن في غاية الضعف· فوصلنا موضعه وجدناه قد تعلّق في جبال كوهستان· فنزلنا على حصن يقال له ماسُرّ· ونزلنا عليه طلوع الشمس، وامرأه طلعت من الحصن قالت «معكم خام؟» قلنا «ايّ وقت هذا للبيع والشراء؟» قالت «نريد الخام نكفّنكم به· فالى خمسة ايّام تموتون كلّكم»· تريد ان ذلك الموضع وَخِم

فنزل وربّ الزحف الى الحصن من بكرة وامر النقّابين يدخلون تحت برج من تلك الابراج والحصن كلّه معمور بالطين، والرجال الذين فيه من الفلّاحين· فزحفنا اليه وطلعنا الى تلّه ونقب الخراسانيّة برجاً فوقع وعليه اثنان· امّا الواحد فمات وامّا الآخر فاخذه اصحابنا وجاءوا به الى(٧١) صلاح الدين قال «وسِّطوه»· قلت «يامولاي، هذا شهر رمضان· وهذا رجل مسلم لا نتقلّد اثمه» قال «وسِّطوه حتى يسلّموا الحصن» قلت «يامولاي، الحصن الساعة تملكه»· قال «وسِّطوه»· ولجّ فيه فوسّطوه· واخذنا الحصن في ساعتنا تلك· فجاء الى الباب يريد النزول من الحصن· فكان معه جماعة وعلنه

فوكّل به قوماً من اصحابه ومضى نزل في خيمته لحظة بقدر ما تفرّق العسكر الذي كان معه· ثم ركب وقال لي «اركب» فركبنا وطلعنا الى الحصن· فجلس واحضر ناطور الحصن يعرّفه بما فيه، واحضر بين يديه نساء وصبياناً(٧٢) نصارى ويهود

فحضرت عجوز كرديَة فقالت لذلك الناطور «رأيت ابني فلاناً؟(٧٣)»· قال «قُتِل· ضربه نشّابة»· قالت «فابني فلان؟» قال «وسّطه الامير»· فصاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطنة المندوفة·

(٧٠) «بكسه» في الاصل
(٧١) مكرّرة
(٧٢) «وصبان» في الاصل
(٧٣) «فلان» في الاصل

فقال لها الناطور «اسكتي لاحل الامير». قالت «واي شيء نقي الامر يعمل بي. كان لي ولدان قتلهما». فدفعوها

ومضى الناطور فاحضر شيخاً كسرًا مليح الشيبة يمشي على عصاتين(٧٤) سلّم على صلاح الدين. قال «ايّ شيء هو هذا الشيخ؟» قال «إمام الحصن». قال «تقدّم ياشيخ، تقدّم تقدّم» حتى جلس بين يديه. فمدّ يده قبض لحيته واخرج سكينة مشدودة في بند قبائه وقطع لحيته من حنكته، فبقيت في يده مثل الرحم(٧٥) [٤٩ و] فقال له ذلك الشيخ «يامولاي، بايّ شيء استوجبت ان تفعل بي هذا الفعل؟» قال «بعصيانك على السلطان(٧٦)». قال «والله، ما علمتُ بوصولكم حتى جاء الناطور الساعة اعلمني واستدعاني»

وسبي المعاهدين

ثم رحلنا نزلنا على حصن اخر للامير فنجاق يقال له الكرجيني(٧٧). اخذناه فوجدوا فيه خزانة ملأى(٧٨) ثياب خام مخيّطة صدقة لفقراء مكّة. وسبى من كان في الحصن من النصارى واليهود المعاهدين. ونهب ما فيهما نهب الروم فالله سبحانه يتجاوز عنه

اقفُ من هذا الفصل عند هذا الحدّ متمثلاً بقولي

دع ذكرَ من قَتَل الهوى فحديثُهم فما شيّب ذكرُه المولودا

واعود الى ذكر شيء مما جرى لنا والاسماعيليّة في حصن شيرز

الاسماعيلية تهاجم شيرز

اجار في ذلك اليوم(٧٩) ابن عمّ لي يقال له ابو عبد الله بن هاشم،

(٧٤) «عصاتين» في الاصل لعله في «عصاوين»
(٧٥) الرحم» في الاصل تعريب «برچم» الفارسيه ومعناها شعر ذنب عجل البحر
(٧٦) معين الدين محمود
(٧٧) بجوار اربل ياقوت ٤ ٢٥٧
(٧٨) «ملا» في الاصل
(٧٩) سنة ١١٣٥

رحمه الله، فرأى رجلاً من الباطنيّة في برج من دار عمّي معه سيفه وترسه والباب مفتوح وبرّا منه خلق كثير من اصحابنا وما يجسر احد يدخل اليه. فقال ابن عمّي لواحد من اولئك الوقوف «ادخل اليه». فدخل اليه. فما امهله الباطنيّ ان ضربه فجرحه. فخرج وهو مجروح. فقال لآخر «ادخل اليه». فدخل اليه. فضربه الباطنيّ فجرحه وخرج كما خرج صاحبه. فقال ابن عمّي «يارئيس جواد(٨٠)، ادخل اليه». فقال له الباطني «ياموءخر(٨١)، انت ليش(٨٢) ما تدخل؟ تداخل الّي الناسَ وانت واقف. ادخل حتى تنظر». فدخل اليه الرئيس(٨٣) جواد، فقتله. وهذا الجواد حكم في الثقاف، رجل شجاع ثقف

وما مرّ عليه الا اعوام قليلة حتى رأيته بدمشق سنة اربع وثلاثين وخمس مائة(٨٤) وهو علاف يبيع الشعير والتبن، وقد كبر حتى صار كالشنّ البالي يعجز عن دفع الفأر عن علفه، فما بال الرجال. فكنت اتعجّب من اوّل امره، عندما صار اليه آخر امره، وما احال من حاله طولُ عمره

تأملات أسامة بشأن طول العمر(٨٥)

ولم ادرِ ان داء الكِبَر عامّ، يعدي كلّ من اغفله الحِمام. فلمّا توقّلت ذروة التسعين، وابلاني مرُّ الايّام والسنين، صرت كجواد العلاف، لا الجواد المتلاف. ولصقت من الضعف بالارض، ودخل من الكبر

(٨٠) «يارئس جواد» في الاصل

(٨١) «ياموءخر» في الاصل وعلى الهامش «ياموءخر»

(٨٢) عاميه

(٨٣) «الرئس» في الاصل

(٨٤) ٢٨ آب ١١٣٩ — ١٦ آب ١١٤٠

(٨٥) ومما يجدر ملاحظته ان أسامة هنا غيّر اسلوبه القصصي البسيط وعمد الى الفصيح المسجّع

معصي في معص٠ حبى ا نكرت بفسي، و تحسَّرت على امسي٠ وقلت فـي وصف حالي

لمَّـا بلغتُ مـں الحياه الـى مَدًى ... فـد كـںُ أهـواه تمنَّتُ الـرَّدَا
لـم يُبق طـولُ العمر مبّي مُبَّةً ... ألقَى بها صرفَ الرمان ادا اعتَدَا
[٤٩ ق] ضعُفَت قُوايَ وحاسي الثـقلان من بصَري وسَمعي حين شارفت المدا
فادا بهصتُ حَسبتُ انّى حامِلٌ ... جَبَلاً وأمشِـي إن مَشَيتُ مُقيَّدَا
وأدبُّ في كفّي العَصا وعَهدتُها ... فـي الحرب تحمل اسمراً ومُهنَّدَا
وا بيتُ فـي لِبس المِـهاد مسهَّداً ... فلـقاً كانَّنيَ افترشتُ الجَلمَدَا
والمرءُ يُنكَس(٨٦) في الحياة و سما ... بلغ الكمال و تمّ عاد كمـا بَدَا

وا ما القائل بمصر ادمتُ من العيس الراحه والدعة وما كان اعجل تقَضّيه واسرعه

أنظُر الى صرف دهري كيف عوّدنـي ... بعـد المَشيب سـوى عاداتـيَ الأولِ
وفـي تغايُر صرفِ الدهـرِ معتَبَرٌ ... وأيُّ حـالٍ علـى الايَّام لـم تَحُـلِ
قـدكـنتُ مُـسعَر حرب كلمـا حمدت ... أدكيتُها باقتداحِ البِـيضِ فـي القُلَلِ
هَمّي مُنازَلـةُ الاقـرانِ احسِـبُهـم ... فَرائسي(٨٧) فهمُ منّي علـى وجَـلِ
أمضى على الهَولِ من ليلٍ وأهجَمَ من ... سَيلٍ واقـدمَ فـي الهيجاء مـں أجَلِ
وصـربُ كالعاده الـمكسالِ مضجعُها ... على الحَشايا وراءَ السُّجفِ والكِـلَلِ
قد كدتُ أعص مـں طُولِ الثّواء كما ... بصدّى الهِـبد طولُ اللّبث في الحُلَلِ
ارُوحُ بعد دُروع الحربِ فـي حُلَلٍ ... مـں الدَّبيقـي فبُوساً لـي وللحُلَلِ
وما الرَّفاهـهُ مِـں رامـى ولا ارَبـي ... ولا التنعُّمُ مِـں ساـي ولا شُغُلـي
ولستُ ارصى بلوغَ المجدِ في رَفَهٍ ولا العُلَى دون حَطمِ البِيضِ والاَسَلِ(٨٨)

وكنت اظنُّ ان الرمان لا يبلى حديدُه، ولا يهي سدده، واني ادا عدت الى الساُم وجدت به ايّامي كعهدي، ما غيَّرها الرمان بعدي٠ فلمّا عدتُ كدّبتني وعود المطامع، وكان دلك الظنّ كالسراب اللامع٠ اللهمّ عفراً هده حملة اعتراصيَّة عرصت، و بفثة(٨٩) همٍّ اقصتْ ثم انقصت

(٨٦) قابل القرآن ٢١ ٦٦ و٣٦ ٦٨

(٨٧) «فرا سى» في الاصل

(٨٨) قابل ابن عساكر «التاريخ الكبير» (دمشق ١٣٣٢) ٢ ٣ ٤

(٨٩) «و بعه» في الاصل

ركوب الاخطار لا ينقص الاعمار

اعود الى المهمّ، وادع تعسّف الليل المدلهمّ. لو صفت القلوبُ من كدر الذنوب، [و] فوّضت الى عالم الغيوب، علمت ان ركوب اخطار الحروب، لا ينقص مدّة الاجل المكتوب

فاني رأيت يوم تقاتلنا نحن والاسماعيليّة في حصن شيزر معتبراً(٩٠) يوضح للشجاع العاقل، والجبان الجاهل، ان العمر موقّت مقدَر، لا يتقدّم اجله ولا يتأخر. وذلك انّا بعد فراغنا ذلك اليوم من القتال، صاح انسان من جانب الحصن «الرجال!» وعندي [٥ و] جماعة من اصحابي معهم سلاحهم. فبادرنا الى الذي صاح. فقلنا «ما لك؟» فقال «حسّ الرجال هاهنا». فجئنا الى اصطبل خال مظلم. فدخلناه فوجدنا فيه رجلين معهما سلاحهما، فقتلناهما ووجدنا رجلاً من اصحابنا مقتولاً، وهو على شيء، فرفعناه وجدنا تحته رجلاً من الباطنيّة قد تسجّى ورفع المقتول على صدره. فحملنا صاحبنا وقتلنا الذي كان تحته ووضعنا صاحبنا في الجامع بالقرب من ذلك المكان وفيه جراح عظيمة، ولا شكّ انه ميت لا يتحرّك ولا يتنفّس. وانا والله كنت احرّك رأسه على بلاط الجامع برجلي، ولا شك انه ميت(٩١) وكان المسكين اجتاز بذلك الاصطبل فسمع حساً. فادخل رأسه ليحقّق السماع، فجذبه واحد منهم وضربوه بالسكاكين حتى ظنّوا انه قد مات. فقضى الله سبحانه ان خُيّطت تلك الجراح في رقبته وفي جسمه وعوفي وعاد من الصحة الى ما كان عليه. فتبارك الله مقدّر الاقدار وموقّت الآجال والاعمار

وشاهدت ما يقارب ذلك وهو ان الافرنج، لعنهم الله، اغاروا(٩٢) علينا ثلث الليل الآخر. فركبنا نريد تبعهم. فمعنا عمّي عزّ الدين،

(٩٠) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»

(٩١) هذه العبارة تكرّرت بحروفها في سطر ثان اما للتاكيد او سهو من الناسخ

(٩٢) «عاروا» في الاصل

رحمه‌الله، من اتباعهم وقال «هده مكيدة. والاعارة تكون بالليل». وحرج من البلد رجّالة حلفهم ما علمنا بهم. ووقع الافرنج بعضهم عند رجوعهم فتلوهم وسلم بعضهم

واصبحت انا واقفاً في بدر قبين قرية عند المدينة فرأيت ثلاثة شخوص مقبلة اما اثنان فكالناس، واما الاوسط فما وجهه كوجوه الناس. فلما دنوا منا واذا الوسطاني منهم قد ضربه افرنجي بسيف في وسط انفه فقطع وجهه الى اذنيه، وقد استرخى نصف وجهه صار على صدره. وبين النصفين من وجهه فتح قريب من شبر وهو يمشي بين رجلين. فدخل البلد وخاط الجرائحي وجهه وداواه. فالتحم ذلك الجرح، وعوفي وعاد الى ما كان عليه الى ان مات على فراشه. كان بيع الدواب ويسمّى ابن عاري المسطوب. وانما سُمّي المسطوب بتلك الضربة

فلا يظن ظان ان الموت يقدّمه ركوب الخطر، ولا يؤخّره شدّة الحذر، ففي بقائي اوضح معتبر. فكم لقيت من الاهوال، وتقحّمت المخاوف والاخطار، ولاقيت الفرسان، وقتلت الاسود، وضُربت بالسيوف، وطُعنت بالرماح، وجُرحت بالسهام [٥ ق] والجروح ـ وانا من الاجل في حصن حصين ـ الى ان بلغتُ تمام التسعين، فرأيت الصحّة والبقاء، كما قال صلّى الله عليه وسلّم «كفى بالصحة داءً». فأعقبت النجاةُ من تلك الاهوال، ما هو اصعب من القتل والقتال وكان الهلاك في كنه الجيش، اسهل من تكاليف العيش استرجعت منّي الايّامُ بطول الحياة، سائرَ محبوب اللذّات. وشابَ كدرُ النكد، صفو العيش الرغد. فانا كما قلت

مع الناس شاب الدهرُ في جَلَدي وبان بي ضعفُ رجلي واضطرابُ يدي
اذا كتبتُ فخطّي خطُّ(٩٣) مضطَرِبٍ كخطّ مُرتَعِشِ الكفّين مُرتَعِدِ
فاعجب لضعف يدي عن حملها قَلَماً من بعد حَطم القنا في لبّة الأسدِ
وان مشيتُ وفي كفّي العصا ثقُلت رجلي كأنّي اخوض الوحلَ في الجَلدِ

(٩٣) «خط» في الاصل «خط» في ابن اسامه ١ ١١٤

فهل لمن تمنّى طولَ مُدّته هذي عواقب طول العُمر والمُدد(٩٤)

ضعفت القوّة ووهت، وتقضّت بُلَهنيةُ العيش وانبتت. وبكسي العمر بين الانام، والى الخمول يؤول تغيُّرُ الظلام، حتى اصبحت كما قلت

تناسيَ الاحوال حتى كانّني درنيةٌ(٩٥) سفرٍ بالفلاة حَسيرُ
ولمّا يدع منّي الثمانون مُنّةً كانّني اذا رُمتُ القيام كَسيرُ
أؤدّي صلاتي قاعداً وسجودُها عليَّ اذا رُمتُ السُجودَ عَسيرُ
وقد انذرتني هذه الحالُ انّني دَنَت رِحلةٌ منّي وحان مَسيرُ

مديح صلاح الدين

اعجزني وهن السنين، عن خدمة السلاطين. فهجرت مغشَى ابوابهم، وقطعتُ اسبابي من اسبابهم، واستقلتُ من خدمهم، ورددت عليهم ما خوّلوني من نعمهم، لعلمي ان ضعف الهرم، لا يَقوى على تكالف الخدم، وان سوق الشيخ الكبير، لا ينفق على الامير. ولزمت داري، وجعلت الخمول شعاري. ورضيت نفسي بالانفراد في الغربة، ومفارقة الاوطان والتربة، الى ان تسكن نفارتها عن مرارتها(٩٦). وصرتُ صبر الاسير على قِدّه، والظمآن ذي الغلّة عن ورده. [فاداني اليه(٩٧)] مكاتبة مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، سلطان [٥١ و] الاسلام والمسلمين، جامع كلمة الايمان، قامع عَبَدة الصلبان، رافع علم العدل والاحسان، محيي دولة امير المؤمنين ابو المظفّر يوسف بن ايّوب. جمّل الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه، وايّدهم بماضي سيوفه وارائه، واضفى عليهم وارفَ ظلّه، كما اصفى لهم من الاكدار موارد فضله، وانفذ في البسيطة عالي اوامره ونواهيه، وحكّم صوارمه في اعناق اعاديه، برحمة

(٩٠) ابو شامة ١ ١١٤ نفس هذه الابيات وقائلها
(٩٥) «ردنّة» في عماد الدين الكاتب الاصفهاني «خريدة القصر وجريدة العصر» (طبعة دربورغ) ص١٤٢ (٩٦) الكلمات الاربع الاخيرة نصف ممحوّة في الاصل
(٩٧) كلمتان ممحوتان في الاصل والاشارة لا شك الى دعوة صلاح الدين لاسامة سنة ١١٧٤ وكان أسامة مقيما في حصن كيفا من اعمال ديار بكر

تقت عنّي في البلاد ودوي الحَزن والسهل، بمصيعة من الارض لا مال لديّ ولا اهل. فاسقدني مـن ايات الوائت(٩٨) برأيه الجميل، وحملني الى مابه العالي(٩٩) بانعامه العامر الجزيل. وحبّر ما هاصه الزمان مني، وهو على كرمه ما كسد عليّ من سواه من علوّ ستي. فعمر بي عرائب الرعائب، وا بهيى(١٠٠) من انعامه اهى(١٠١) المواهب، حتى رعى لي بعائص الكرم، ما اسلفت سواه من الحدم. فهو يعتدُ لي بدلك و برعاه، رعاية من كأنه ساهده وراه. فعطاياه تطرقني وانا راقد، وتسري اليّ وانا محتسب قاعد. فانا مـن إنعامه كلّ يـوم فـي مزيد، وإكرام ككرمة الأهل وانا اقلّ العبيد. امسّي جميلُ رأيه حادث الحادثات، واحلف لـي إنعامه ماسلبه الزمـان بالنكبات المجحفات. وافاض عليّ من بوافل فضله بعد تأدية فرضه وسُنّه(١٠٢)، ما يعجز الاعناق عـن حمل ايسر مِنّه ولم يُبق لـي جودُه املاً ارجو بيله، اقضي زمانـي بالدعاء له نهاره ولبله. والرحمه التي بدارك بها العباد، واحيى بركاتها البلاد والسلطان الذي احيى سُنّه الخلفـاء الراشدين، واقـام عمود الدوله والدين. والبحر الذي لا ينضب لكثرة الواردين ماؤه، والجواد الذي لا ينقطع مع تتابع الوافدين عطاؤه. فلا زالت الأمّة من سيوفه فـي حمىً منيع، ومن إنعامه في ربيع مريع. ومن عدله في انوار تكسف عنهم ظُلَمَ المظالم، وتكفّ بسطة يد المعتدي الغاشم، ومن دولته القاهرة في ظلٍ وارف، وفي سعود متتابع آنفٍ في اثر سالف، ما تعاقب الليل والنهار، ودار الفلك الدوار

(٩٨) بعد وفاة فخرالدين قرا ارسلان (١١٦٧) صاحب حصن كيفا لم يحفل ابنه نور الدين باسامة

(٩٩) في دمشق. وكان مرهف بن اسامه مقرّبا من صلاح الدين وربما كان هو الذى حمل مولاه على استدعا والده الشيخ

(١٠٠) كذا في الاصل ولعلها «واهنى» — واهنا بي

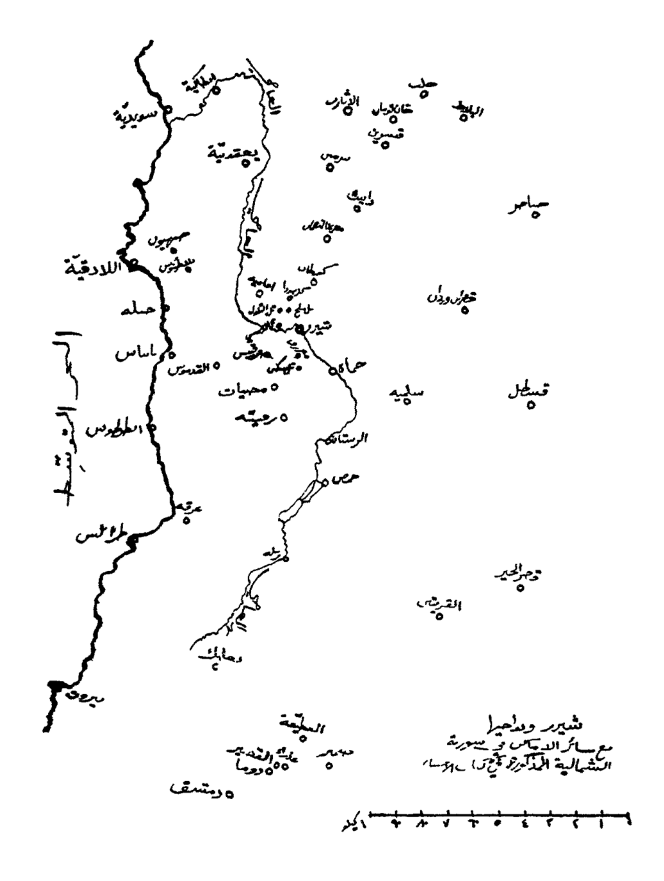
(١٠١) كذا في الاصل ولعل المراد «اهنا»

(١٠٢) «وسنه» في الاصل

دعوب وقد أمسى الحافطان(٣ ١) ودو العرس ممن دعاه قريب
وقد قال سحانه للعباد سلوني فاني سميع مجيب(٤ ١)

والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين.
وحسبنا الله ونعم الوكيل(١٠٥)

(٣ ١) ملاكان القرآن ٦ ٦١ و٨٢ ١
(٤ ١) قابل القرآن ١١ ٦٤
(٥ ١) قابل القرآن ٣ ١٦٧



انطاكية
سويدية
حلب
الاثارب
البابك
قنسرين
سرمين
صباحر
اللاذقية
جبلة
بانياس
انطرطوس
عرقه
طرابلس
بيروت
شيزر
حماة
سلمية
الرستن
حمص
القريتين
دمشق
شيزر ونواحيها
مع سائر الاماكن في سورية
الشمالية المذكورة في كتاب الاعتبار
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ كيلو

الباب الثاني
نكت ونوادر

الباب الثاني

نكت ونوادر

[٥١ ق] وما بكم من نعمة فمن الله(١)

فصل(٢)

قال اُسامة بن مرشد بن عليّ بن مقلَّد بن نصر بن منقذ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين هذه طُرَف اخبار حضرت بعضها وحدّثني بعضها من اثق به جعلتُها الحاقاً في الكتاب، اذ ليست ممّا قصدتُ ذكره فيما تقدّم. وابتدأت منها بأخبار الصالحين، رضي الله عنهم اجمعين

(١) القرآن ١٦ ٥٥ ولعل الآية حشو من الناسخ
(٢) هذا العنوان هو الوحيد من نوعه في الاصل

١ ـ أحبار الصالحين

نصيرة النصري

حدّثني الشيخ الامام الخطيب سراج الدين ابو طاهر ابرهيم بن الحسين ابن ابرهيم خطيب مدينة إسعرد(٣) بها في ذي القعدة سنة اثنتين وستّين وخمس مائة(٤) قال حدّثني ابو الفرج البغدادي(٥) قال «شهدتُ مجلس الشيخ الامام ابي عبد الله محمَّد النصريّ ببغداد وحضرته امرأة. فقالت «ياسيّدي انك كنت ممن شهد في صداقي. وقد فقدتُ كتاب المهر. واسألك(٦) ان تتفضّل عليّ تقيم الشهادة بمجلس الحكم». فقال «ما افعل حتى تأتيني بحلاوة». فوقفت المرأة وهي تظنّ انه يمزح بقوله فقال «لا تطيلي. لا امضي معك الا ان تأتيني بالحلاوة». فمضت ثم عادت فاخرجت من جيبها من تحت الازار قرطاساً فيه حلاوة يابسة. فتعجّب اصحابه من طلبه الحلاوة مع زهده وتعفّفه. فاخذ القرطاس وفتحه ورمى بالحلاوة قطعة قطعة حتى فرغ القرطاس. ونظره فاذا هو(٧) كتاب صداق المرأة الذي فقدته. فقال «خذي صداقك. فهذا هو». فاستعظم من حضره ذلك. فقال «كلوا الحلال(٨) وقد فعلتم ذلك واكثر منه»»

سمع ابن قيس

حدّثني الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم بن قاسم(٩) الحمويّ بها

(٣) من اعمال ديار بكر «إسعرب» في ياقوت ٢ ٣٤١ و ٣٨
(٤) ١٩ آب ــ ١٧ ايلول سنه ١١٦٧
(٥) ابن الجوزي المتوفى سنه ١ ١٢ ترجمة ابن خلكان ١ ٥ ــ ١ ٥
(٦) «واسلك» في الاصل
(٧) «ما هو» في الاصل
(٨) قابل القرآن ٢ ١٦٣ و ٥ ٩ و ٨ ٧
(٩) «قسم» اديناه ــ قُسَيم

يوم الاثنين سلح دي الححَّة سة سعيں وحمس مائه(١) قال قدم عليا رحل شريف من اهل الكوفة فحدّثنا قال حدّثني ابي قال كت ادحل على قاصي القصاة الشاميّ الحمويّ فيكرمني ويُحلـّي فقال لي يوماً «انا احبّ اهل الكوفة لسحص واحد منهم· كت نحماة وانا شابّ وقد توفّي بها عبدالله بن ميمون الحمويّ، رحمه الله· فقالوا له ‹اوص› · فقال ‹ادا انا متُ وفرعتم من حهاري احرحوني الى الصحراء ويطلع انسان على الراية التي تسرف على المقابر وينادي ياعبدالله بن القُسس(١١) مات عبد الله بن ميمون، فاحصره وصلِّ عليه› فلمّا مات فعلوا ما امرهم به· واقبل رحل عليه ثوب حام ومئزر صوف من الحانب الذي نادى منه المنادي وحاء حتى صلّى عليه، والناس قد بهتوا لا يكلّمونه· فلمّا فرغ من الصلاة انصرف راجعاً من حيث حاء· فتلاوموا اد لم يتمسّكوا به ويسألوه(١٢)· فسعوا [٥٢ و] في اثره· ففاتهم ولم يكلّمهم كلمة واحده

شهوة شيح مائت تتحقق

وقد حصرت ما يقارب دلك في حصن كيفا· وكان في مسجد الحصر(١٣) رحل نُعرَف بمحمَّد السمَّاع(١٤) له زاوية الى حانب المسجد يحرح وقت الصلاه يصلّي جماعة ويعود الى زاويته وهو رحل من الاولياء· فحصرته وهو بالقرب من منزلي الوفاه، فقال «كنت اشتهي على الله تعالى ان يحصرني سحي محمَّد البُستيّ»· فما جُمع له حهاز غسله وكفنه الا وشيخه محمَّد البُستيّ عنده· فتولّى غسله وحرح خلفه تقدّم فصلّى عليه ثم نزل في زاويته فاقام بها مُديده وهو يزورني وانا ازوره· وكان،

(١١) «القسس» في الاصل
(١٢) «و سلوبه» في الاصل
(١٣) «الحصر» في الاصل وقصه الحصر في القرآن ١٨ ٥٩ ــ ٨١
(١٤) «السماع» في الاصل
(١) ١ آب سنة ١١٧٤

رحمه الله، عالماً راهداً ما رأيت ولا سمعت بمثله كان يصوم الدهر ولا يشرب ماء ولا يأكل حبزاً ولا سيئاً مں الحبوب، انما يفطر علـى رمّانتين او عنقود عنب او تفّاحتين ويأكل فـي الشهر مرّة او مرتين لُقيمات مں لحم مقليّ. فقلت له يوماً «ياشيخ ابا عبدالله، كيف وقع لك ان لا تأكل حبزاً ولا تشرب ماء وانت صائم ابداً؟» قال «صمتُ وطَويت فوجدتُـي اقوى علـى دلك. فطوىت بلـاً وقلت ‹اجعل مـا آكلُـه كالميتة(١٥) التي تحلّ للمصطرّ بعد ىلث›. فوجدتُني اقوى علـى دلك فتركتُ الاكـل وشرب المـاء فألفت النفسُ دلـك وسكنت اليه فاستمررت(١٦) على ما انا عليه»

وكان بعض اكابر حمص كيفا قد عمل للشيخ زاوية في بستان جعله له. فحضر عندي في اوّل شهر رمضان وقال «قد جئتُ مودّعاً». قلت «والزاوية التي قد اُعدّت لك والبستان؟» قال «ياأخي، ما لي حاجة فيهما. ولا اقيم». وودّعني ومضى، رحمه الله. ودلك سنة سبعين وخمس مائة(١٧)

وهو في المعرّة يسعر بموت آخر في مكّة

وحدّثني الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم بن قُسيم(١٨) الحمويّ بحماة في التأريخ المتقدّم(١٩) ان رجلاً كان يعمل في بستان لمحمّد ابن مِسعر، رحمه الله، اتى اهله وهم جلوس على ابواب دورهم بالمعرّة فقال «سمعت الساعة عجباً!» قالوا «وما هو؟» قال «مرّ بي رجل معه ركوة طلب منّي فيها مـاء فاعطيته فجدّد وضوءه. واعطيته خيارتين فابى ان يأخدها. فقلت ‹ان هـدا البستان بعضه لـي بحقّ عملي. ولمحمّد بن مسعر بعضه بالملك›. فقال ‹احَجّ العام؟› قلت ‹نعم›. قال ‹البارحة

(١٥) القرآن ٢ ١٦٨
(١٦) «فاسمرت» في الاصل
(١٧) ١ آب سنة ١١٧٤ ــ ٢١ تموز سنة ١١٧٥
(١٨) «قُسم» في الاصل و «قاسم» اعلاه
(١٩) ٥٧ او ١١٧٤ ــ ٧٥

بعد انصرافنا من الوقفة مات وصلّينا عليه»». فخرجوا في اثره ليستفهموا منه فرأوه على بُعد لا يمكنهم لحاقه. فعادوا وورخّوا(٢٠) الحديث فكان الامر كما قال

علي يداوي قيّم مسجده

حدّثني الاجلّ شهاب الدين ابو الفتح المظفّر بن اسعد بن مسعود بن بَختكين بن سَبُكتَكين مولى معزّ الدولة ابن بويه بالموصل فـي ثامن عشر شهر رمضان سنة خمس وستّين وخمس مائة(٢١) [٥٢ ق] قال «زار المقتفي بامر(٢٢) الله امير المؤمنين، رحمه الله، مسجد صَنْدُوديا(٢٣) بظاهر الأنبار على الفرات الغربيّ، ومعه الوزير وانا حاضر. فدخل المسجد وهو يُعرف بمسجد امير المؤمنين عليّ، رضوان الله عليه، وعليه ثوب دمياطيّ(٢٤) وهـو متقلّد سيفاً حليته حديد لا يَدري انّه امير المؤمنين الا من يعرفه فجعل قيّم المسجد يدعو للوزير فقال الوزير «ويحك! ادعُ لامير المؤمنين». فقال له المقتفي، رحمه الله «سله عمّا ينفع قل له ما كان من المرض الذي كان في وجهه؟ فاني رأيته في ايّام مولانا المستظهر، رحمه الله، وبه مرض في وجهه». وكان في وجهه سلعة قد غطّت اكثر وجهه فاذا اراد الأكل سدّها بمنديل حتى يصل الطعام الى فمه فقال القيم «كنتُ كما تعلم، وانا اتردد الى هذا المسجد من الانبار فلقيني انسان فقال لو كنت تتردّد الى فلان (يعني مقدّم الانبار) كما تردّد الى هذا المسجد لاستدعى(٢٥) لك طبيباً يزيل هذا المرض من وجهك. فخامر قلبي من قوله شيء ضاق له صدري فنمت تلك الليلة

(٢٠) لعله في «ارّخوا»
(٢١) ٥ حزيران سنة ١١٧٠
(٢٢) لامر (؟)
(٢٣) «صَنْدوداء» بموجب جغرافيي العرب
(٢٤) راجع اعلاه ص١١ ح٢٥
(٢٥) «لاستدعا» في الاصل

فرأيت امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضوان الله عليه وهو في المسجد يقول ما هذه الحصيرة؟ (يعني حصره في الارض)· فسكوت اليه ما بي، فاعرض عنّي· ثم راجعته وسكوت اليه ما قاله لي ذلك الرجل فقال انت ممن يريد العاجلة(٢٦)· ثم استقطتُ والسلعه مطروحه الى جانبي وقد زال ما كان بي، فقال المفتي، رحمه الله، «صدق»· ثم قال لي(٢٧) «تحدّث معه وانصر ما تلتمسه واكتب به توقيعاً واحضره لأُعلم عليه»، فتحدّثت معه فقال «انا صاحب عائلة وبنات· واريد في كلّ شهر ثلاثه دنانير»· فكتبت عنه مطالعة وعنوَنتها الخادمُ قثّم مسجد عليّ فوقّع عليها بما طلب وقال لي «امضِ بتها في الديوان»· فمضيت ولم اقرأ(٢٨) منها سوى «يوقع له بذلك»· وكان الرسم ان يكتب لصاحب المطالعه توقيعٌ ويوجد منه ما فيه خط امير المؤمنين فلمّا فتحها الكاتب لينقلها وجد تحت «قيّم مسجد عليّ» «بخط المفتي امير المؤمنين» ـ صلوات الله عليه· ولو كان طلب اكثر من ذلك لوقّع له به»

التي يرسل فقيرًا الى ملكشاه

وحدّثني القاضي الامام مجد الدين ابو سليمان(٢٩) داود بن محمّد ابن الحسن بن خالد الخالديّ، رحمه الله، بظاهر حصن كيفا يوم الخميس ثاني وعشرين ربيع الاوّل سنة ستّ وستّين وخمس مائه(٣) عن من حدّثه ان شيخاً استأذن على خواجا بزرك(٣١)، رحمه الله فلمّا دخل

(٢٦) القرآن ١٧ ١٩

(٢٧) الضمير يرجع للمحدّث شهاب الدين ابي الفتح المظفّر

(٢٨) «اقر» في الاصل

(٢٩) «سلمن» في الاصل

(٣) ٣ كانون الاول سنه ١١٧

(٣١) او «بزرگ» معرب «بزرك» الفارسيه ومعناها العظيم واللقب «خواجا بزرك» ـ الوزير يلقب به نظام الملك وزير ملكشاه وفي «كتاب العصا» لأسامه (طبعه درنبورغ ١٨٩٣) ص١٢ «خواجا بزرك نظام الدين سلامي»

عليه رآه شيخاً مهيباً بهياً(٣٢)٠ فقال «من اين الشيخ؟» قال «من عرنة»٠ قال «الك حاجه؟» قال «انا رسول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [٥٣ و] الى ملكشاه»٠ قال «ياشيخ، ايّ شيء هذا الحديث؟» قال «ان اوصلتني اليه بلّغتُه الرسالة والا فانا لا ازول حتى احتمع به وابلّغه ما معي»

فدخل حواجا بزرك على السلطان فاعلمه بما قاله الشيخ فقال «احضروه»٠ فلمّا حضر قدّم للسلطان مسواكاً ومشطاً وقال له «انا رجل لي بنات٠ وانا فقير لا اقدر على جهازهن وترويجهن٠ وكلّ ليلة ادعو الله تعالى ان يرزقني ما اجهّزهن به فبتّ ليلة الجمعة من شهر كذا ودعوتُ الله سبحانه بمعونتي عليهن٠ فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما يرى النائم فقال لي «انت تدعو الله تعالى ان يرزقك ما تجهّز به بناتك؟» فلت «نعم يارسول الله»٠ فقال «امضِ الى فلان (وسمّاه بعر(٣٣) ملك شاه ـ يعني السلطان) وقل له قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جهّز بناتي»٠ فقلت «يارسول الله، ان طلب مني علامة ما اقول له؟» قال «قل له بعلامه انك كلّ ليلة عند النوم تقرأ سورة تبارك»»٠ فلمّا سمع ذلك السلطان فقال «هذه علامة صحيحة٠ وما اطّلع عليها غيرالله تبارك وتعالى فان مؤدّبي امرني ان اقرأها كل ليلة عند النوم وانا افعل ذلك» ثم امر له بكلّ ما طلبه لتجهيز بناته واجزل عطيّته وصرفه

وآخر الى الوزير عليّ بن عيسى

ويتبعه هذا الحديث ما سمعته عن ابي عبدالله محمّد بن فاتك(٣٤) المقرىء قال «كنت اقرأ يوماً على ابي بكر بن مجاهد رحمه الله المسرىء ببغداد اذ ورد عليه شيخ عليه عمامة رثّة وطيلسان وثياب رثّة وكان ابن مجاهد يعرف الشيخ فقال له «ابن(٣٥) كان من خبر الصبية؟» قال

(٣٢) «بهيا» في الاصل
(٣٣) «بعر» في الاصل
(٣٤) «فاتك» في الاصل
(٣٥) عامه اي بني

،يا ابا بكر(٣٦)، جاءتني الجارية ابنة بالبة فطلبت منّي اهلي دانقاً(٣٧) يشترون به سمناً وعسلاً يحنّكونها به فلم اقدر عليه. فبتُّ مهموماً فرأيت النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، فيما يرى النائم. فقال لا تغتمّ ولا تحزن. واذا كان غداً فادخل على عليّ بن عيسى وزير الخليفة(٣٨) فاقرأه(٣٩) منّي السلام وقل له بعلامة انّك صلّيت عليّ عند قبري(٤٠) اربعة الاف مرّة ادفع لي مائة دينار عيناً،

فقال ابو بكر بن مجاهد ،يا ابا عبد الله في هذا فائدة،. وقطع على القراءة واخذ بيد الشيخ وقام فدخل به على عليّ بن عيسى. فرأى عليُّ ابن عيسى مع ابن مجاهد شيخاً لم يعرفه فقال ،من اين لك يا ابا بكر هذا؟، فقال ،تُدنيه الوزير ويسمع منه كلامه،. فادناه وقال ،ما خطبُك ياشيخ؟، فقال الشيخ ،ان ابا بكر بن مجاهد يعلم ان لي ابنتين. والجارية جاءتني بالثة فطلبتْ منّي اهلي دانقاً يشترون به عسلاً وسمناً يحنّكونها به فلم اقدر عليه فبتُّ الجارحة وانا مهموم. [٥٣ ق] فرأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام وهو يقول لا تغتمّ ولا تحزن. اذا كان غداً فادخلْ على عليّ بن عيسى واقرِه (٤١) منّي السلام وقل له بعلامة انك صلّيت عليّ عند قبري اربعة الاف(٤٢) مرّة ادفع لي مائه دينار عيناً،. قال [ابن] مجاهد فاغرورقت عينا عليّ بن عيسى بالدموع. ثم قال صدق الله ورسوله وصدقتَ ايّها الرجل. هذا شيء ما كان علم به الا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم. ياغلام هات الكيس. فاحضره بين يديه. فضرب بيده اليه فاخرج منه مائة دينار وقال هذه المائة التي قال

(٣٦) «با ابا بكر» في الاصل
(٣٧) «دانــق» الفارسيه ـ سدس الدرهم
(٣٨) المقتدر بالله (٨ ٩ ـ ٣٢)
(٣٩) «فاقره» في الاصل
(٤٠) قبر النبي
(٤١) «واقره» في الاصل
(٤٢) «الف» في الاصل

لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم· وهده مائة احرى للساره· وهده مائة احرى هديّة منّا لك· فحرح الرحل من عده وفي كمّه ثلاثمائة دينار»

عليّ يسمي مفلوحاً

وحدّثني القائد(٤٣) الحاجّ ابو عليّ في شهر رمضان في سة ثمان وستّين وحمس مائة(٤٤) نحصن كما قال «كنت بالموصل حالساً في دكّان محمّد بن عليّ بن محمّد بن مامة· فاحتاز بنا رحل فُقّاعي(٤٥) صحم عليظ الساقين فدعاه احمد(٤٦) وقال «ياعبد عليّ(٤٧) بالله حدّث فلاناً حديثك» · فقال «انا رحل ابيع الفقّاع كما ترى· فبتُّ ليلة اربعاء وانا صحيح· فانتبهت وقد انحلّ وسطي فلا اقدر على الحركه وبست رحلاي ودقّتا(٤٨) حتى بقيت الحلد والعظم· فكنت ارحف الى وراء لان رحلي ما كانت تسعني ولا كان فيها حركه بالحمله فقعدت في طريق زين الدين عليّ كوحك رحمه الله فامر بحملي الى داره فحُملتُ· واحصر الاطبّاء وقال اريد ان تداووا هذا· فقالوا نعم نداويه ان شاء الله ثم احذوا مسماراً فاحموه ثم كوّوا به رحلي فما حسست به فقالوا لزين الدين ما نقدر على دواء هذا ولا فيه حيلة· فوهب لي دينارين وحماراً· فبقي الحمار عندي نحواً من شهر ومات فعدت فقعدت في طريقه· فوهب لي حماراً احر فمات ووهب لي حماراً ثالثاً فمات· فعدت الى سؤاله· فقال لواحد من اصحابه احرج بهذا فارمه في الخندق· فقلت له بالله ارمني على وركي فاني ما احسّ فيها بما يكون· فقال ما

(٤٣) على ما به الطبرى ٣ ١٧٩٩

(٤٤) ١٦ نيسان ــ ١٥ ايار سنة ١١٧٣

(٤٥) بائع الفُقّاع، شراب من الشعير يعلوه الزبد

(٤٦) كذا في الاصل والمطلوب «محمد»

(٤٧) يظهر انه كان شيعيا

(٤٨) «ودقت» في الاصل عامية

ارميك الا على رأسك. فاذا رسول زين الدين رحمه الله قد جاءني فردّني اليه ــ وكان الذي قاله من رميي مراحاً. فلمّا احضروني بين يديه اعطاني اربعة دنانير وحماراً

فبقيت على ما انا عليه الى ليلة رأيت فيها فيما يرى النائم كأنّ رجلاً وقف عليّ وقال قم قلت من انت؟ قال انا عليّ بن ابي طالب. فقمت ووقفت. فأنبهت امرأتي وقلت ويحكِ! قد ابصرت كذا وكذا! فقالت ها انت قائم. فمشت على رجلي وزال ما كان بي ورجعت كما رأيي. فمضيت الى عند زين الدين الامير عليّ كوجك رحمه الله فقصصت عليه منامي ورآني [٥٤ و] قد زال ما رآه بي فاعطاني عشرة دنانير».

فسبحان الشافي المعافي

جزاء الامانة

حدّثني الشيخ الحافظ ابو الخطّاب عمر بن محمّد بن عبد الله بن معمر العُلَيمي بدمشق اوائل سنة اثنين وسبعين وخمس مائة(٤٩) قال حكى لي رجل ببغداد عن القاضي ابي بكر محمّد بن عبد الباقي بن محمّد الانصاريّ الفَرَضيّ المعروف بقاضي المارستان انه قال «لمّا حججت بينا اطوف بالبيت اذ وجدت عقداً من اللؤلؤ فشددته في طرف احرامي فبعد ساعة سمعت انساناً ينشده في الحرم وقد جعل لمن يردّه عليه عشرين ديناراً. فسألته علامة ما ضاع له فاخبرني. فسلّمته اليه. فقال لي ‹تجيء معي الى منزلي لادفع اليك ما جعلته لك›. فقلت ‹ما لي حاجة الى ذلك. وما دفعته اليك بسبب الجعالة. وانا من الله بخير كثير› فقال ‹ولم تدفعه الا لله عزّ وجلّ؟› فقلت ‹نعم›. فقال ‹استقبل بنا الكعبة وأمّن على دعائي›. فاستقبلنا الكعبة فقال ‹اللهمّ اغفر له وارزقني مكافأته›. ثم ودّعني ومضى

ثم اتّفق انني سافرت من مكّة الى ديار مصر. وركبت في البحر

(٤٩) هذه السنة ابتدأت في ١ تموز سنة ١١٧٦

متوجهاً الى المعرب. فاحدت الرومُ المركبَ وأُسرتُ فيمن أسر. فوقعتُ في نصيب بعض القسوس. فلم ارل احدمه الى ان دنت وفاته. فاوصى با طلاقي

فحرحت من بلد الروم فصرت الى بعض بلاد المعرب. فحلست اكتب على دكان حنّار وكان دلك الحنّار عامل بعض بُناة تلك المدينه. فلمّا كان في رأس الشهر حاء غلام دلك البابي(٥٠) الى الحنّار فقال «سيّدي يدعوك لمحاسبه». فاستصحبني معه ومضينا اليه فحاسبه على رفاعه. فلمّا رأى معرفتي في الحساب وحطّي طلبني من الحنّار فعبّر بابي(٥١) وسلّم اليّ حباية ملكه وكانت له نعمة صحمة. واحلى(٥٢) لي بيتاً في حانب داره

فلمّا مضت مُديدة قال لي «يا ابا بكر ما رأيتك في التزويج؟» قلت «ياسيّدي انا لا اطيق نفقة نفسي فكيف اطيق النفقة على روحة؟» قال «انا اقوم عنك بالمهر والمسكن والكسوه وحميع ما يلزمك». فقلت «الامر لك». فقال «ياولدي ان هده الزوحة فيها عيوب شتّى» ـ ولم يترك شيئاً من العيب في الحلقة من رأسها الى قدمها الا دكره لي وانا اقول «رضيت». وباطني في دلك كظاهري. فقال لي «الروحه ابنتي». واحضر حماعه وعقد العقد

فلمّا كان بعد ايّام قال لي تهيّأ لدخول بنتك. ثم امر لي بكسوه فاحرة ودخلت الى دار فيها التحمّل [٥٤ ق] والآلات. ثم أُحلست في المرتبه، وأُخرجت العروسُ تحت النمط. فقمتُ لتلقيها فلمّا كشفتُ النمط رأيت صورةً ما رأيت في الدنيا احمل منها فهربت من الدار خارجاً. فلقيني الشيخ وسألني عن سبب هربي. فقلت «ان الروحة ما هي التي دكرتَ لي فيها من العيوب ما دكرتَ» فتبسّم وقال «ياولدي

(٥٠) و «البابى» هو صاحب الاملاك الراسعه

(٥١) «بابى» فى الاصل «باءى» طبعه در سورح ص١٣٢

(٥٢) «واحلا» فى الاصل

هي روحك. وليس لي ولد سواها. وانما دكرت لك ما دكرتُ لئلا تسقلّ ما تراه». فعدتُ وحُليت عليّ

فلمّا كان من الغد جعلتُ اتأمل ما عليها من الحلى والجوهر الفاخر. فرأيت من جملة ما عليها العقد الذي وجدتُه بمكّة. فعجبت من ذلك. واستغرقني الفكر فيه. فلمّا خرجتُ من النساء استدعاني وسألني عن حالي وقال «جَدَعَ الحَلالُ انفَ الغَيره». فشكرته على ما فعله معي. ثم استولى عليّ الفكر في العقد ووصوله اليه. فقال لي «فيمَ تفكر» فقلت «في العقد الفلاني فاني وجدت في السنة الفلانيّة فوجدته في الحرم او عقداً(٥٣) يشبهه». فصاح وقال «انت الذي رددت عليّ العقد؟» قلت «انا ذاك». فقال «ابشر. فان الله قد غفر لي ولك. فاني دعوت الله سبحانه في تلك الساعة ان يغفر لي ولك وان يرزقني مكافأتك. وقد سلّمت اليك مالي وولدي وما اظنّ اجلي الا وقد قرب». ثم اوصى اليّ ومات بعد مُديده قريبة رحمه الله»

(٥٣) «عقد» في الاصل

٢ ـ الشفاء بطرق غريبة

شرب البيض يشفي الجرّاح

وحدّثني الأمير سيف الدولة زنكي بن قَراجا، رحمه الله، قال «دعانا ساهساه بحلب (وهو روح احه)• فلمّا اجتمعاعده بقّدنا الىصاحب لنا كنّا نعاشره ونادمه خفيف الروح طيّب العسرة فاسدعيناه• فحضر• فعرضنا عليه الشرب فقال «انا محتم(١) امرني الطبيب بالحمية ايّاماً حتى تُسَوّ هذه السلعة»• وكان فى مؤخر رقبته سلعة كبيرة• فقلنا «وافقنا اليوم وتكون الحمية من غد» ففعل وشرب معنا الى اخر النهار• فطلبنا من ساهساه شيئاً نأكله فقال «ماعندي شيء(٢)»• فلاححناه حتى اجانا الى ان نُحضر لنا بيضاً نَقليه على المَنقل• فاحضر البيض• واحضرنا صحناً وكسرنا البيض وافرغنا ما فيه في الصحن ووضعنا المِقلَى على المنقل ليحمَى• فاشرت الى ذلك الرجل الذي في رقبته السلعة ان يشرب البيض• فرفع الصحن على فمه ليشرب بعضه فاساب جميع ما في الصحن في حلقه فشربه• وقلنا لصاحب الدار «عوّضنا عن البيض»• فقال «والله ما افعل»• فسرنا ثم افترقنا

فانا في السحر في فراشي والباب يُقرَع• فخرجت جارية تنظر من بالباب• فاذا هو صديقنا ذلك• فقلت [٥٥ و] «احضريه» فجاءني وانا في الفراش وقال «يامولاي» تلك السلعة التي كانت في رقبتي ذهبت وما بقي لها اثر» فنظرت موضعها فاذا هو كغيره من جوانب رقبته فقلت «ايّ شيء اذهبها؟» قال «الله سبحانه ما عرفت اني استعملت شيئاً ما كنت

(١) «محتمى» فى الاصل
(٢) «سا» فى الاصل

استعمله غير شربي لذلك(٣) البيض النيء»· فسبحان القادر المبلي المعافي

اكل العريان يسمي من الفتق

وكان عندنا في شيزر اخوان اسم الاكبر مظفّر والاخر مالك(٤) بن عيّاض من اهل كفر طاب· وهما تاجران(٥) يسافران الى بغداد وغيرها من البلاد· ومظفّر آدر له(٦) فتيلة عظيمة فهو منها في تعب· فسار في قافلة على السماوة(٧) الى بغداد· فنزلت القافلة بحيّ من احياء العرب، فضيّفوهم بطيور طبخوها لهم· فتعشّوا وناموا· فاتته انبه رفيقه الذي في جانبه وقال له «انا نائم او مستيقظ؟» قال «مستيقظ· لو كنت نائماً ما تحدّثت» قال «تلك القيلة قد ذهبت وما بقي لها اثر»· فنظر فاذا هو قد عاد كغيره الى الصحّة

فلمّا اصبحوا سألوا العرب الذين اضافوهم ايّ شيء اطعموهم قالوا «نزلتم بنا وددنا بنا غاربة فخرجنا احدنا فراح عن بان طبخناها لكم» فلمّا وصلوا بغداد دخلوا المارستان وحكوا للمولّي(٨) المارستان حكايته فقصّد حصّل فراخ عربان واطعمها لمن به هذا المرض· فلم تنفعه ولا اثّرت فيه· فقال «تلك الفراخ التي اكلها كان رقّها ابوها افاعي(٩)· فلذلك كان نفعها»

(٣) مكرّرة في الاصل
(٤) «ملك» في الاصل
(٥) «نجار» في الاصل
(٦) «ادركه» مطبوعه در بورغ ص١٣٤
(٧) بادية سوريه
(٨) كذا في الاصل
(٩) «افاعيا» في الاصل

معجزات ابن بطلان في الطب

ومما يشاكل ذلك ان رجلاً اتى يوحنا بن بطلان(١٠) الطبيب المشهور بالمعرفه والعلم والتقدّم في صنعة الطبّ وهو في دكّانه بحلب. فشكى اليه مرضه فرآه قد استحكم به الاستسقاء وكبر بطنه ودقّت رقبته وتغيّرت سحنته. فقال له «ياولدي، ما لي والله فيك حيلة. ولا بقي الطبّ ينجع فيك». فانصرف

ثم بعد مدّة اجتاز به وهو في دكّانه وقد زال عنه ما كان به من المرض وصغر جوفه وحسنت حاله. فدعاه ابن بطلان فقال «ما انت الذي حضرت عندي من مدّة وبك الاستسقاء وقد كبر بطنك ودقّت رقبتك وقلتُ لك «ما لي فيك حيلة»؟» قال «بلى». قال «فبماذا تداويتَ حتى زال ما كان بك؟» قال «والله ما تداويت بشيء. انا رجل صعلوك ما لي شيء ولا لي من يدور بي سوى والدتي عجوز ضعيفة كان لها في دُبّس خلّ فكانت كل يوم تطعمني منه بخبز». فقال له ابن بطلان [٥٥ ق] «بقي من الخلّ شيء؟» قال «نعم». قال «امشِ معي اريني(١١) الدنّ الذي فيه الخلّ» فمشى بين يديه الى بيته اوقفه على دنّ الخلّ. فافرغ ابن بطلان ما كان فيه من الخلّ فوجد في اسفله افعيين(١٢) قد تهرّأتا(١٣). فقال له «يا بنيّ، ما كان يقدر يداويك بخلّ فيه افعيان(١٤) حتى تبرأ الا الله عزّ وجلّ»

(١٠) طبيب مسيحي من بغداد مارس الطب في حلب وانطاكيه. ولقد ترجم له ابن ابي اصيبعه «طبقات الاطبا» (مصر ١٨٨٢) ١ ٢٤١ – ٢٤٣ والقفطي «اخبار الحكما» مصر (١٣٢٦ هـ) ١٩٢ – ٢٠٨

(١١) «ارني» في الاصل

(١٢) «افعاس» في الاصل

(١٣) «تهرتا» في الاصل. قابل ادناه ص٢١٥ ح٩٣

(١٤) «افعاس» في الاصل

يداوي بالحل

وكان لهذا ابن بطلان اصابات عجيبة في الطب فمن ذلك ان رجلاً اتاه، وهو في دكّانه بحلب، والرجل قد انقطع كلامه فلا يكاد يُفهَم منه اذا تكلّم. فقال لـه «ما صنعتك؟» قال «انا مغربل». فقال «احضر لـي نصف رطل خلّ حاذق» فاحضره. فقال «اشربه». فشربـه وجلس لحظة، فذرَعَه القيءُ. فتقيّأ شيئاً كثيراً في ذلك الخلّ. فانفتح حلقه واستوى كلامه فقال ابن بطلان لابنه وتلامذته «لا تداووا بهذا الدواء احداً فتقتلوه. هذا كان قد علق بالمريء من غبار الغربلة تراب ما كان يُخرجه الا الخلّ»

يمتّر بين البرص وحب الصبا

وكان ابن بطلان ملازماً لخدمه جدّي الاكبر ابي المتوج مقلَد بن نصر بن منقذ(١٥). فظهر في جدّي ابي الحسن عليّ بن مقلّد بن نصر ابن منقذ، رحمه الله، وضَحٌ وهو صبي صغير. فاقلق ذلك اباه واشفق عليه من البرص فاحضر ابن بطلان وقال له «انظر ما قد ظهر في جسم عليّ» فنظره وقال «اريد خمس مائـة دينار حتى اداويه واُذهب هذا عنه» فقال له جدّي «لو كنت داويت عليّاً ما كنت رضيت لك بخمس مائة دينار». فلمّا رأى الغضب من جدّي قال «يامولاي، انا خادمك وعبدك وفي فضلك ما قلتُ ما قلتُه الا على سبيل المزح. وهذا الذي على عليّ بهقُ الشباب. واذا ادرك زال عنه. فلا تحمل منه هماً. ولا يقول لك سواي انا اداويه ويتسوّق عليك، فهذا يزول عند بلوغه» فكان كما قال

وكان في حلب امرأة من وجوه نساء حلب يقال لها بَرّة لحقها بردٌ في رأسها. فكانت تعمل عليه القطن العتيق والقلنسوه والمحملة والمناديل

(١٥) «المقلّد بن منقذ الكناني الكفرطابي» في ابن الاثير «الكامل» (طبعة طبرنبرغ) ٩ ٣٤٣

حتى تصير كأنّ على رأسها عمامة كبيره وهي تستغيث من البرد. فاحضرت ابن بطلان وشكت اليه مرضها فقال «حصّلي في غد خمسين مثقالا من كافور رياحيّ عارية(١٦) او مُكرىً من بعض الطيبيّن. فهو يعود اليه بأسره». فحصّلتُ له الكافور. ثم اصبح القى كل ما على رأسها وحشا(١٧) شعرها بذلك الكافور وردّ على رأسها ما كان عليه من الدثار وهي تستغيث من البرد. فنامت لحظة وانتبهت [٥٦ و] تشكو الحر والكرب في رأسها. فالقى عنها شيئاً شيئاً مما كان على رأسها حتى بقي على رأسها قناع واحد. ثم نفض شعرها من ذلك الكافور، وذهب عنها البرد وصارت تتقنّع بقناع واحد

أُسامة والطب

وقد جرى لي بشيزر ما يقارب ذلك. لحقني برد عظيم وقشعريرة من غير حمّى وعليّ الثياب الكثيرة والفرو. ومتى تحرّكتُ في جلوسي ارتعدتُ وقام شعر بدني وتجمّعتُ فاحضرت الشيخ ابا الوفاء تميماً(١٨) الطبيب فشكوت اليه ما اجد فقال «احضِروا لي بطّيخة هنديّ(١٩)». فأُحضِرت. فكسرها وقال لي «كل منها [ما] استطعت». قلت «ياحكيم، انا في الموت من البرد، والرمّان بارد. كيف آكل هذه مع بردها؟» قال «كل كما اقول لك» فاكلت. فما انتهى اكلي منها حتى عرقتُ وزال ما كنت اجده من البرد فقال لي «الذي كان بك من علة الصفراء ما كان من برد حقيقيّ»

حلم يشفي المَغص

وقد تقدّم ذكر شيء من غريب الاحلام. وقد اوردت في كتابي المترجم

(١٦) اي عاره
(١٧) «وحسى» في الاصل
(١٨) «تمم» في الاصل
(١٩) «بطحه هندى» في الاصل

ـ «كتاب النوم والاحلام» من ذكر النوم والاحلام وما قيل فيها وفي اوقات الرؤيا وفي اقوال العلماء فيها، واستشهدت على اقوالهم بما ورد فيها من اشعار العرب ووسّعتُ الشرح واشبعت فيه المعنى. فما حاجة الى ذكر شيء منه هاهنا لكنني ذكرت هذا الخبر واستطرفته فاوردته

كان لجدي سديد الملك ابي الحسن عليّ بن مقلَّد بن نصر بن منقذ، رحمه الله، جارية يقال لها لؤلؤة ربَّت والدي مجد الدين ابا سلامة مرشد بن عليّ، رحمه الله. فلمَّا كبر وانتقل عن دار والده انتقلت معه. فرُزقني فربتني تلك العجوز الى ان كبرتُ وتزوّجتُ وانتقلتُ من دار والدي، رحمه الله، فانتقلت معي ورُزقتُ الاولاد فربَّتهم. وكانت، رحمها الله، من النساء الصالحات صوّامةً قوّامةً وكان يلحقها القولنج وقتاً بعد وقت فلحقها يوماً من الايَّام واشتدّ بها حتى غاب ذهنها، وآيسوها فبقيت كذلك يومين وليلتين. ثم افاقت فقالت «لا اله الا الله! ما اعجب ما كنت فيه! لقيتُ امواتنا جميعهم وحدّثوني بالعجائب وقالوا لي في جملة ما قالوا ‹ان هذا القولنج ما يعود يلحقك›». فعاشت بعد ذلك المدّة الطويلة لم يلحقها قولنج

وعاشت حتى قاربت المائة سنة. وكانت محافظة لصلواتها، رحمها الله. فدخلتُ اليها في بيت افردتُه لها من داري وبين يديها طست وهي تغسل منديلاً للصلوات. فقلت «ما هذا ياامّي؟» قالت «يابُنيّ، قد مسكوا هذا المنديل وايديهم دفره من الجُبن وكلَّما غسلتُه قد فاحت [٥٦ ق] منه رائحة الجُبن». قلت «اريني الصابونة التي تغسلين(٢) بها». فاخرجتها من المنديل فاذا هي قطعة جُبن، وهي تظن أنَّها صابون. وكلَّما عركت ذلك المنديل بالجُبن قد فاحت روائحه. قلت «ياامّي، هذه(٢١) جبنة! ما هي صابونة». فنظرتها وقالت «صدقتَ، يابنيّ، ما

(٢) «تغسلي» في الاصل
(٢١) مكرره

طسُها الا صابوناً(٢٢)»٠ فتبارك الله اصدق القائلين «ومَن نُعمّرُهُ نَكِّسُه في الخَلقِ (٢٣)»

الاطاله تجلب الملالة، والحوادثُ والطوارىء اكثر من ان تُحصَر٠ والرغبة الـى الله، عزّ وجلّ فـي الستر والعافيـة فيما بقي من الحياة، والرحمة والرضوان عند موافاة الوفاة٠ فانـه سبحانـه اكرمُ مسؤول، واقرب مأمول

الحمد لله وحده وصلواته على سيّدنا محمّد وعلى آله وسلامه

(٢٢) «صابون» في الاصل
(٢٣) القرآن ٣٦ ٦٨

الباب الثالث
اخبار الصيد

الباب الثالث

اخبار الصيد

[٥٧ و] توكّلت على الله تعالى(١)

ولله متّي جانبٌ لا أُضيعُه   وللّهوِ منّي والبَطالهِ جانبُ

قد ذكرتُ من احوال الحرب وما شاهدته من الوقعات والمصافات والاخطار [ما] حضرني ذكره ولم تُنسِيه الزمان ومرّه، فان العمر طال ولزمتُ الانفراد والاعتزال والنسيان من ارب متقادم من ابينا آدم، عليه السلام(٢)

وانا ذاكر فصلاً فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح

فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر ومن ذلك ما حضرته مع ملك الامراء اتابك زنكي بن آقسُنقُر، رحمه الله. ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك، رحمه الله ومن ذلك ما حضرته بمصر. ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين ابي المظفّر محمود بن اتابك زنكي، رحمه الله ومن ذلك ما حضرته بديار بكر مع الامير فخر الدين قرا ارسلان(٣) بن داود بن أُرتُق، رحمه الله

(١) القرآن ١١ ٧٢ ولعلها سهو من الناسخ
(٢) «السلم» في الاصل
(٣) «قرارسلان» في الاصل

١ ـ الصيد في سوريه والجزيرة ومصر

والد أسامة صيّاداً

فاما ما كان بشيزر فكان مع الوالد، رحمه الله. وكان مشغوفاً بالصيد لهجاً به وبجميع الجوارح، وما يستكثر ما يغرمه عليه لفرحه. فانه كان بزهده فليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله، عزّ وجلّ، بعد فراغه من اشغال اصحابه. وهو، رحمه الله، صائم الدهر مواظب على تلاوة القرآن. فكان الصيد كما جاء في الخبر «روّحوا القلوب تَعي الذكر». فما رأيت قط مثل صيده وترتيبه.

الصيد مع زنكي

وقد شاهدت صيد ملك الامراء اتابك زنكي، رحمه الله. وكان له الجوارح الكثيرة. فرأيته ونحن نسير على الانهار فيقدّم البازداريه بالبزاة ترميها على طيور الماء ويدقّ الطبول كجاري العادة فتصيد منها ما تصيد وتُخطىء ما تُخطىء، ووراءهم السواهين الكوهيّه(١) على ايدي البازداريّة. فاذا اصطادت البزاة واخطأت ارسلوا السواهين الكوهيّة على الطيور وقد ابعدت دستجير(٢). فتلحق وتصيد. وتُرسل على الحجل فتلحق الحجل في طلوعها في سفح الجبل فتصيد. فانها من سرعة الطيران على صفة عجيبة.

وشاهدته يوماً ونحن في المعرفة بظاهر الموصل نسير في بادنجان((٣) وبين يدي اتابك بازيار على يده باشق. فطار دُكّرُ درّاج فارسله عليه

(١) من «كوه» الفارسية ـ جبل. راجع W T Blanford, *The Fauna of British India* (لندن ١٨٩٥) ٣ ٤١٥

(٢) كذا في الاصل. «دستجير» طبعة درنبورغ ص ١٤

(٣) «بادنجان» في الاصل

فاحده و برل٠ فلمّا صار في الارص فرط الدرّاج من كفّه وطار٠ فلمّا ارتفع انتقل البار من الارص احده و برل وقد ستّه

ورأيته [٥٧ ق] وهو فـي صيد الوحس دفعات٠ ادا احتمعت الحلقة واحتمع فيها الوحس لا يقدر احد يدحل الحلقة، وادا حرح من الوحش سيء رموه٠ وكان من ارمى الناس٠ فكان ادا دنا منه الغزال رماه، فىراه كأنه قد عثر فيقع ويُدبَح٠ وكان اوّل عزال يصربه في كلّ صيد احصره يُنفده لي مع علام من علمانه وانا معه

وشاهدته وقد احتمعت الحلقة ونحن في ارص نصيبين على الهرماس(٤)، وقد صربوا الخيام٠ فوصل الوحش الى الخيام فحرح العلمان بالعصيّ والعمد، فصربوا منها شيئاً كبيراً٠ واحتمع في الحلقة ديب فوىس في وسطها على عزال احده و برك عليه٠ فقُتل وهو عليه

وشاهدته يوماً ونحن بسنجار وقد جاءه فارس مـن اصحابه فقال «هاهنا صعة نائمة!» فسار ونحن معه الى وادٍ هناك، والصبعه نائمة على صخرة فـي سفح الوادي٠ فترحّل اتابك ومشى حتى وقف مقابلها وصربها بسانة رماها الى اسفل الوادي٠ ونزلوا جاءوا بها الى بين يديه وهي ميتة

ورأيته ايضاً بظاهر سنجار وقد حلّوا ارنباً(٥)٠ فامر فاستدارت الخيل حولها(٦)٠ وامر علاماً خلفه [يحمل] الوشق كما يُحمَل الفهد٠ فتقدم ارسله على الارنب فدخلت بين قوائم الخيل٠ وما تمكّن منها٠ وما كنت رأيت الوشق قبل ذلك يصيد

الصيد في دمشق

ورأيت الصيد بدمشق ايّام شهاب الدين محمود بن تاج الملوك للطير والغزلان وحمر الوحش واليحامير٠ فرأيته يومـاً وقد خرجنا الـى

(٤) من روافد الخابور الذي يصب في الفرات

(٥) «ارب» في الاصل

(٦) بالناس في الاصل ورىما كان المقصود الجمع

سَعراء(٧) مايباس وفي الارص عسب عطيم· فصّدّه كيرًا من الحامير· وصُرت الحمام حلقةً وبرلنا· فقام من وسط الحلقة يحمور كان نائماً في العسب فأُحذ في وسط الحمام

ورأيت ونحن عائدون رحلاً قد رأى سحاباً(٨) في شحرة· فاعلم به شهاب الدين· فحاء ووقف تحته ورماه مرتين او ثلاثاً(٩) فما اصابه فتركه وسار سه المعاط(١٠) الذي لم يصه· فرأيت رحلاً من الاتراك حاء رماه فوسّط السّانة فيه· فاسترحت يداه وهي متعلقاً برحليه والسّانة فيه حتى هزّوا الشجرة فوقع· ولو كانت تلك السَانة في ابن آدم كان مات لوقته· فسبحان خالق الخلق

الصيد في مصر

ورأيت الصيد بمصر(١١) كان للحافظ لدين الله عبد المجيد ابي الميمون، رحمه الله، حوارح كثيره من البزاه والصقور والسواهين البحرية فكان لهم زمام يخرج بهم في الجمعة يومين، واكثرهم رحّالة على ايديهم الحوارح· [٥٨ و] فكنت اركب يوم خروجهم الى الصيد لاتفرّج نظر صيدهم· فمضى الزمام الى الحافظ وقال له «ان الصيف فلاناً(١٢) يخرج معنا» ـ كأنه يستطلع امره في ذلك· فقال «اخرج معه يتفرّج على الحوارح»

(٧) الروصه بعمّ راسها السحر

(٨) «سحاب» في الاصل

(٩) «ثلثه» في الاصل

(١٠) «المعاط» في الاصل

(١١) بين عامي ١١٤٠ و١١٥٤

(١٢) «فلان» في الاصل

فخرجنا يوماً ومع بعض البازيارية بازٍ مفرنص بت(١٣) احمر العينين. فرأينا كراكيّ. فقال له الرمام «تقدّم ارم(١٤) عليها البازالاحمرالعينين». فتقدّم رماه. وطارت الكراكيّ فلحق منها واحداً على بعد منّا فحطّه. فقلت لغلام لي على حصان جيّد «ادفع الحصان اليه وانزل اغرز منقار الكركي في الارض واكتفه(١٥) وانزل رجلَيه تحت رجلَيك الى ان نصلك». فمضى وعمل ما قلت له ووصل البازيار ذبح الكركي واشبع البار

فلمّا دخل الرمام حدّث الحافظ بما جرى وما قلته للغلام وقال «يامولانا، حديثه حديث صيّاد». قال «وايّ شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟»

وكان معهم صقور يُرسلونها على اللاسيب وهي طائره فاذا رأى الذَّنُوب الصقر دار وارتفع والصقر يدور في جانب آخر حتى يرتفع على الملسوب. ثم ينقلب عليه يأخذه

وفي تلك البلاد طيور يسمونها البُجّ(١٦) مثل الشُحام يصيدونها ايضاً وطيور الماء في مقطعات(١٧) النيل سهلة الصيد والغزال عندهم قليل بل في تلك البلاد بقر بني اسرائيل(١٨). وهي بقر صفر قرونها مثل قرون البقر وهي اصغر من البقر تعدو عدواً عظيماً. وتخرج لهم من النيل دابّة يسمّونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها صغيرتان(١٩)

(١٣) الفرنصة سقوط الريش كما يطرا لبعض الحيوان فاذا نزعت الجوارح في الفرنصة فيسعى ان يعدّ لها بيت لا يدخله الغبار والدخان والرياح ويفرش حوله ورق الصفصاف

(١٤) «ارمى» في الاصل

(١٥) «واكتفه» في الاصل

(١٦) ذكره ياقوت ١ ٨٨٥

(١٧) المواضع التي تقطع النيل منها

(١٨) «اسرائل» في الاصل قابل لفرتي ٢ ٦٤ — ٦٧ والدميري «حياة الحيوان» (مصر ١٣١٣) ١ ٣٤١

(١٩) «وعينه صغار» في الاصل بخدمة

وهي حرداء مىل الحاموس٠ لها اىياب طوال في فكّها الاسفل وفي فكّها الاعلى حروق لا ىاىهـا تحرح روءوسها(٢٠) مـں تحت عيسها٠ وصياحها مىل صياح الحىرىر٠ ولا ىىرح في ىركه فيها ماء وتاكل الحىر والحسس والسعر

الصيد في عكا

وكىں قد مصىت مع الامير معين الدين(٢١)، رحمه الله، الى عكّا الى عىد ملك الافرىح فلك ىں فلك٠ فرأيىا رحلاً من الحىويّة قد وصل مں ىلاد الافرىح ومعه ىاز كىير مقرىص ىصيد الكركيّ، ومعه كلىه صعيرة اذا ارسل الىاز على الكراكي عدت تحىه فاذا احد الكركيّ وحطّه عصّـه(٢٢) فلا ىقدر على الحلاص منها٠ وقال لىا دلك الحىويّ «ان الىاز عىدىـا اذا كـان ذىىه ثلاث عسرة(٢٣) ريشة اصطـاد الكركـيّ»٠ فعددىا(٢٤) ذىب دلك الىاز فكان كدلك

فطلىـه الامير معين الديـں(٢٥)، رحمه الله، مـں الملك فاحده مـں دلك الحىويّ هو والكلىه واعطـاه للامير معين الديـں٠ فحاء [٥٨ ق] معىا فرأيىه في الطريق يىب الى العرلان كما ىب الى اللحم٠ ووصلىا ىه الى دمسق فما طال عمره ىها ولا صاد شيئاً ومات

في حمص كيفا

وساهدت الصيد في حمص كيفا مع الامير فحر الديں قرا ارسلان(٢٦)

(٢٠) «روسها» في الاصل
(٢١) اىىر
(٢٢) «عطه» في الاصل
(٢٣) «ىلىه عسر» في الاصل
(٢٤) «فعدىاه» في الاصل
(٢٥) أىىر ودلك حوالى سىه ١١٤٠
(٢٦) «قرارسلان» في الاصل

ابن داود، رحمه الله وهناك الحجل والدرج(٢٧) كثير والدرّاج فامّا طير الماء فهو في البط(٢٨) وهو واسع ما يمكّن النار منها. واكثر صيدهم الاراوي ومعرى الحل يعملون لها شاكاً(٢٩) ويمدّونها في الاودية ويطردون الاراوي فتقع في تلك الشباك وهي كثيرة عددهم وفرية المتصيّد. وكذلك الارانب

مع نور الدين

وشهدت الصيد مع الملك العادل نور الدين، رحمه الله. فحضرته ونحن بارض حماه وقد حلوا له ارنباً(٣٠) فضربها بستّانة كسماء(٣١) وقامت وسقت الى محجر دخلته. فركضنا خلفها، ووقف عليها نور الدين. وبا ولي السريف السيّد بهاء الدين، رحمه الله، رجلها وقد قطعها الشبّانة من فوق العرقوب وسقّت حولها قربة النصلة فوقع منها بيتُ الولد وسقت بعد هذا وانجحرت فامر نور الدين بعض الوشافيّة نزل وقلع خفافه ودخل خلفها. فما وصل اليها. وقلت للذي معه ست الاولاد وفيه حرنقان(٣٢) «شقّه واطمرهم(٣٣) بالتراب» ففعل. فتحرّكوا وعاشوا(٣٣)

وحضرته يوماً وقد ارسل كلبه على ثعلب ونحن على قرا حصار(٣٤) بارض حلب، فركض خلفه وانا معه. فلحقت الكلبة احدث ذنب الثعلب فرجع اليها برأسه فعضّ خيشومها. فصارت الكلبة تعوي ونور الدين، رحمه الله، يضحك ثم خلاها وانجحر. فما قدرنا عليه

(٢٧) «وهو الطيهوج» على هامش المخطوطه
(٢٨) دخله
(٢٩) «شاك» في الاصل
(٣٠) «ارنب» في الاصل وفي الحاشيه «يعني راوها وهي نابمه»
(٣١) «كسما» في الاصل ولعلها «كسماء» قابل اعلاه ص٤٦ ح٤٥
(٣٢) «حرنقس» في الاصل
(٣٣) كذا في الاصل عامه
(٣٤) ياقوت ٤ ٤٤

وجاءه يوماً و نحن ركاب تحت قلعة حلب من شمالي البلد بازٌ فقال لنجم الدين ابي طالب بن عليّ كرد(٣٥)، رحمه الله «قل لفلان (يعنيني) يأخذ هذا الباز يلعب به». فقال لي. فقلتُ «ما أُحسن له». فقال نور الدين «انتم في الصيد ما كنتم تزالون. ما تحسن تُصلح البازِ؟» قلت «يامولاي، ما كنّا نصلحها نحن. كان لنا بازيارية وغلمان يُصلحونها ويصيّدون بها قدّامنا». وما اخذت الباز

(٣٥) ابن عم الدين علي كرد وهو صاحب حماه المذكور اعلاه

٢ ـ والد أسامة صيّاداً

ساهدت من الصيد مع هاوءلاء الاكابر سيئاً كيرًا ما اتّسع لي الوقت لدكره معصلاً٠ وكانوا قادرين على ما يحاولونه من صيد وآلته وعيره٠ وما رأيت مثل صيد والدي، رحمه الله٠ فما ادري كنت اراه بعين المحبة كما قال القائل «وكلُّ مـا يفعل المحبوب محبوبُ»٠ ما ادري اكان نظري فيه على التحقيق٠ وانا اذكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه

وذلك ان والدي، رحمه الله، كان قد فرغ زمانه [٥٩ و] لتلاوة القرآن والصيام والصيد في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله تعالى٠ فكان قد نسخ ستاً وار بعين ختمة بخطّه، رحمه الله، منها ختمتان بالذهب جميع القرآن٠ و يركب الى الصيد يوماً ويستريح يوماً٠ وهو صائم الدهر

ولنا بشيزر متصيّدان متصيَّد للحجل والارانب في الجبل قبليّ البلد، ومتصيّد لطير المـاء والدرّاج والارانب والغزلان علـى النهر فـي الاروار(١) من غربيّ البلد

وكان يتكلّف في تسيير قوم من اصحابه الى البلاد لشرى البزاة٠ حتى انه انفذ الى القسطنطينيّة احضر له منها بزاة٠ وحملوا العلمان معهم من الحمام ما ظنّوا انه يكفي البزاة التي معهم فتعيَّر عليهم البحر و تعوّقوا حتى فرغ ما معهم من طعم البزاة فاضطرّوا الـى ان صاروا يُطعمون البزاة لحم السمك٠ فاثّر ذلك فـي اجنحتها(٢) صار ريشهـا ينكسر و ينقصف٠ فلمّا وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزاة نادرة وفـي

(١) الزار أو الزاره او الزاره هـي الأجمه مـن الحلفاء وقد وردت «الاروار» مرارا فيما يلي

(٢) «اجنحهم» في الاصل

حدمة الوالد ماريار طويل اليد فــي اصلاح البراة وعلاحها يمال له عائم· فوصل احنحتها واصطاد بها· وقر نص عصها عده

مصايد البراة

وكان اكبر مــا يستدعي البراة وسر بها مــن وادي ابــن الاحمر بالعلاء(٣) فاحصر قومــاً من اهــل الحل(٤) القريب مــن شيرز مــن اهل سيلا و سَــمالح وحلّة عارا وتحدّث معهم في ان يعملوا في مواصعهم مصايد للبراه ووهبهم وكساهم· فمصوا وعملوا بيوت الصيد· فاصطادوا براه كسرة فراحاً(٥) ومفر نصة وررارق· فحملوها الــى الوالد وقالوا «يامولا نا، نحن قد نطّلنا معايسا ورراعتنا في حدمتك· ونستهي ان تأحد منّا كلّ ما نصيده وتقرّر لنا ثمناً نعرفه لا نحادُنَ فيه»· فقرّر ثمن البار الفرح حمسة عسر ديناراً، وثمن الرُّرّق الفرح نصفها، وثمنْ البار المفر نص عشرة دنــانير وثمن الرُّرّق المقر نص نصفهــا· وانفتح للحليّين احــدُ دنــانير نعر كلفــه ولا تعب· انمــا يعمل لــه بيتاً بحجارة(٦) وعلى قــدر حلقته، ويعطّيه عيدان ويسترها بقش وحشيش ويجعل نافده· ويأحد طير حمام يجمع رحلنه على قصيب ويسدّها [؟] اليه ويُخرِ حه مــن تلك النافدة· يحرّك العــود فيتحرّك الطير ويفتــح احنحته· فيراه البار ينقلب عليه يأحده· فادا احسّ به الصيّاد حدب القصيب الى النافدة ومدّ يده فقبص رحلي البار، وهو قانص للطير الحمام، وانرله اليه وحــطّ عينه(٧)· ويصبح من الغد يصلنا به، يأحد ثمنه ويعود الى بيته نعد يومين

(٣) « بالعلا» وربما كان المقصود « بالعلا » اي بالعلاه اسم موضع
(٤) حل النصر يه
(٥) «فراح» في الاصل (٦) « بس بحجار» في الاصل
(٧) نظهر من مقال في «الا نار» (رحله ١٩٢٧) ٩ ٤٧٧ ان هده الطرق نفسها لم تزل مستعمله لليوم فــي حبال النصر يــه والصيد بالبار والبــاس لم تــزل البعض يستعملونه في سوريه وكيليكيا والعراق والجزيره العربيه

فكثر الصيّادون وكثرت البزاة حتى صارت عندنا مثل الدجاج فيها ما يُتصيَّد به وفيها ما يموت على الكنادر من كثرتها

وكان في خدمة الوالد بازيار وصقارون(٨) وكلابزيّة وعلَّم قوماً من مماليكه اصلاح البزاة فمهروا فيها وكان [٥٩ ق] يخرج الى الصيد ونحن اولاده معه في اربعة رجال ومعنا غلماننا وجنائبنا وسلاحنا، وانّا ما كنّا نأمن من الفرنج لقربهم منّا ويخرج معنا بزاة كثيرة من العشرة وما حولها ومعه صقاران وفهّادان وكلابزيّان، مع احدهما كلاب سلوقيّه ومع الآخر كلاب زغارية فيوم خروجه(٩) الى الجبل لصيد الحجل وهو بعيد من الجبل يقول لنا اذا خرج الى طريق الجبل « تفرقوا كل من عليه قراءه يقرأها». ونحن اولاده حفّاظ القرآن فنفرق نقرأ حتى نصير الى مكان الصيد بأمر من يستدعينا فيسألنا كم قرا كل واحد منّا فاذا اخبرناه يقول «انا قرأت مائة آيه» او نحوها. وكان، رحمه الله، يقرأ القرآن كما أُنزل

فاذا صرنا في المصيَد امر الغلمان فتفرّق بعضهم مع البازيارية فكيف طارت الحجل كان في ذلك الجانب باز يُرسل عليه(١٠) ومعه من مماليكه واصحابه اربعون فارساً اخبر الناس بالصيد فلا يكاد يطير طير ولا يثور ارنب ولا غزال الا اصطدناه. ونمسي في الجبل نصيد الى العصر ثم نعود وقد اشبعنا البزاة وطرحناها على البلوط(١١) في الجبل شربت واستحمّت. ونعود الى البلد بعد عتمة

فاذا ركبنا الى طير الماء والدرّاج كان ذلك يوم فرجتنا. نقع في

(٨) «صقارين» في الاصل

(٩) «فيوم لخروجه» طبعه درنبورغ ص ١٦ «فيوم» خروجه في *Ousâma* ص ٦٣٤

(١٠) بالتذكير مع انه سبق فقال «طارت»

(١١) ح بلّوط ـ شجرة في الارض سبتمع فيما اقدم

الصيد من باب المدينة ثم يصل الي الاروار فيقف الفهود والصمور برّا من الرور و يدخل اليه بالبراة فان طارت درّاجه احدها البار· وان فقرب ارب ارسلنا عليها بعض البراه فان احدهـا والا حرجت الـى الفهود ارسلوا(١٢) عليهـا· وان فقر غزال حرج الـى الفهود ارسلـوا عليه(١٣) فان احد والا ارسلوا عليه الصمور فما يكاد يفلت منّا صيد الا بفسحة الاجل

وفي الاروار حنازير كبيره تحرج فيركض علىها و يقتلها فيكون فرحنا بقتلها اكبر من فرحة الصيد(١٤)

وكان له ترتيب في الصيد كأنه ترتيب الحرب والامر المهم· لا يسعل احد بحديث مع صاحبه ولا لهم هم الا السحُر في الارض لنظر الارانب او الطير في اوكارها

الارمن يرسلون براه

وكان قد صار بينه و بين سي رو نال ـ تروس(١٥) ولاون الارمن مـن اصحاب المصّيصه وانطرطوس وادنة والدروب ـ مصادقـة ومكاتبة اكبر سببها رغبه في البراه· فكانوا يُنفدون له كلّ سنة عدّة من عسرة براه او مـا حولها علـى ايدي رحّالة ارمـن ناربارنَة(١٦) ويُنفدون الكلاب الرعاريّه ويُنفد لهم هو الحُصُن والطيب ومن كسوه مصر· فكان بحشا(١٧) من عندهم براة ملاح نادرة فاجتمع [٦ و] عدنا في بعض السنين براه قد جاءت من الدروب فيها بار فرخ مثل العقاب و براة دو به

(١٢) كذا في الاصل

(١٣) كذا في الاصل

(١٤) «فرحنا بقتلها اكبر من فرحه الصد» طبعه درنبورغ ص١٤٧ والحرير معسر بحس القرآن ٥ ٤ و٦ ١٤٦

(١٥) «رونال بروس» في الاصل

(١٦) «نارنانه» في الاصل

(١٧) «نحسا» في الاصل

وحاءنا من الحجل عدّة نراه فيها نار كأنه صقر عريص فرح ما يلحق تلك البزاة. والبازيار عائم يقول «ما في هذه البزاة كلّها مثل هذا البار البحشور(١٨). ما يترك شيئاً الا يصيده». ونحن لا نصدّقه. ثم أصلح ذلك البار فكان كما طنّ فيه من افره البزاة واطيرها واشطرها. وقرنص عندنا وخرج من القرناص اجود مما كان وعمر ذلك البار وفرص(١٩) عندنا ثلاث عشرة سنة. فكان قد صار كأنه من اهل البيت يصطاد للخدمه لا لما حرت به عاده الجوارح ان يصيدوا لنفوسهم

وكان مقامه عند الوالد، رحمه الله، لا يتركه عند البازيار، لان البازيار انما يحمل البار في الليل ويجوّعه حتى يصطاد به. وذلك البار كان يكفي من نفسه ويعمل ما يراد منه. فكنّا نخرج الى صيد الحجل ومعنا عدّة بزاة فيدفعه الوالد الى بعض البازياريّة ويقول «اعزل به ولا نُرسله بالحمّلة وتسَر في الحجل». فكلما حلوا(٢٠) انصروا حجله لا بدّ من شجره قد اعلموه بها يقول «هاتوا البحشور». ساعةَ نقيم يده له قد طار من على يد البازيار وقع على بده نعير دَعوٍ. ثم سسرف براسه ورفسه فيقف على الحجله النائمة ويرميها نقصب في بده فتطير. ونُرسل عليها البحشور فيأخذها في عشره ادرع. وينزل اليه البازيار بذبح(٢١) في رجله ويرفعه. فيقول «اعزل به» فاذا رأوا حجله اخرى لا بدّة عمل بها ذلك، حتى نصد خمس ست حجلات ـ كذا يأخذها في عشرة ادرع. ثم يقول للبازيار «اشبعه» فيقول له «يامولاى ما تدعه نصيَد به؟» يقول «يا بنيّ، معنا عشره بزاة نصّد بها وهذا قد اصاد(٢٢) هذه الاطلاق تقطع عمره». فيشبعه ويعتزل به البازيار

(١٨) «البحشور» في الاصل هنا وفيما يلي

(١٩) «وفرص» في الاصل

(٢٠) «فكلما حلوا» في الاصل

(٢١) «بذبح» في الاصل

(٢٢) كذا في الاصل وقد وردت فيما يلي

فاذا ابهنا في الصيد واسعنا البراه وحططناها(٢٣) على الماء شربت واستحمّت، واليحتور على يد البازيار فاذا استقبلنا البلد راجعين ونحن في الحل قال «هات البحسور» حمله على يده وسار. ان طارت حجلة من بين يديه ارسل عليها صادها حتى نصيد عشره اطلاق او اكثر على قدر ما يطير له من الحجل، وهو شبعان لا يحطّ منسره في مذبح حجلة ولا يذوق دمها فاذا دخلنا الى الدار قال «هاتوا طاسة ماء». فجاءوا بطاسة فيها ماء قدّمها اليه وهو على يده، رحمه الله، فيشرب [٦٠ ق] منها. وان كان يريد يستحمّ حصحص منسره في الماء، فيدري انه يريد يستحمّ، فيأمر باحضار جفنة كبيرة فيها ماء ويقدّمه اليها فيطير ينزل في وسطها ويدف في الماء حتى يكتفي من السباحه ثم يطلع. فيحطه على قُفّار خشب، قد عُمل له، كبير. ويُقرّب منه منقل نار. فيمسّق ويدهّن حتى ينشف من الماء. ثم يضع له فرواً مطوياً(٢٤) فينزل اليه ينام عليه. فلا يزال نائما على ذلك الفرو نائماً حتى يهور الليل ويريد الوالد يدخل الى دار الحرم فيقول لاحدنا «احمله» فيُحمَل كما هو نائم على الفرو حتى يُحَطّ الى جانب فراش الوالد(٢٥)، رحمه [الله]

وكان من عجائب هذا البازي وعجائبه كثيرة وانا اذكر منها ما يحضرني ذكره فانّ الامد قد طال وانستني السنون كثيراً من احواله، ان كان في دار الوالد حمام وطيور ماء حضر وانائها ويصابيّات(٢٦) من التي تكون بين البقر لتلقط الذبّان من الدار. وكان يدخل الوالد وهذا البازي على يده يجلس على دكّة في الدار والبازي على قُفّار الى جانبه فلا يطلب شيئاً من تلك الطيور ولا يثب اليها، ولا كأنها مما جرت عادته بصيدها

وكانت المياه تكثر في ظاهر شيزر في الشتاء فيصير برّاً من سورها بقاع

(٢٣) «وحطناها» في الاصل
(٢٤) «بروٌ مطوي» في الاصل
(٢٥) «الولد» في الاصل
(٢٦) «ويصاباب» في الاصل وهي غير واضحه

كثار ماء(٢٧) وفيها الطيور • فيأمر الوالد البازيار وعلاماً معه يخرجا الى قريب من تلك الطيور • ويأخذ البحسور(٢٨) على يده ويقف به على الحصن يرنه(٢٩) الطيور وهو شرقي البلد والطيور غربيّها فاذا ابصرها ارسله فيزل يسف(٣٠) على البلد حتى يخرج منه وينتهي الى الطيور • فيدق له البازيار الطبل فتَطير الطيور فيصيد منها وبينها وبين موضع أُرسل منه مسافة بعيده

وكنا نخرج الى صيد طير الماء والدرّاج ونرجع بعد عتمة نسمع صوت طيور في خلجان كبار بالقرب من البلد • فيقول الوالد «هات اليحسور» • فيأخذه وهو شعان ويتقدّم الى الطيور يدقّ الطبل حتى تطير الطيور ثم يرميه عليها • فان اصاد(٣١) وقع بينا نزل اليه البازيار ذبح في رجله ورفعه • وان لم يصد(٣٢) وقع على بعض اكناف النهر فما نراه ولا ندري اين وقع • فنخليه وندخل الى البلد ويصبح البازيار من سحر يخرج اليه يأخذه ويطلع به الى الحصن الى عند الوالد، رحمه الله، ويقول له «يامولاي، قد صقل هذا الصقيع قفاه طول الليل • وقد اصبح يقطُ الولاد(٣٣) • فاركب ابصر ايش نعمل اليوم!»

وما كان يفوت هذا البار شيء من الصيد من السُّمانة الى الورّ السمند(٣٤) والارنب • وكان البازيار يشتهي ان يصيد به الكراكيّ [٦١ و] والحرحل ما يتركه الوالد ويقول «الحرحل والكراكيّ

(٢٧) «كسار ما» في الاصل

(٢٨) «البحسور» هنا وفيما يلي

(٢٩) «يوريه» في الاصل عاميه

(٣٠) «يسف» في الاصل سفّ طار على وجه الارض

(٣١) «اصاد» هنا واعلاه ص٢٠٢ س٢١ مما يدل على ان اللفظة بهذه الصيغة كانت دارجة يومئذ

(٣٢) «يصد» في الاصل

(٣٣) كذا في الاصل

(٣٤) لم اعثر على وصف لهذا الطائر في كتب الحيوان ولا في معاجم اللغة

تصيدها(٣٥) بالصقور». وكان هذا البار قد قصّر عما نعهده من صيده سنة من السنين، حتى انه كان اذا أرسل واخطأ لا يجيء الى الدّعو وهو عاجز ولا يستحمّ ولا يدري ما به. ثم صلح عمّا كان من تقصيره وصاد

واستحمّ يوماً. فرفعه البازيار من الماء وقد تفرّق ريشه بالبلل عن جانبه، واذا في جانبه سلعة في قدّ اللوزة. فاحضره البازيار بين يدي الوالد وقال «يامولاي، هذه التي قصّرت بالبار وكادت تُهلكه» ثم مسك البار وعصرها خرجت مثل اللوزة يابسة. وختم موضعها. وعاد اليحسور(٣٦) الى الطيور بالسيف والقطع

وكان شهاب الدين محمود بن قَراجا صاحب حماه في ذلك الوقت يُنفذ كلّ سنة يطلب البار اليحسور(٣٧) يمضي اليه مع البازيار نفيم عنده عشرين يوماً يتصيّد به ويأخذه البازيار ويعود. فمات البار سيزر

واتّفق اني كنت قد زرت شهاب الدين الى حماه واصبحت يوماً وانا بحماه وقد حضر القُرّاء والمكبّرون وخلق عظيم من اهل البلد فسألت «من قد مات؟» قالوا «بنت لشهاب الدين». فاردت الخروج خلف الجنازة. فمامنعني شهاب الدين ومعي. وخرجوا قبروا الميت في تلّ صفرون(٣٨). فلمّا عادوا قال لي شهاب الدين «تدري من هو الميت؟» قلت «قالوا ولد لك». قال «لا، والله، بل هو البار اليحسور. سمعت انه قد مات انفذت اخذته وعملت له تابوتاً(٣٩) وجنازة وقبرته. فانه كان يستحقّ ذلك»

فهدة عجيبة

وكان للوالد، رحمه الله، فهدة في الفهود مثل اليحسور في البزاة،

(٣٥) «تصدها» فى الاصل

(٣٦) «اليحسور» في الاصل

(٣٧) «اليحسور» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٨) «صفرون» فى الاصل

(٣٩) «تابوب» فى الاصل

اصطادوها وهي وحسية، من اكثر ما يكون من الفهود. فاخذها الفهّاد وقرمها واسحابها(٤٠). وكانت ترك ولاتريد الصيد. وكانت تُصرع كما يُصرع المصاب بعقله وبرده. ويقدّم اليها الحشف فلا تطلبه ولا تريده حتى اذا شمّه عضّته. وبقيت كذلك مدّة طويلة نحواً(٤١) من سنة. فخرجنا يوماً الى الازوار. فدخلت الخيل الى الزور وانا واقف في فم الزور، والفهّاد بهذه الفهدة قرب منّي. فقام من الزور غزال وخرج اليّ. فدفعت حصاناً كان تحتي من اجود الخيل اريد اردّه الى الفهده وعاجله الحصان بَدَسَه بصدره، رماه. فوثبت الفهدة صادته. فكأنها كانت نائمة انتبهت وقالت [٦١ ق] «خذوا من الصيد ما اردتم!» فكانت مهما قام لها من الغزلان اخذته، ولا يستطيع الفهّاد ضبطها فتخذه برميه. ولا تقف كما تقف الفهود في طردها بل وقتَ ان يقول «قد وقفت» تخذ عدواً أو تأخذ الغزال

وصيدُنا شيزر الغزال الادمي، وهو غزال كبير. فكنّا اذا خرجنا بها الى العلاه والارضِ الشرقيّة، وفيها الغزال الابيض، لا تترك الفهّاد يركض بها حتى تمكنها الا تخذه برميه، وتعبر على الغزلان كأنها كانت ترى انهم خسوف لصغر الغزال الابيض

وكانت هذه الفهدة دون باقي الفهود في دار الوالد، رحمه الله. وله جاريه تخدمها. ولها في جانب الدار قطيفة مطويّة تحتها حشيش يابس. وفي الحائط سكّه مضروبة تجيء الفهّاد بها من الصيد الى باب الدار يحطُها وفيها المربعه(٤٢) وتدخل الى الدار الى ذلك المكان المفروش لها فتنام فيه وتجيء الجارية تربطها الى السكّة المضروبة في الحائط. وفي الدار والله، نحو من عشرين غزال ادمي وابيض وفحول ومعزى وخسوف

(٤٠) «واسحابها» في الاصل وقد وردت ادناه ص٩ ٢ س١٥

(٤١) «نحو» في الاصل

(٤٢) غير واضحه في الاصل ولعلها «المرّبعه» «المرفعه»

قد توالدت في الدار فلاتطلبهم ولاتروّعهم(٤٣)· ولاترول عن موصعها· وتدحل الى الدار وهي مسيّة فلا تلتفت الى العرلان

وشاهدت الحارية التي كانت تدور بها وهي تسرّح حسمها بالمسط فلا تمتنع ولا تنفر· ورأيتها يوماً، وقد بالت علـى تلك القطيفة المفروشة لها، وهي تلتلها وتصر بها حيث بالت على المطيفة ولا تهرّ عليها ولا تصرّ بها(٤٤)

ورأيتها يوماً وقـد أبارت(٤٥) مـن بين يدي الفهّاد ارنبين، وقـد لحقت الواحدة واحدتها وعصّتها بفمها وتبعت الاحرى فلحقتهـا وحعلت تصر بها يدها وفمُها مشعول بالارنب الاوّلة(٤٦) فوقفت عنهـا بعد ان صربتها بيديها عدّة صربات ومصت الارنب

وحصر معنا في الصيد الشيخ العالم ابو عبد الله الطُلَيطُلي النحوي، رحمه الله· وكان في النحو سيبويه زمانه قرأت عليه النحو نحواً من عشر سنين وكان متولّي دار العلم بطرابلس(٤٧) فلمّـا احد الافرنج طرابلس(٤٨) بعد الوالد والعم، رحمهمـا الله، استحلصا الشيخ ابا عبد الله هذا ويابـس الناسخ· وكان قريب الطبقة في الحطّ مـن طريقة ابن البوّاب(٤٩)· اقام عندنا بشيزر مدّة وسخ للوالد، رحمه الله، ختمتين·
[٦٢ و] ثم انتقل الى مصر ومات بها

وشاهدت من الشيخ ابـي عبدالله عجباً· دخلت عليه يومـاً لأقرأ عليه

(٤٣) عاميه فصححها «غزالاً ادميا تطلبها ولا تروّعها»
(٤٤) ولعلها «تصر بها»
(٤٥) «بارت» في الاصل قابل «ثوّر» ادناه ص٢١٥ س٧
(٤٦) كذا في الاصل هنا واعلاه ص٨٨
(٤٧) ابن الاثير في *Recueil* ١ ٢٧٤ وابن خلكان ٣ ٨
(٤٨) ١٢ سوز سنه ٩ ١١
(٤٩) ابو الحسن علي بن هلال الذي اشتهر بحسن خطه توفّي فـي بغداد سنه ٢٢ ١ او ٢٣ ١

فوجدت بين يديه كتب النحو «كتاب سيبويه(٥٠)»، و «كتاب الخصائص» لابن جِنّي(٥١)، و «كتاب الايضاح» لابي علي الفارسي(٥٢)، و «كتاب اللُمَع» و «كتاب الجُمَل(٥٣)». فقلت «ياشيخ ابا عبدالله، قرأت هذه الكتب كلّها؟» قال «قرأتُها؟ لا والله الا كتبتُها في اللوح وحفظتُها. تريد تدري خذ جزءاً وافتحه واقرأ من اول الصفحة سطراً واحداً». فاخذتُ جزءاً وفتحتُه وقرأت منه سطراً. فقرأ الصفحة باجمعها حفظاً حتى اتى على تلك الاجزاء جميعها. فرأيت منه امراً عظيماً ما هو في طاقة البشر

هذه جملة اعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث

وقد حضر معنا صيد هذه الفهدة وهو راكب في رجليه اقدام(٥٤). وفي الارض شوك كثير وقد ضرب رجليه أدماهما وهو مشغول ينظر(٥٥) صيد الفهدة ولا يحس بتألّم رجليه ـ مشغول بما يراه من تسلّلها الى الغزلان وعدوها وحسن صيدها

باز احمر العينين

وكان الوالد، رحمه الله، محظوظاً(٥٦) من الجوارح النادرة الفارهة. وذلك أنها كانت عنده كثيرة فيَندر منها الجارح الفاره. وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت احمر العينين، فكان من افره البزاة. فوصل كتاب عمّي تاج الامراء ابي المتوّج مقلَّد، رحمه الله، من مصر (وكان مقامه بها في خدمة الآمر باحكام الله) يقول «سمعتُ في مجلس الأفضل

(٥) توفي سنة ٧٩٦م

(٥١) ابو الفتح عثمان توفي سنة ٢ ١

(٥٢) ابو علي الحسن الفسوي توفي سنة ٩٨٧

(٥٣) «كتاب اللمع» لابن جنّي و «كتاب الجُمل» اما لابي قاسم عبد الرحمن الزجّاجي المتوفي سنة ٩٥ او لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٨١ ١

(٥٤) حرفٌ

(٥٥) ولعلها «سطر»

(٥٦) «محظوط» في الاصل

دكر البار الاحمر العيين• والأفصل يَستحر المحدّث عه وعن صيده»•
فقدّه الوالد، رحمه الله، مع بارياره الى الأفصل• فلمّا حصر بين يديه
قال له «هدا هو البار الاحمر العيين؟» قال «نعم يامولاي» قال «ايّ شيء
يصيد؟» قال «نصيد السمانة والحرحلة وما بينهما من الصيد»• فنقي هدا
البار نمصر مدّة ثم افلت وراح ونقي سة في البرّيّه في شحر الحمّير
وقرنص في البرّيّة• ثم عادوا اصطادوه• فجاءنا كتاب عمّي، رحمه
الله، يقول «البار الاحمر العيين ضاع وقرنص في الحمّير وعادوا اصطادوه
وتصيّدوا به وقد أُرسل على الطير منه مصيبة عظيمة»

بار افرنجي

وكنّا يوماً عند الوالد، رحمه الله، وقد جاء انسان من فلاحي معرّة
النعمان معه بار مقرنص مكسّر ريش الاجنحة والذنب في قدر العقاب
الكسر، ما رأيت قط باراً مثله [٦٢ ق] وقال «يامولاي، كنت أصلي للدّلم
بالنادوف فضرب هدا البار على دّلمه في النادوف فاحدته وحملته
اليك»• فاخده واحسن الى الذي اهداه• ووصل البازيار ريشه وحمله
واستحابه(٥٧)• واذا البار صائد مطابق مقرنص بيت قد افلت من الافرنج
وقرنص في حبل المعرّة• فكان من افره الجوارح واشطرها

فرخ شاهين

وشاهدت يوماً وقد خرجنا معه، رحمه الله، الى الصيد وقد استقبلنا على
بعد رجلٌ معه شيء ما نحقّقه• فلمّا دنا منّا واذا معه شاهين فرخ من
اكبر الشواهين واحسنها وقد حبس يديه وهو حامله• فدلاه ومسك
ساقيه(٥٨) ورجليه ـ والشاهين مدلّى منشور الاجنحة• فلمّا وصلنا
قال «يامولاي، اصطدت هدا الطير وقد جئت به اليك»• فسلّمه الوالد
الى البازيار فاصلحه ووصل ما انكسر من ريشه• ولم يخرج مخبره مثل

(٥٧) «واستحابه» في الاصل وقد وردت اعلاه ص٦ ٢ س٢
(٥٨) ساقا البازي فخذاه

مطره، كان قد اتلفه الصيّاد بما عمل به. والساهين هو الميران ادنى شيء يعيبه ويُفسده. وكان هدا البارياز صانعاً محوّداً في اصلاح الشواهين

كنّا نحرج من باب المدينة الى الصيد ومعنا جميع آلة الصيد، حتى الشاك والعؤوس(٥٩) والمحارف والكلاليب لما يحتحر من الصيد، ومعنا الحوارح والبزاة والصقور والسواهين والفهود والكلاب. فادا حرحنا من المدينة ادار شاهيين فلايزالان يدوران على الموكب. فادا حرح احدهما(٦٠) عن القصد تنحنح البارياز واسار بيده الى النحو الدي يريده فيرجع والله الساهين من وقته الى دلك النحو. ورأيته وقد ادار شاهيناً على قطعة من الصلاصل نازلة في مرح. فلمّا احد الشاهينُ طبقته دقّ لها الطبل فطارت وانقلب عليها الساهين ضرب رأس صلصلة قطعه، واخدها ونزل. فدربنا والله على دلك الرأس ما وحدناه. واثره قد وقع على نعد في الماء لانا كنّا بالقرب من النهر

وقال له يوماً علام يقال لـه احمد بن محير(٦١) لم يكن ممّن يركب معه «يامولاي، اشهيتُ انصر الصيد». قال «قدّموا لاحمد فرساً يركبه ويحرح معنا». فحرحنا الى صيد الدرّاح. فطار دكَرٌ وتسَّر(٦٢) كما حرت العادة، وعلى يد الوالد، رحمه الله، اليحشور. فارسله عليه. فطار مع الارض الارض والحسيس يضرب صدره والدرّاح قد ارتفع [٦٣ و] ارتفاعاً كبيراً. فقال لـه احمد «يامولاي، وحياتك كان يتلاهى(٦٣) به حتى احده»

(٥٩) «والفوس» في الاصل وقد وردت اعلاه ص٣٥ س٧ بالصوره نفسها مما يدل انها كانت بلفظ «الفوس» في العامه

(٦٠) «يزال يدور على الموكب فادا حرح احدها» في الاصل

(٦١) «محسر» في الاصل

(٦٢) غير واضحه في الاصل

(٦٣) «سلاها» في الاصل

كلاب صيد

وكان يحيئه(٦٤) من بلاد الروم الرعاريّة كلاب حياد دكور واناث. فكانت تتوالد عدنا وصيدها الطير طبع فيها

ساهدت منها جروه صغره قد حرحت حلف الكلاب التي(٦٥) مع الكلابريّ فارسل بارأ على درّاحه فسحت في علفاء(٦٦) في حرف النهر. فارسلوا الكلاب على العلفاء لتطير الدرّاحة، وتلك الجروة واقفة على الحرف. فلمّا طارت الدرّاحة وثبت الجروة خلفها من على دلك الحرف فوقعت في وسط النهر، وما تعرف الصيد ولا صادت قط

ورأيت كلباً من هده الرعاريّة وقد سحت ححلةً في الحل في سح(٦٧) صعب وقد دحل اليها الكلب وابطأ ثم سمعنا حسكة في داحل السح(٦٨). فقال الوالد، رحمه الله «في السح(٦٩) وحش وقد قتل الكلب». ثم بعد ساعة حرح الكلب يحرّ رحلاً ابن آوى، وكان في السح(٧٠) قد قتله وحرّه احرحه الينا

وكان الوالد، رحمه الله، سار الى اصبهان(٧١) الى درگاه(٧٢) السلطان ملكشاه، رحمه الله. فحكى لي قال «لمّا قضيتُ اشغالي(٧٣)

(٦٤) «يحيه» في الاصل
(٦٥) «الدى» في الاصل
(٦٦) «العلفا» الارض لم تررع فنبتها كل صغير وكسر من الكلا «سحت» أو «سحب» احساب او صاحب في حجرها وقد وردت تكراراً ادناه ومرّة اعلاه ص ٦ س١٨
(٦٧) «سح» في الاصل
(٦٨) «السُح» في الاصل
(٦٩) «السُح» في الاصل
(٧) «السُح» في الاصل
(٧١) حوالى سنه ٨٥ ١
(٧٢) بلاط وقد وردت اعلاه ص٤٩ ح٥٨
(٧٣) كانت مهمته على ما يظهر استحاد ملكشاه على سليمان بن قُطلُمُش السلجوقي الذي كان قد استولى على معرّة النعمان وكفرطاب واحد يهدّد شيزر

من عد السلطان واردت السفر اردت اُستصحب معي حارحاً أُتفرّح به في طريقي. فحاءوني سراة ومعها ابن عرس معلّم يُخرج الطيور من السح(٧٤). فاحدت صقوراً تصيد الاراب والحبارى واستصعبت مداراه السراة في تلك الطريق البعيدة الشاقة»

وكان عنده، رحمه الله، من الكلاب السلوقية كلاب جياد. أرسل يوماً الصقور على الغزلان والارض عب مطر نقيله بالوحل، وانا معه صغير على برذون لي، وخيلهم قد وقفت من الركض في الطين وبرذوني لخفّتي عليه مستظهر، وقد صرعت الصقورُ والكلاب الغزال. فقال لي «ياأُسامه الحَقِ الغزال وانزل امسك رجليه الى ان نجيء». ففعلت. ووصل هو، رحمه الله، فذبح الغزال ومعه كلبة صفراء جواد، سمّونها الحمويه صرعت الغزال ـ وهي واقفة. واذا قطعة الغزلان التي اصطدنا منها قد عادت عابرة علينا. فاخذ، رحمه الله، قلادة الحمويَة وخرج يهرول بها حتى رأى الغزلان وارسلها عليها اصطادت غزالا اخر

وكان، رحمه الله، مع ثقل جسمه وكبر سنّه وانّه لا يزال صائماً يركض نهاره كلّه وكان لا يتصيّد الا على حصان او اكديش جواد، ونحن معه اربعة اولاده نتعب ونكلّ وهو لا يضعف(٧٥) [٦٣ ق] ولا يكلّ ولا يتعب. ولا يغدر وشافيّ ولا صاحب جيب ولا حامل سلاح يقصر في الركض على الصيد

وكان لي غلام اسمه يوسف معه رمحي ودرقتي ويجنب حصاني فلا يركض على الصيد ولا يتبعه، فيحرد الوالد عليه. فعل ذلك مرّة بعد مرّة. فقال له الغلام «يامولاي، ما سمعك احد من الحاضرين، والعياذ بالله، مثل انك هذا. فدعني اكون خلفه بحصانه وسلاحه. ان احتجتَه وجدتَه. واحسبْ اني ما انا معكم». فما عاد يلومه ولا ينكر عليه كونه ما يركض على الصيد

(٧٤) «السُح» في الاصل

(٧٥) هذه الكلمه والتاء قبلها تكاد تكون ممحوّة في الاصل

والد أسامة يتوقّف عن الصيد ليراقب الافرنج

ونزل علينا صاحب انطاكية(٧٦) وقاتلنا ورحل عن غير صلح. فركب الوالد، رحمه الله، الى الصيد واخرُهم ما ابعد عن البلد. فتبعتهم خيلنا. فعادوا عليهم والوالد قد ابعد عن البلد. ووصل الافرنج الى البلد والوالد قد طلع على تل سكّين(٧٧) يراهم وهم بينه وبين البلد. وما زال واقفاً على التلّ الى ان انصرفوا عن البلد وعاد الى الصيد

الفرق بين الخيول العربية والبراذين

وكان رحمه الله يطرد اليحامير في ارض حصن الجسر(٧٨). فصرع منها يوماً خمسة او ستّة على فرس لـه دهماء تسمّى فرس خُرخي(٧٩) باسم صاحبها الذي باعها(٨٠). كان اشتراها الوالد منه ثلاثمائة وعشرين ديناراً. فطرد آخر اليحامير. فوقعت يدها في حفرة مما يُحفَر للحاريس فانفلتت عليه كسرت ترقُوَته(٨١). ثم قامت ركضت قدر عشرين ذراعاً وهو مطروح. ثم عادت وقفت عند رأسه تنخر وتصهل حتى قام وجاءه الغلمان اركبوه. فهذا فعل الخيل العربيّة

وخرجتُ معه، رحمه الله، الى نحو الجبل لصيد الحجل. فنزل غلام له اسمه لؤلؤ، رحمه الله، لبعض شغله، ونحن قريب من البلد من بكرة وتحته برذون. فرأى طـلّ تَرَكَسه(٨٢) احمل منه فرماه وانفلت. فركضت والله عليه انا وبعض الغلمان من بكرة الى بعد العصر الى ان

(٧٦) سكرد عام ١١١

(٧٧) «سكين» في الاصل وموقعه الى الجنوب العربي من شيزر Dussaud ص٩ ٢

(٧٨) على العاصي في شيزر

(٧٩) «خرخى» في الاصل

(٨) «ناعها» في الاصل

(٨١) «ترقانه» في الاصل قابل اعلاه ص١١٣ ح٧

(٨٢) فارسيه معناها الكنانه والجعبه «تركاس» في Dozy

الحأناه(٨٣) الـى حُشار(٨٤) فـي بعض الاروار٠ وقام الحُشاريّه مدّوا له الحل وقصوه كما يُقَنّص الوحش٠ واحدته وعدت والوالد، رحمه الله، واقف في ظاهر البلد ينتظر بي ما يصيد ولا يرل فـي داره٠ فالرادين بالوحش اشهُ ممّا هي بالحيل

شيح يعترض على صيد الطيور

حكى لـي، رحمه الله قـال «كنت احرج الـى الصيد ويحرج معـي الرئيس ابـو تـراب حـدره(٨٥) بـن قطرمتر(٨٦)، رحمـه الله٠ (وكان شحه الذي حفظ عليه القرآن وقرأ عليه العربيّة)٠ فكنّا اذا وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صحره يقرأ القرآن ونحن نتصيَّد حوله٠ فاذا فرغنا من الصيد ركب وسار معنا٠ فقال يوماً ‹ياسيّدنا انا جالس على صخرة واذا [٦٤ و] حجلة قد جاءت وهي تتهكف وهـي معيبة الى تلك الصخره التي انا عليها٠ دخلت واذا البار قد اتى خلفها وهو بعيد منها٠ فنزل مقابلي ولؤلؤ يصيح عيسَك عيك(٨٧) ياسيّدنا٠ وجاء وهو يركص وانا اقول اللهمّ استر عليها٠ فقال ياسيّدنا ايـن الححله؟ قلت ما رأيت سيئاً، ما جاءت الى هاهنا٠ وترحّل عن فرسه ودار حول الصخره وطلَع(٨٨) تحتها فرآهـا٠ فقال اقـول الححلة هاهنا تقول لا! واخذهـا ياسيّدنا كسر رجليها ورماها الـى البار، وقلبي ينقطع عليها›»

صيد الاراب

وكان هذا لؤلؤ، رحمه الله، احرَ الناس بالصيد٠ شاهدته يومـاً

(٨٣) «الحساه» في الاصل
(٨٤) الماسه ترعى ليلا ولا ترجع الى مرار بها
(٨٥) «الرئيس ابو تراب حيدره» في الاصل
(٨٦) «قطرمه» طبعه درنبورغ ص١٥٨
(٨٧) «عسك عسك» في الاصل
(٨٨) عامه بمعنى فتّش، نظر

وكانت جاءتنا من البرّيّة ارانب حالية. فكنّا نخرج نصطاد منها شيئاً كثيراً. وكانت ارانب صغاراً حمر(٨٩) فشاهدته يوماً وقد خلّى عشرة ارانب طعن السبعة بالبالة(٩٠) احدها. ثم خلّى ارنباً عاشرة. فقال له الوالد، رحمه الله «دعها. تقيموها للكلاب نفرّج عليها». فاقاموها وارسلوا عليها الكلاب. فسبقت الارنب وسلمت. فقال لؤلؤ «يامولاي، لو كنتَ تركتني طعنتُها واحدتها»

وشاهدت يوماً ارنباً قد ثوّرناها وارسلنا عليها الكلاب فانجحرت في ارض الحُسية(٩١). فدخلت كلبة سوداء خلفها في المجحر. ثم خرجت في الحال وهي تتعوّص(٩٢). ثم وقعت فماتت فما انصرفنا عنها حتى تفسّخت وماتت وتهرأت(٩٣)، وذاك انها لسعتها حيّة في المجحر

باز يصطاد زرزوراً

ومن عجيب ما رأيت من صيد البزاة انني خرجت مع الوالد، رحمه الله، عقيب مطر قد تتابع ومنعنا من الركوب اياماً. فامسك المطر فخرجنا بالبزاة نريد طير الماء. فرأينا طيوراً مُفرخة في مرج تحت شرف. فقدّم الوالد ارسل عليها بازاً مقرنص بيت. فطلع مع الطيور اصاد(٩٤) منها و نزل فما رأينا معه شيئاً من الصيد. فنزلنا عنده واذا هو قد اصاد(٩٥) زرزوراً وطبق كفّه عليه فما جرحه ولا اذاه. فنزل البازيار خلّصه وهو سالم

(٨٩) كذا في الاصل وقد وردت اذناه ص ٢١٩ س٥

(٩٠) «بالباله» في الاصل الباله حربة او سكين طويل وهي تعريب «پالا» التركية

(٩١) «الحُسيه» في الاصل

(٩٢) «تعوص» في الاصل

(٩٣) «وتهرت» في الاصل وقد وردت بهذه الصيغة ص١٨٣ س١٦ مما يدل انها كانت تلفظ كذلك في العامية

(٩٤) كذا في الاصل وقد وردت اعلاه بهذه الصيغة

(٩٥) كذا في الاصل

صيد الور والحبارى

ورأيت من الورّ السمد [؟] حميّة وشجاعة كحميّة الرجال وشجاعتهم. وذلك انا ارسلنا الصقور على رف ورّ سمد ودققنا(٩٦) الطبول، فطار. ولحقت الصقور تعلّقت بورّة حطّتها من بين الورّ، ونحن بعيد منها. فصاحت. فترحّل من الورّ اليها خمسة ستّة طيور يضربون(٩٧) الصقور باجنحتها. فلولا بادرهم كانوا خلّصوا الورّة وقصّوا اجنحة الصقور بمناقيرهم

[٦٤ ق] وهذا صيد حميّة الحُبارى. فانها اذا قرب منها الصقر نزلت الى الارض وكيف دار استقبلته بذنبها. فاذا دنا(٩٨) منها سلحت عليه(٩٩) بلّت ريشه وملأت عينيه وطارت. وان اخطأته بما تفعله به احدها

صيد العيمة

ومن اغرب ما صاده البازي مع الوالد، رحمه الله، انه كان على يده باز عطراف فرخ وعلى خليج ماء عيمة(١٠٠)، وهي طير كبير مثل لون البلسون الا انها اكبر من الكركي ـ من طرف جناحها الى طرف جناحها الآخر اربعة عشر شبراً. فحمل البازي يطلبه. فارسله عليه ودقّ له الطبل. فطار ودخل فيه البازي اخذه ووقعا في الماء. فكان ذلك سبب سلامة البازي، والا كان قتله بمنقاره. فرمى غلام من الغلمان نفسه في الماء ثيابه وعدّ به مسك العيمة واطلعها. فلمّا صارت على الارض صار البازي ينصرها

(٩٦) «ودفا» في الاصل

(٩٧) كذا في الاصل بصيغة جمع المذكر السالم هنا وفي ما يلي الى آخر الجملة

(٩٨) «دنى» في الاصل

(٩٩) قابل C H Stockley, *Shikar* (لندن ١٩٢٨) في *Times Literary Supplement* ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨

(١٠٠) طائر ماء لم اعثر على وصف له في كتب الحيوان

و نصيح ويطير عنها، ومـا عاد يعرض لها. ولا رأيت بازًا سوى ذلك اصطادها. فانها كما قال ابـو العلاء بن سليمان(١٠١) في العنقاء «ارى العنقاء تكبر أن تُصادا»

سبع يخاف احراس النار

وكان الوالد، رحمه الله، يمضي الـى حصن الجسر وهو كثير الصيد فيقيم(١٠٢) فيه ايّاماً ونحن معه نصيد الحجل والدرّاج وطير الماء واليحامير والغزلان والاراب. فمضى يوماً اليه وركبنا الى صيد الدرّاج فارسل بـازاً يحمله و يُصلحه مملوك اسمه نقولا(١٠٣) علـى درّاجـة ومضى نقولا يركض وراءه وقد نبح الدرّاج في غلفاء. واذا صياح نقولا قد ملأ الاسماع وعاد يركض. قلنا «مالك؟» قال «السبع خرج من الغلفاء التي وقع فيها الدرّاج فخلّيت البازي وانهزمتُ». واذا السبع ايضـاً ذليل مثل نقولا لمّا سمع احراس النار خرج من الغلفاء منهزماً الى الغاب

صيد السمك

وكنّا نصيد ونعود ننزل على بوسمير(١٠٤)، نهر صغير بالقرب مـن الحصن، و نقعّد نحضر صيّادي السمك فنرى منهم العجب. فيهم من معه قصبة في رأسها حربة لها جُبَّة مثل الجسوت. ولها في الجُبَّة ثلاث شعب حديد طول كلّ شُعبة ذراع. وفي رأس القصبة خيط طويل مشدود الى يده يقف على حرف النهر وهو ضيّق المدى ويبصر السمكة فيزرقها بتلك القصبة التي فيها الحديد فما يخطئها(١٠٥). ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكه فيها. وآخر مـن الصيّادين معه عود قدر قصبة فيه شوكة

(١٠١) المعرّي سنة ٩٧٣ ـ ١٠٥٧م

(١٠٢) «فقيم» في الاصل

(١٠٣) «نقولا» هنا وفيما يلي

(١٠٤) «بو شمر» في الاصل

(١٠٥) «يحطها» في الاصل

حديد وفي طرفه الاحر حيط مشدود الى يده· يرل يسح في الماء و سصر السمكة يحطفها تلك الشوكة ويحلّيها فيها ويطلع ويحد بها بدلك الحيط يُطلع الشوكة والسمكة· [٦٥ و] واحر يرل يسح ويمرُّ يده تحت الشحر الدي في السطوط من الصفصاف على السمكة حتى يُدحل اصابعه في حواشيم السمكة، وهي لا تتحرّك ولا تنفر، و يأحدها ويطلع· فكانت تكون فرحتنا عليهم كفرحتنا على الصيد بالبراة

عائم البازيار

وتوالى المطر والهواء علينا اياماً و نحن في حصن الجسر· ثم امسك المطر لحظة· فجاءنا عائم البازيار وقال للوالد «البراة جياع جيّدة للصيد· وقد طابت وكفّ المطر· ما نركب؟» قال «بلى» فركبنا فما كان باكثر من ان خرجنا الى الصحراء وتفتّحت ابواب السماء بالمطر· فقلنا لعائم «انت زعمت انها طابت وصحت حتى اخرجتنا في هذا المطر!» قال «ما كان لكم عيون تنظر العيم ودلائل المطر؟ كنتم قلتم لي نكذب في لحيتك ما هي طيّبة ولا صاحية!»

وكان هذا عائم صانعاً جيداً(١٠٦) في اصلاح الشواهين والبراة خبيراً(١٠٧) بالجوارح، طريف الحديث طيّب العشرة، قد رأى من الجوارح ما يعرف وما لا يُعرَف

خرجنا يوماً الى الصيد من حصن شيزر فرأينا عند الرحا الجلالي(١٠٨) شيئاً واذا كركيّ مطروح على الارض· فنزل غلام قلّبه واذا هو ميت وهو حارّ ما برد بعد· فرآه عائم قال «هذا قد اصطاده اللزيق(١٠٩)»

(١٠٦) «صابع حد» في الاصل

(١٠٧) «حسر» في الاصل

(١٠٨) «الحلالى» في الاصل

(١٠٩) ولعلها «اللدىق» في الاصل وهو ضرب من البازي لم اعثر على ذكر له في غير هذا الكتاب

فسّس تحت حاحه واذا حاب الكركي مقوب وقد أكل فلبه٠ فقال عائم «هذا حارح مثل العوسق(١١) يلحق الكركي يلصق تحت حاحه يقب اضلاعه و يأكل قلبه»

وقضى الله سبحانه اني صرت الـى خدمة اتابك زنكي(١١١)، رحمه الله فجاءه حارح مثل العوسق احمر المنسر والرحلين حمون عينيه حمر وهو من احسن الجوارح٠ فقالوا «هذا اللزيق»٠ ما بقي عنده الا ايّاماً قلائل وقرص السيور بمنسره وطار

صيد حمير الوحش

وخرج الوالد، رحمه الله يوماً الـى صيد الغزلان، وانـا معه صغير٠ فوصل وادي القاطر(١١٢) واذا فيه عبيـد حراميّه يقطعون الطريـق٠ فاخذهم وكتفهم وسلّمهم الىقوم من غلمانه يوصلونهم الىالحصن سيرز٠ واخذت انا حسكاً(١١٣) مـن بعضهم وسرنا فـي الصيد، واذا عانـة حمير وحش٠ فقلت للوالد «يامولاي، مـا اضرب حمير الوحش فـل اليوم عن امرك اركض اضربهم»٠ فقال «افعل »٠ وتحتيفرس شقراء من اجود الخيل٠ فركضت وفي يدي ذلك الحسك الذي اخذته من الحراميّه٠ فضرب وسط العانه فافردت منها حماراً وصرت اطعنه بذلك الحسك فلا يعمل فيه شيئاً [٦٥ ق] لضعف يدي وقلّه مضاء الحربة٠ فرددت الحمار حتى رددته الى اصحابي٠ فاخذوه وعجب الوالد ومن معه من عدو تلك الفرس

فقضى الله سبحانه اني خرجت يوماً اتفرّج على نهر شيرز(١١٤) وهي تحتي ومعي مُقرئ يُنشِد مرّة ويقرأ مرّة ويغنّي مرّة فنزلت تحت

(١١) كذلك لم اعثر على ذكر لهذا الطائر فى غير هذا الموضع

(١١١) حوالى عام ١١٣

(١١٢) «القاطر» فى الاصل

(١١٣) «حسب» فى الاصل

(١١٤) العاصي

شحرة ودفعت الفرس الى العلام فعمل فيها شكالا(١١٥)، وكان الى حاب النهر. فمرت ووقعت في النهر على حسها. وكلّما ارادت تقوم تعود تقع في الماء لاحل الشكال. وكان العلام صعيراً(١١٦) لا يقدر على تحليصها، ونحن لا نعلم ولا ندري. فلمّا قاربت الموت صاح سا فحئناها وهي في احر رمق. فقطعنا شكالها واطلعناها، فماتت. وما كان الماء يصل الى عضدها الدي عرقت فيه، وانما السكال اهلكها

يحاف على البازي من العرق

وحرح يوماً(١١٧) الوالد، رحمه الله، الى الصيد. وحرج معه امير يقال له الصّمصام من اصحاب فحر الملك بن عمّار صاحب طرابلس على سبيل الحدمة. وهو رحل قليل المحبرة بالصيد. فارسل الوالد بازّاً على طيور ماء فأحد منها طيراً ووقع في وسط النهر. فحعل الصمصام يدقّ يداً على يد ويقول «لا حول ولا قوّة الا بالله(١١٨)». كيف كان حروحي في هذا اليوم؟» فقلت له «ياصمصام، تحاف على البار ان يعرق؟» قال «نعم قد عرق بطّة هو حتى يقع في الماء ولا يعرق؟» فضحكت وقلت «الساعة يطلع». فأحد البار رأس الطير وسبح وهو معه حتى طلع به. فبقي الصمصام يتعحّب من دلك ويسبّح الله سبحانه ويحمده على سلامة البار

لكل حيوان احله

ومزايا الحيوان، محتلفة الالوان. قد كان الوالد، رحمه الله، ارسل زُرّقاً ابيض على درّاحة. فوقعت الدرّاحة في علفاء ودحل معها الزرّق.

(١١٥) «سكال» في الاصل

(١١٦) «صعر» في الاصل

(١١٧) حوالي عام ٩ ١١

(١١٨) القرآن ١٨ ٣٧

وفي العلماء اس آوى احد الرزّق فطع رأسه· وكان من حيار الحوارح وافرهها

ورأيت من مانا الحوارح وقد ركبت يوماً وبين يديّ علام لي معه ناسق· فرماه على عصافير، فاحد عصفوراً· وحاء العلام دىح(١١٩) العصفور في رحل الناشق· فمص الناسق رأسه وتقيأ دماً ووقع ميتاً· والعصفور في تلفه مدىوح(١٢)· فسحان مقدّر الآحال

واحرت يوماً من ىاب فتحاه في الحصن لعمارة كانت هناك، ومعي ررىطانة فرأيت عصفوراً على حائط انا واقف تحته، فرمته ىندقة فاحطأته· وطار العصفور وعيني الى [٦٦ و] البندقة·فىرلت مع الحائط وقد احرح عصفور(١٢١) رأسه من ثقب في الحائط فوقعت البندقة على رأسه، فقتله· ووقع بين يديّ فدىحته· وما كان صيده عن قصد ولا اعتماد

وارسل، رحمه الله، يوماً النار على ارىب قامت لنا في رور(١٢٢) كثير الشوك، فاحدها وانفرطت منه· فحلس على الارض· وراحت الارىب· فركَضت انا فرساً دهماء تحي من حياد الحيل لاردّ الارىب· فوقعت يد الفرس في حفرة فانقلبت عليّ· فملأت يديّ ووحهي من دلك الشوك وانفسحت رِحلُ الفرس· ثم انتقل النار من الارض ىعد ما اىعدت الارىب لحمها اصادها(١٢٣)· فكأنه كان قصدُه إتلاف(١٢٤) فرسي واداىتي بالوقوع في(١٢٥) الشوك

(١١٩) «دمّح» طبعة درنبورغ ص١٦٤
(١٢) « ىلفه مدىوح» في الاصل
(١٢١) «عصفورا» في الاصل
(١٢٢) يستعملها المؤلف بمعنى الأجمة وكمفرد «اروار»
(١٢٣) كدا في الاصل
(١٢٤) « ىلاف» او «فلاف» في الاصل
(١٢٥) عىر واضحة في الاصل

صيد الحرير

فاصحا يوماً في اوّل يوم من رحب صياماً· فقلت للوالد، رحمه الله «اشتهي احرح اتساعل مالصيد عن الصيام»· قال «احرح»· فحرحت انا واحي بهاء الدولة ابو المعيث مقد، رحمه الله، ومعنا نعص البراة الى الاروار، فدحلنا في سوس· فقام لنا حرير دكر فطعنه احي حرحه ودحل دلك السوس· فقال احي «الساعة يكربه الحرح ويحرح· استقبلُه اطعنه اقتله»· قلت «لا تفعل· يصرب فرسك يقتلها»· نحن نتحدّث والحرير حرح يريد روراً احر· فالتقاه احي طعنه في سامه انكسرت فيه عالية القنطاريّة التي طعنه بها ودحل تحت فرس شقراء تحته (١٢٦) عُسَراء محجّلة شعلاء صربها رماها ورماه· فامّا الفرس فانفسحت فحدُها وتلفت· وامّا هو فانفكّت اصبعه الحنصر وانكسر حاتمه

وركضتُ انا حلف الحرير· فدحل في سوس محصب وحان فيه ناقورة نائمة ما اراها من دلك العاب· فقام منها نور(١٢٧) في صدر حصاني فدسه· فوقعت ووقع الحصان وانكسر لحامه· وقمت احدت الرمح وركبت ولحقته وقد رمى نفسه في النهر· فوقفت على حرف النهر وررقته بالرمح فوقع فيه وانكسر منه قدر دراعين وبقيت الحربة، وكُسر الرمح فيه· وسبح الى ناحية النهر· فصحنا نقوم من دلك الحانب يضربون لبناً لعمارة بيوت في قرية لعمّي· فحاءوا ووقفوا عليه وهو تحت حرف لا يقدر يطلع منه· فجعلوا يرمونه بالحجارة الكبار حتى قتلوه· وقلت [٦٦ ق] لركابيّ لي «انزل اليه»· فقلع عدّته وتعرّى(١٢٨) واحد سيفه وسبح اليه تمّم قتله· وسحب برجله واتى به وهو يقول «عرّفكم الله بركات صيام رحب! استفتحاه بحس الحارير(١٢٩)»

(١٢٦) «نحه» في الاصل «مُحَنَّه» طعه درنبورغ ص١٦٥

(١٢٧) «نور» في الاصل

(١٢٨) «ونعرا» في الاصل

(١٢٩) قابل القرآن ٦ ١٤٦

ولو كـان للخرير طفر وـاب مثل الاسد كان اسدً بأساً مـن الاسد٠ فلقد رأيت منها خريرة قد اقمناها عن خُرنّات لها وواحد منها يضرب حافر فرس غلام معي سمه وهو فـي قدّ جرو القط٠ فاخذ الغلام مـن تَرْكَشه نشّابة ومال اليه طعنه بها، ورفعه في النشّابة٠ فعجبت من قتاله وضربه حافراً لفرس وهو بحيث نُحمَل في سهم نشّاب

صيد الحجل

كان من عجائب الصيد انا كنّا نخرج الى الجبل الى صيد الحجل ومعنا عشرة براة نتصيّد بها النهار كلّه، والبازيارية مفترقة في الجبل ومع كل بازيار فارسان(١٣) بلا به مـن المماليك، ومعنا كلابزيان اسم الواحـد نُطرس والآخر زرزور بادنة(١٣١) وكلّما ارسل البازيار على حجلة ونبحت قد صاحوا «يانطرس!» نعدو اليهم مثل الهجين كذلك النهار كلّه نعدو من جبل الى جبل هو ورفيقه فاذا اشبعنا البراة ورجعنا اخذ نطرس قلاعة وعدا خلف واحد من المماليك ضربه بها، اخذ الغلام قلاعة وضرب نطرس٠ فلا يزال نطارد الغلمان وهم ركاب وهو راجل ويراميهم بالقلاع من الجبل الى باب المدينة ما كأنه كان نهاره كلّه نعدو من جبل الى جبل

الكلاب الزّعارية

ومن عجائب الكلاب الزعاريّة انها ما تأكل الطيور ولا تأكل منها الا رؤوسها(١٣٢) وارجلها التي ما عليهـا لحم والعظام التي قـد اكلت البراة لحمها

وكان للوالد، رحمه الله، كلبة سوداء زعاريّة تضع الغلمانُ بالليل على

(١٣) «فارسين» في الاصل

(١٣١) «بادنه» في الاصل

(١٣٢) «روسها» في الاصل

رأسها السراح ويقعدون يلعبون بالشطرنج وهي لا تتحرك ولا تزول حتى عمست عياها· وكان الوالد، رحمه الله، يَحرد على الغلمان ويقول «قد اعميتم هده الكلبة!» ولا يسهون عنها

واهدى الامير شهاب الدين مالك(١٣٣) بن سالم بن مالك صاحب القلعة(١٣٤) للوالد كلبة عروفاً(١٣٥) تُرسل تحت الصقور على الغزلان فكنّا نرى منها العجب

الصيد بموجب نظام

وصيدُ الصقور بالترتيب· يُرسَل في الاول [٦٧ و] المقدّم فيَعلو بادن غزال يضربه· ويُرسَل العون بعده فيضرب غزالاً آخر· ويُرسَل العون الآخر فيفعل كذلك· ويُرسَل الرابع كذلك· فيضرب كلّ صقر منها على غزال· فيأخذ المقدّم ادن غزال ويُفرده من الغزلان، فترجع الصقورُ جميعها اليه وتترك تلك الغزلان التي كانت تضربها· وهده الكلبة تحت الصقور لا تلتفت الى شيء من الغزلان الا ما عليه الصقور· فيتّفق ان يظهر العقاب فتحلّ الصقور عن الغزال، فيمضي الغزال، وتدور الصقور· فكنّا نرى تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور، وهي تدور تحت الصقور في الارض كما تدور الصقور في الهواء حلقة ولا تزال تدور تحتها حتى تنزل الصقور الى الدعو· وحينئذٍ تقف وتمشي خلف الخيل

صيد الغزلان والدرّاج

وكان بين شهاب الدين مالك وبين الوالد، رحمهما الله، مودّة ومواصلة بالمكاتبات والرسل· فنفّد اليه يوماً يقول له «خرجت الى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة آلاف خشف في يوم»· وذلك ان الغزلان عندهم في

(١٣٣) «ملك» هنا وفيما يلي

(١٣٤) قلعة جعبر

(١٣٥) «عروف» في الاصل

ارص القلعة كثيرة وهم يحرحون وقت ولاد العرلان حيَّالة ورحَّالة فيأحدون(١٣٦) مىها مـا قد وُلد تلك الليلة وقىلها ىليلة وليلتين و ىلاث يقشُّو ىها كما يُقَسْ الحطب والعش

والدرّاح عىدهم كىير فـي الاروار على الفرات وادا شُـقّ حوف الدرّاحة واريل ما فيه وحُسي ىالسعر لا تتعيَّر رائحتها ايَّاماً كثيرة

ورأيت يوماً درّاحة قد شُقّ حوفها واُحرحت قاىصتها وفيها حيَّة قد اكلىها ىحوٌ مں شىر

وقىلىا مرّة و ىحں في الصيد حيَّة حرح مں حوفها حيَّة قد ىلعتها صحيحة دو ىها ىيسير فهي طباع حميع الحيوان اعتداءُ القويّ على الصعيف والطُلمُ مں سِـىَمِ الىُّفوس فاں ىَحد دا عِـفَّةٍ فلعِـلَّةٍ لا يَطلِـمُ

الحاتمة

حصرُ دكر الصيد(١٣٧) وقد سهد ىه سعيں سىة مـں عمري عرُ ممكں ولا مستطاع. وتصيع الاوقات في الحرافات، مں اعطم عوارص الآفات. واىا(١٣٨) [٢٧ ق] اسعفر الله تعالى مں تصيع الصُّىابة الىاقية مں العمر، فـي عير طاعة واكسات ثواب واحر. وهو تبارك وتعالى يعفر الحطيَّة، ويحرل مں رحمته العطيه فهو الكريم الدي لا يحيب آمِـلَـهُ، ولا يَرُدّ سائلَـه

(١٣٦) «فياحدوا» في الاصل
(١٣٧) او «المصيد» على الهامش
(١٣٨) مكرره

آحر الكتاب

احر الكتاب والحمد لله ربّ العالمين(١)، وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه وعلى آله الطاهرين احمعين، وسلّم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وكان في احر الكتاب ما مثاله

قراب هدا الكتاب(٢) من اوّله الى احره فى عدّه محالس على مولاي
حدّي الامر الاحلّ العالم الفاصل الصدر الكامل عصد الدين(٣)
حلس الملوك والسلاطين حجّة العرب خالصه امير المؤمنين،
ادام الله سعادته وسالته ان يحرر لي روايته عنه،
فاجابني الى دلك وسطر حطّه الكريم به
ودلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر
سنه عسر(٤) وستّمائه(٥)
صحيح دلك وكتب
حدّه مرهف بن
اسامة بن
منقد،
حامداً
ومصلّيا

(١) «العلمس» في الاصل
(٢) الكتاب الدي نقل عنه الناسخ هده المحطوطة
(٣) مُرهف بن أُسامه وهو على ما يظهر حد صاحب الكتاب الاصلي المنقولة عنه هده المحطوطه
(٤) «عسره» في الاصل
(٥) ٤ تموز سنه ١٢١٣



سوريه ومصر والعراق والاماكن التى زارها أسامه ووردت فى «كتاب الاعتبار»

فهرست الكتاب (١)

(١) لقد سارکني في وضع هذا الفهرس وفي تفيح مسودات الكتاب الدكتور كوسي رريق الاستاد في جامعه بيروت الامريكيه واحد تلامذة ر سسون سابقاً

to Professor Harold H Bender, chairman of the Department of Oriental Languages and Literatures, to Mr James T Gerould, librarian of Princeton University, and to the Mergenthaler Linotype Company, who together have made possible the production of such a book

EDITOR'S NOTE

USĀMAH (A D 1095-1188) was a warrior a hunter, a gentleman, and a poet, who sojourned in the courts of Nūr-al-Dīn and Saladin in Damascus, of the Fātimite caliph in Cairo, and of Zanki in Mosul, and who had personal contacts with Baldwin, Bohemond, Roger Fulk and other leaders of the first two Crusades Aleppo, Jerusalem and Mecca were likewise scenes of his varied activities When not engaged in repelling Frankish, Byzantine, or Ismā'īlīyah attacks against his picturesque castle, Shayzar, on the Orontes, he was battling against Crusaders or other adversaries elsewhere hunting lions, hawking or writing poetry

At the ripe age of ninety Usāmah wrote—rather dictated—his reminiscences entitled *Kitāb al-I'tibār,* one of thirteen books which he composed In this work he gives us a first-hand description of many of the events of which he was an eyewitness One section he devotes to rare anecdotes another to falconry and a third to his impressions of the character of the Franks and their methods of medication and judicial procedure In their simplicity of narrative dignity and wealth of contents and in their general human interest, these *Memoirs* stand unexcelled in Arabic literature

Through the kind offices of the United States embassy at Madrid a photostatic reproduction was made of the unique manuscript of *Kitāb al-I'tibār* now preserved in the Escurial Library and this has elsewhere been rendered into English by the writer and issued under the title *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades* (Columbia University Press 1929) The calligraphy belongs to that of Syria in the thirteenth century and is lacking in diacritical marks and vowel signs

In the present work the editor has collated the material with contemporaneous sources as well as modern works especially those of Hartwig Derenbourg has suggested a number of emendations and added philological geographical and historical notes

This being the first Arabic book to be printed in a university press in America, due acknowledgment should be made

To

JOSEPH T MACKEY, ESQ

PRINTED AT THE PRINCETON UNIVERSITY PRESS

PRINCETON, NEW JERSEY, U S A

PRINCETON ORIENTAL TEXTS — VOLUME I

USĀMAH'S MEMOIRS

ENTITLED

KITĀB AL-I'TIBĀR

BY

USĀMAH IBN-MUNQIDH

ARABIC TEXT EDITED FROM THE UNIQUE MANUSCRIPT
IN THE ESCURIAL LIBRARY, SPAIN

BY

PHILIP K HITTI
Associate Professor of Semitic Literature
Princeton University

PRINCETON
PRINCETON UNIVERSITY PRESS
1930

LONDON HUMPHREY MILFORD
OXFORD UNIVERSITY PRESS

USAMAH'S MEMOIRS

ENTITLED

KITĀB AL-I'TIBAR